

HAZEM MASSAOD

HM

E-Books

رشا زيدان

الطبعة
4

لكنه وسكك

رواية



لك وحدك

رشا زيدان
لك وحدك
رواية

لمزيد من المعلومات عن الكرمة: facebook.com/alkarmabooks

حقوق النشر © رشا زيدان 2018

الحقوق الفكرية للمؤلف محفوظة

جميع الحقوق محفوظة. لا يجوز استخدام أو إعادة طباعة أي جزء من هذا الكتاب بأي طريقة من دون الحصول على الموافقة الخطية من الناشر.

زيدان، رشا.

لك وحدك: رواية / رشا زيدان – القاهرة: الكرمة للنشر، 2018.

تدمك: 9789776467897

1-القصص العربية.

أ-العنوان.

رقم الإيداع بدار الكتب المصرية: 2017 / 23374

تصميم الغلاف: محمد حمزة

إهداء

إلى الله...

إليك يا إلهي أهدي روايتي الثانية؛ جزءًا من روعي، التي هي بالأصل وهب أهديتني إياه يا ربي. إليك يا الله أهدي كلماتي وأفكاري وأشعاري، أو ربما أردتها إليك. أهديتها للجمال الذي تجليت به عليّ، وللجلال الذي حوطتني وحفظتني به، للكلمات التي أودعتها بداخلي فرأيتك في قلبي، وللحب الذي غمرتني به، وللعناية التي شملتني بها فتعرفت عليك في كل ما حولي، وللسلام والسكينة اللذين أنزلتهما على قلبي فلم أجزع أو أفزع أو أحتار في أي من أموري لعلمي أنها من تدبير ربي، وللإيمان واليقين اللذين أودعتهما بقلبي بجمال قدرك وحسن اختيارك لي في كل شأني، وللتسليم الذي تقودني به إليك على دربي، درب الحب، دربي. أحبك يا الله، وأحب تجلياتك في كل ما حولي.

شكر

لشمسي الذي ما زلت على يقين أنه موجود، وأنه ما زال يراقبني، وأنه أيضًا يعلمني ويهذب روحي حتى لو كان بعيدًا ولم يقترب ليوجهني، ويُفضل أن يلقنني دروسي في البعد لحاجة في نفس يعقوب يقضيها. لا أملك سوى أن أقول سمعنا وأطعنا سيدي، فأنا المريدة الصبورة التي أدبتها بالحب فأحسننت تأديبها، ولكن تظل رغبتني في التعبير عن امتناني لمعلمي قائمة لا تتغير ولا تتبدل، ولن أفقد الأمل في أن تمدد يمينك كي تحظى بها شفتاي.

«يَا أَيُّهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ (27) ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً (28) فَادْخُلِي فِي عِبَادِي (29) وَادْخُلِي جَنَّاتِي».

قرأتها أمام بوابة المقبرة كما لم تقرأها من قبل. أغمضت عينيها وحدثت ربها بقلبها قائلة: «اللهم امنحني الطمأنينة، ورقّ نفسي بالسكينة، وألهمني البصيرة، حتى لا أرى إلا بك، ولا أسمع إلا ما تريد، ولا أقول إلا ما ترغب، ولا أحس إلا بحبك، واجعلني من عبادك الذين اصطفيت بدخول جنتك في الدنيا بوصلك، والرجوع عما يلفت عنك إليك بنفس مطمئنة بقربك وراضية بحبك مرضية بفضلك. آمين».

جلست أمام قبور أهلها على الأرض، كما اعتادت، كأنها تريد أن تقترب منهم قدر المستطاع. سلمت عليهم وبدأت بقراءة الفاتحة، ثم أمسكت مصحفها وبدأت تقرأ القرآن. فرغت من قراءة القرآن، وانتقلت إلى بقعة أقرب كأنها تستأذن والديها في حديث خاص بينها وبين جمال. جلست تحدّثه بصوت خافت:

- إنت وحشتني أوي يا جمال. بقالك كتير مش بتجيلي. مين اللي شاغلك عني. حورية جميلة زيك من حوريات الجنة، ولأ مستتي لما أحتاجك أوي وتيجي تططب علي! طب أنا محتاجك دلوقت، وأوي كمان. مش محتاجة طبطبتك وبس، أنا محتاجة حضنك. أنا نفسي أترمي في حضنك وأعيط لغاية لما الدموع تخلص، وبعدين أمسح وشي وأبص في وشك وأشبع من جمالك بالقوي، وأبتسم وما أعيطش تاني أبداً.

عارف يا جمال أنا حاسة بايه؟ أنا في حنة في قلبي بتوجعني. والله قلبي بيوجعني. أنا كنت طيارة زي العصافير فوق في السما. كنت حتى قربت أفهم لغتها وأغرد زيها. بس فجأة بقي مليش مكان جنبها. تصدق يا جمال. تصدق السما الواسعة دي كلها مليش حنة صغيرة على أدي أطير فيها وأرفرف قربها. نزلت على الأرض تاني بس عينيّ متشعلقة فوق عندها. تفنكر هيجي اليوم اللي أطير تاني وأقرب منها؟ تفنكر هيجي يوم أرفرف في الهوا زيها؟ ولأ نصيبي أفضل أرفرف على الأرض ورقبتي شابة وعينيّ متشعلقة لفوق عندها؟

أغمضت عينيها، كأنها تنتظر الرد. أحست بكلمات لا تدري إن كانت تهمس في أذنها أم شعرت بها في قلبها، ولكنها كانت كلمات رقيقة تماماً، كما اعتاد جمال أن يخاطبها وهو حي. كانت الكلمات هي: - هيجي اليوم اللي هترفر في بس مش زيها. هتطيري وهترفر في أبعد كمان منها. لازم تصدقي إنك لو كنت نزلت على الأرض فإنت نزلت علشان تطلعي تاني، بس أجمل وأحلى وأقوى منها كلها. أصلك هتطيري في حنة تانية خالص غيرها كلها. يبقى الأصول تفرحي وتلوني جناحاتك كمان، علشان شكلك اللي هيبقى أحلى منها مش زيها. أصلك لما هترفر في وإنت معدية جنبها، هتعملي قوس قرح في السما، هتبص عليه كلها، هيسعد اللي يشوفه ويجدد جواه الأمل إنه في يوم يطير ويوصل لبعيد زيك وزيها.

ابتسمت روح، وسحبت يدها من على قلبها. قبلت يدها برقة وأرسلت إلى جمال قبلة في الهواء. لم تنطق بكلمة، ولكنها فهمت رسالته المطمئنة لها.

خرجت من المقابر في اتجاه السيارة، ووقعت عيناها على الآية مرّة أخرى، فابتسمت وعلمت أن الله منحها ما طلبت. لقد طمأنها وربت على قلبها. دخلت من الباب تدعو الله أن يمنحها الطمأنينة،

وخرجت من نفس الباب وقد منحها إياها بتلك الكلمات التي أحست أن جمال يرد بها عليها.
فتحت باب السيارة، ودخلت، وقالت للسائق:

- على السيدة نفيسة إن شاء الله.

عندما وصلت أخرجت شالها ولفت به رأسها وكنفها. دخلت المسجد وصلت ركعتي التحية، ثم توجهت إلى المقام الشريف.

بمجرد أن وقعت عيناها على المقام انفجرت باكية. لم تكن من عادتها أن تبكي بقوة. كانت الدموع دائماً تنساب من عينيها برقة وهي في حالة من السكون، ولكن هذه المرة كانت مختلفة، مختلفة حتى عن تلك المرة التي جاءت تشكو فيها للسيدة نفيسة، ورأت الرؤيا التي جلبت لها السعادة والحرمان معاً: رؤية الثَّلِّ الأبيض.

جلست أمام المقام على الأرض، مسندة رأسها على النحاس المحيط به. لم يكن المقام مزدحمًا، فالكل كان قد صلى العصر وانصرف. كان يتبقى على صلاة المغرب والإفطار ساعة واحدة فقط. لم تكن تشعر بأي من المحيطين القلائل. أخذت تبكي وتبكي وتحدث أمها بقلبيها: - أعمل إيه يا أمي في قلبي؟ إنتِ اللي جمعيني عليه، وإنتِ اللي شاهدة حبه جوايا شكله إيه. حبيته ومش بإيدي. حاولت على أد ما قدرت ما أقربش أكثر بس ما عرفتش. كل ما كنت بابعده نوره كان بيثدني ليه تاني. هو كمان حاول وما قدرش. كان لازم أبعد علشانه. لو كنت فضلت كان يمكن نوره يتطفي وحبي هو اللي يبقى السبب. أنا ماشية وسايباهولك أمانة. خدي بالك عليه يا أمي، ما هو أكيد هيجيلك زيارة. اطلبيه يجيلك وطبطني على قلبه برقتك وحنية قلبك علينا. أمانة عليكِ تفرّحي قلبه يا ريحانة. أنا عارفة، أكيد حاله صعب دلوقتٍ ومحتاج منك مدد. أمانة عليكِ لتحضنيهولي وتطولي في الحضن أمانة.

بدأ المقرئ في المسجد يتلو قرآن المغرب. بدأ بتلاوة سورة الفجر. توقفت روح عن البكاء، وأخذت تستمع إلى القرآن في سكينته، إلى أن وصل المقرئ إلى آخر آية في سورة الفجر: «يَا أَيُّهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ (27) ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً (28) فَادْخُلِي فِي عِبَادِي (29) وَادْخُلِي جَنَّتِي».

استفاقت روح وتنبهت. إنها نفس الآية التي قرأتها اليوم عند دخولها مقابر أسرتها. هل هي إشارة أخرى من الله باستجابة دعائها وطمأنة نفسها؟ إن الآيات واضحة: اطمئني، ولا تنشغلي أو تلتفتي عن الله، ارجعي إلى ربك بقلبك ودعي كل ما يقلقك ويشغل تفكيرك، لتكوني صافية الذهن نقية السريرة في حضور مع الله، وتلك هي جنة عباد الله على الأرض.

إنها ريحانة آل البيت كعادتها معها، لم تطل عليها الرد، رقت لحالها ووجع قلبها، وأرادت لابنتها أن تسافر مطمئنة على نور أنه في أيدي أمينة، وأنها سوف ترعى الأمانة. ابنها وحبیب ابنتها.

جلست روح جانباً في خشوع مغمضة عينيها تستمع إلى القرآن وتنتظر أذان المغرب. فجأة شممت رائحة بخور. اعتقدت أن حارس المقام أشعل البخور ليعطر المكان. لم تفتح عينيها ولم تلتفت. إلى أن أحست بأنفاس تقترب منها. فتحت عينيها، رأت رجلاً عجوزاً في العقد السابع من العمر تقريباً. الرجل بدا جميلاً، نظيف الثياب، ذا لحية رمادية مهذبة، يرتدي جلباباً أبيض، ويضع غطاء على الرأس، عيناه كانتا فيروزيتين بلون البحر، وبشرته بها مسحة حمرة كأنه كان يجلس في الشمس، كان يجلس أمامها وينظر إليها برقة، كأنه يجلس أمام طفل نائم لا يريد إيقاظه. نظرت إليه روح وابتسمت وقالت له: - إنت مين؟

العجوز: أنا خدامك.

روح: العفو ما تقولش كده.

العجوز: بس أنا فعلاً خدامك!

روح واضعة يدها على كتفه:

- إنت اسمك إيه؟

العجوز: الأسامي مش مهمة.

روح: أمال إيه المهم؟!

العجوز: المهم الرسالة.

روح: رسالة إيه؟!

العجوز: رسالتك لازم توصلك. لما الإشارة تيجي لازم الكلام اللي على اللسان يتقال.

اعتقدت روح أنه أحد مجازيب السيدة نفيسة، مع أنه لا يبدو على تلك الهيئة، جاء أملاً في الحصول على بعض النقود منها. لم يبذُ مثلهم رث الثياب، ولا يضع حول رقبتة السبح الكثيرة ويلف رأسه بعمامة خضراء، ولكنها شعرت أنها تريد أن تسمعه.

روح: أنا سامعك.

العجوز: نور.

تفاجأت روح، واستغربت بشدة، وتأكد شعورها أن هذا العجوز ليس شخصاً عادياً.

العجوز: نور قلبك هوّ اللي جابني ليك. أنا شفت نورك أول ما دخلت المقام. قربت منك شميت ريحة الورد فيك.

انسالت الدموع من عيني روح مرّة أخرى. شعرت أن العجوز قال اسم نور ليلفت انتباهها أنه لا يهذي، وأن كلامه يجب عليها أن تنتبه إليه، وأنه ليس مجرد مجذوب من مجازيب الست. إنه مُحَمَّل برسالة.

العجوز: إنتِ مستغربة ليه إني شفت نورك؟ هوّ مش ربنا قال نورهم يسعى بين أيديهم! وإنتِ نورك ببسعى وأنا شفته. أما النور اللي في قلبك ده فمفيش غير واحد بس اللي يقدر يشوفه. الشمعة البيضا الكبيرة الأيدة جواك هوّ بس اللي هيؤجرك عليها. ما تبكيش أبداً. تبكي إزاي وكل التمر ده مستنيك. في تمر كتير على الطريق ليك. سنتنا مريم ربنا قالها: «وَهَرِّي إِلَيْكَ بِجِدْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطُ عَلَيْكَ رُطْبًا جَنِيًّا (25) فَكُلِي وَاشْرَبِي وَفَرِّي عَيْنًا». إنتِ هتقري عيناً وهتفرحي. إنتِ طبق تمر كبير لازم تفهمي ده وتصدقيه.

روح باكية:

- إنتِ إيه اللي بتقولهولي ده؟!

العجوز: خدي العصايا دي وامسكيها جامد.

أعطى العجوز عصاه التي تبدو كأنها لم تطأ أرضاً من قبل إلى روح، وأمسكها إياها بالعرض، كأنه يُحکم عليها جدار حماية أو حصانة بتلك العصا.

كان الذهول يخيم على روح، والدموع تنساب من عينيها، شعرت أن هذا العجوز درويش مثل دراويش الروايات. طلب منها أن تغمض عينيها وتدعو بما تريد، وجلس هو أمامها يتمتم وهي لا تسمع ما يقول. أخذت تدعو وتدعو وتدعو... دعت لنور كثيراً، وربما لم تدع لنفسها قط، وما هي وما هو، إنهما نفس الروح.

العجوز: لما تخرجي من عند ستنا بصي للسا فوق ناحية القبلة، هتلاقي حاجة بتاعتك.
روح: بتاعتي أنا؟!
العجوز مؤكداً:

- أيوه بتاعتك إنت. في نجمة بعيدة منورة. النجمة دي بتاعتك.
تذكرت روح وصفها لرشا عن نور عندما قالت لها: «نور ده النجمة البعيدة اللي في السما فوق، اللي جمالها بيبهر كل العيون، وتشب له الرقاب علشان بس تشوفه من بعيد لبعيد، مش عشان تقرب منه وتبقى في حرمه. أنا بقى هابقي حرمه».
استطرد العجوز مكملاً:

- هو مش سيدنا يوسف قال لأبوه: «إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ»، ومرت السنين وفراق ورا فراق، بس في الآخر شاف تفسير رؤياه؟
فهتم رسالة الدرويش أيضاً الذي جاء ليطمئنها أن نور من نصيبها، وأن الله سوف يجمعها كما جمع شمل سيدنا يوسف وإخوته وأبويه، ولكن يا ترى هل سوف تمر بكل تلك الصعاب التي مر بها سيدنا يوسف؟ هل هي كفاء لتحمل ما تحمّل سيدنا يوسف بصبر وجلد؟ هل عليها أن تتحمل مزيداً من الآلام كي تحظى بنجمتها في آخر المطاف؟ هل ذلك العجوز جاء برسالته ليطمئنها أم ليخبرها أنها ما زال أمامها الكثير لتتحمل؟ لقد أعطاه البشارة فلا يجب أن تحزن، ولا أن تترك نفسها تغرق في دوامات الحزن التي كانت قد نسيتهَا وعاهدت نفسها ألا تعود إليها منذ مضت في طريق سعادتها، طريقها إلى الله. يجب عليها تصحيح مسارها، والعودة كما كانت محبة عاشقة لله وخلقه. وأبداً لن يكون حب نور ملفتاً لها عن الله وحبه. وكيف يكون ملفتاً وقد رأت الله فيه؟ إن هذا الحب ما هو إلا تجلّ الله بجمال على قلبها وقلب نور، إنه كان استجابة لدعائها الذي كثيراً ما دعت الله به: «اللهم هب لي من لذنك رحمة». وبالفعل وهبها الرحمة من لدنه وحده. وهبها حب نور وتجلي لها فيه.

جاءت تكبيرات أذان المغرب منبهةً لها من شرودها. فنظرت في اتجاه العجوز فلم تجده. فتبسّمت وعلمت أنه أنهى مهمته ومضى. لم يتركها الله في حيرة ترجمة الإشارات وهي تعبئة مرهقة حزينة. إنه هو الرحيم. شهد عليها كيف أنها أطاعته وهجرت حبيبها من أجله، ولم تتكاسل أو تتردد، فتغمدتها برحمته، وأفاض عليها بكرمه، وأرسل إليها الرسائل مسموعة واضحة بلغة البشر وليست علامات ودلائل قد تشك في معناها. تركها الدرويش حامل الرسالة ومضى. تركها مع المعنى الأعظم والأجل، معنى كلمات الأذان: الله أكبر. الله أكبر.

ألهمتها هذه الرسائل المتتالية معنى جديداً، شعرت به في قلبها، وأحست أنه عنوان لخطوة جديدة بدأتها في سيرها إلى الله: أتألمين من أجل طاعتك لله؟ أتجاهدين نفسك إرضاءً له؟ أتتحملين عذابات الحرمان وتأبين الأنين؟ من أجل من؟ الله؟ والله إنك لست أكرم منه. ما قدّم عبد قرباناً في حب الله إلا وتُقبل وأفاض الله عليه بجودٍ وكرمٍ يعجز العبد أمامه عن الشكر من شدة الفرح. وأنتِ قدمتِ قلبك قرباناً في حب الله، وهأنا أبشّرك برطبٍ جنّي.

تناولت روح بضع تمرات أعطتها لها سيدات كن جالسات عند المقام، وشربت الماء، ثم صلت المغرب، وودعت أمها بقبلة على يدها مسحتها على نحاس المقام قائلة:

- مش عارفة هاجيلك تاني إمتي، بس أكيد لما ربنا يريد. ادعيلي ما يطولش عليه البعاد. وإنّ كمان ما تغيبش عليه وتعاليلي كتير إن شاء الله كل يوم. تعالي هتلاقيني فاتحة دراعاتي ليك علشان

تحضنيني. تضميني ليلاي وتطميني. مش الأمهات بيعملوا كده، وإنت اللي قلتيلي أنا أمك، يبقى لازم تحضنيني كتير وتطميني. باحبك.

خرجت روح من المقام في حال أفضل مما دخلت إليه. على المطار، توكلنا على الله. في الطريق فكرت روح أن في كل شارع ذكرى جميلة، ولكل مكان أثر محفور في قلبها... الآن سوف يُضاف أثر جديد مختلف عن كل الآثار والجراح التي رسمت أسماء الله على جدران قلبها، أسماء الحب والجمال والرحمة، أسماء الرحمن الرحيم الودود الحنان الحي. واليوم تنقش أسماء الجلال، ربما كان القوي؟! نعم إنه القوي الذي يجب أن تستمد منه قوة البعد عن كل ما تحب من أجل من تحب.

أنهت إجراءات السفر وصعدت إلى الطائرة. جلست في كرسيها بجانب الشباك، وألقت النظرة الأخيرة على وطنها وما يحمل بأرضه من أحباب.

أحست أن تلك المرحلة من حياتها لن تكون مثل المرحلة السابقة، لن تستغرق شهورًا وسنوات لتتقدم في طريقها إلى الله، هذه المرحلة سريعة، ورسائلها سريعة، وأحداثها قوية ومتلاحقة. لذلك لن تكون خطى، بل ستكون علامات على الطريق، علامات يجب أن تنتظر إليها وتقرأها جيدًا، ويستقر معناها في قلبها، وتكمل سيرها إلى الله بوحيه وإلهامه لها، مُسَلِّمَةً أمرها إليه تمامًا، كما فعل سيدنا نوح وهو يصنع السفينة، هي أيضًا الآن تصنع سفينتها للنجاة من أي شيء يحجبها ويفتنها عن الله، ويقيدها بإرادتها واختياراتها لنفسها. هي الآن تصنع فلکها بأعين الله ووحيه. أخرجت الأبياد، وبدأت في الكتابة:

العلامة الأولى

إذا ظننت نفسك كريمًا بطاعتك له،

فما ظنك بخالق الكرم ذاته؟

شعرت أنها تريد أن تناجي ربها بعدما استقر ذلك المعنى المطمئن بداخلها. أغمضت عينيها، ووضعت يدها على قلبها، وحدثت ربها بقلبها: «ربي إني أشهدك أن كسر قلبي هذا، ودموع عيني تلك، وحيرة نفسي هذه، ما هي إلا قربان لحبك يا حبيبًا يهفو لحبه قلبي طول الوقت، فتقبل اللهم قرباني، واسقني من حبك كؤوسًا وكؤوسًا وكؤوسًا».

فتحت عينيها وابتسمت وكتبت:

شربت من كأس غرامكم رشفةً فذبت عشقًا في هواكم أتعدبُ.

ما زالت الكأس ملاءى وما زال فؤادي يعدبُ.

اسقني من كأس هواكم كؤوسًا وكؤوسًا فأنا لا أعبأ بأي عذاب أتعدبُ.

فكلما ملأتم لي كأس العشق مرارًا تأكدت أنني لست عاشقًا بلا معشوق يمضي في عشقه وحيدًا يُعدبُ.

فما ملأ معشوق كأس العشق إلا لمعشوقه حتى وإن كان في عشقه يتعدبُ.

وصلت إلى الفندق في قونيا، ووضعت حقيبتها جانبًا. كان الحمام الساخن هو أول شيء تفعله بعد هذا اليوم الطويل ما بين المقابر ومسجد السيدة نفيسة والرحلة من القاهرة موطن الأحبة إلى قونيا موطن الحب. غسلت جسدها وهمومها بالماء الساخن الغزير، وارتدت أحد تلك الأردية البيضاء القطنية القصيرة التي ترتديها عادة عند النوم، وفتحت الستائر. كانت غرفتها في الطابق الثالث عشر. نظرت إلى قونيا من أعلى. إنها دائمًا في المستويات الأعلى. الأعلى عشقًا، الأعلى شفافية، الأعلى روحانية، الأعلى رؤية. نظرت إلى قونيا من شباك غرفة الفندق، وحدثت نفسها: «تري ماذا تحملين لي يا مدينة العشق الإلهي؟ تري كم من الزمن سوف تكونين موطني؟ تري هل سأكون نفس الروح أم أن وجودي بجانب مولى الحب سيخلق مني روحًا جديدة؟ إننا الآن ليلاً والظلام يعمك وأنوار مصابيحك تتلألأ. سوف أنام الآن وأترك أنوارك مضيئة، ولكني حين أستيقظ ستكون أنوارك مطفأة، وأنوار قلبي أنا تتلألأ بحب حبيبي».

وضعت رأسها لتنام وتذكرت رشا. تذكرت عاداتها أن تحدث ربه بقلبها كل يوم قبل أن تنام، وأن تخبره بحبها له، وتصلي على الحبيب المصطفى، فتبسمت ونوت أن تقتبس تلك العادة الجميلة من تلميذتها، وأن تأخذ منها كما أعطتها.

ابتسمت برقة وقالت: «باحبك يا رب الوجود، وباحب حبيبي المصطفى. اللهم صلّ على سيدنا محمد طيب القلوب ودوائها، وعافية الأبدان وشفائها، ونور الأبصار وضئائها، وعلى آله وصحبه وسلم. أمين».

وفجأة، وعلى غير عاداتها، وجدت نفسها تحدث نور بلسانها. قالت: «باحبك. أنا باحبك يا نور». قالتها كأنها تؤكد على عهد الحب بينهما، حتى وإن كان بعد المسافات أصبح واقعهما. قالتها كأنها تبعث برسالة إلى نور عبر عالمهما الخاص. أرسلتها ولم تنتظر الرد، فهي تعلم أنه ربما هو أيضًا يحدثها في نفس الوقت، ويرد عليها قائلاً: «أنا أيضًا أحبك يا حبيبة الروح». ولكن الرسالة وصلت إلى صاحبها. كان نور مستيقظًا لقيام الليل. فجأة شم رائحة جوز هند، رائحة روح. توقف عن الدعاء للحظة ولمعت عيناه وقال: «روح».

أخذ يشم رائحتها في الهواء كأنه يحتضنها ويضمها إلى صدره ويودعها الوداع الذي لم يستطع أن يودعها به قبل أن تغادر إلى قونيا. أخذ يشم الرائحة وهو صامت، مغمض العينين، يحدث صاحبة الرائحة بصوت خافت لنفسه: «أنا باحبك أوي يا روح. بعدت ليه وعذبتينا أكثر ما كنا متعذبين؟ جاوبيني! كان ممكن تفضلي زي ما كنت. عمرنا ما كنا هنقرب أكثر. حرمتيني من عينيك ليه؟».

أغمض عينيه، وذهب في لحظات تجلّ مع صاحبة الروح والرائحة التي تحوم حوله. قال لها: «ابتعدت فاحترت لأمر قلب أعلم أنه يهفو للاقتراب! إن كان بُعدك لزيادة الاشتياق، فعودي رجاءً فقد نلت المراد. وإن كان بُعدك استغناء، فعودي ولا تستمعي إلى إبليس الحب فليس في الحب استعلاء».

قالت له: «أحقًا تسأل وأنت سبب الابتعاد؟! ابتعدت لأن قلبي كلما دنا منك أحرقته نيران الاقتراب. أدعو ربي أن يبدلني قلبًا غير قلبي الذي يُحرق في هواك، كجلود المذنبين في جهنم تُجدد ليشعروا بالعذاب. ولكني أدعوه أن يجدد قلبي في حبك كي أستطيع أن أدنو منك وأشعر بجمال

الاقتراب. ولا تخش عليَّ حبيبي من إبليس الحب، فقد أسلم قلبه لله حين شهد كم أنا مسلمة لربي في حبك حتى وإن لم نقرب يوماً وحتى وإن طال البعاد».

اخفت الرائحة وعاد نور إلى حالته قبل تلك اللحظات التي لا يعلم مقدارها بالفعل في عالم الدنيا. تذكر تلك السترة التي تحمل عطر روح ويخفيها في خزانة ملابسه. قام إليها، وفتح الكيس الذي يضعها فيه حتى لا تتسرب الرائحة وتختفي منها. أخرج السترة لأول مرة وقربها من وجهه وشم رائحتها ولمسها. هكذا شعر. شعر أنه يلمس وجه روح وشعرها، قبل السترة أو قبلها هي. هكذا شعر. ثم أعاد السترة إلى الكيس وأحكم غلقه جيداً ووضعها بنفس الخزانة ثانية. تنفس بقوة، وأسلم أمره لله، ونهض ليبدأ طقوسه الليلية من صلاة ومناجاة وقراءة قرآن.

شعر نور أن طاقته على العبادة أعلى، وأنه انتقل إلى حال أسوأ مما كان عليه قبل أن تزوره رائحة روح. هكذا أراد الله بهما. أرادهما الله أن يكون عذاب حبهما وحرمانهما من القرب، هو الشيء الذي يسمو بروحيهما للقرب منه أكثر وأكثر. فالحب دائماً هو مفتاح القلوب، والحب دائماً هو سلم الوصول.

*

في اليوم التالي كانت روح منشغلة بالتفكير: كيف ستستقر، ومتى تبدأ البحث عن بيت، فهي بالطبع لن تقيم في الفندق طويلاً؟ ولكنها لم تكن تسمح لأول يوم لها في قونيا أن يمر دون زيارة الرومي. كانت متحمسة لتلك الزيارة جداً. كانت تتخيل أنه على قيد الحياة، ويجلسان معاً، ويتبادلان أطراف الحديث. تخيلت نفسها تتردي أجمل فساتينها وتجلس أمامه على الأرض جلسة التلميذ أمام المعلم وهو يجلس القرفصاء ويضع عمامته المميزة فوق رأسه وبجانبه الكثير من الأوراق والأقلام وبينهما طبق من فاكهة الكرز - فاكهتها المفضلة. تخيلته يمد يده إلى الطبق ويأخذ حبتين من الكرز معلقتين معاً ويعطيها إليها، ويقول: «انظري إلى هذين الزوجين، وتألمي كيف أنهما معلقتان بعضهما ببعض بنعومة ورقة. لن تجدي الكرز واحدة أبداً، إنها تُخلق أزواجاً مُعلّقة معاً، فإذا وجدت واحدة من الكرز مفردة، فاشعري بالأسف عليها لأنها فقدت شريكها، ولكنها بالتأكيد لم تُخلق وحيدة. ربما فقدته بفعل عنف يد المزارع وهو يقطفها، أو ربما فقدته بفعل عنف يد البائع، أو ربما فقدته بفعل عنف أيدينا ونحن نلنقظها من الطبق. اعلمي أيضاً أن الكرزة التي فقدت شريكها وعُلقَت ثانية مع شريك آخر، قد تتواجد بجانب آخرين وقد تجد السعادة معهم، لكنها أبداً لن تُعلق مع أحدهم كما كانت مع حبيبها الذي خُلقَت معه من البداية، فالله خلقهما معاً، ولن تتناغم روحاهما إلا معاً. لذلك كوني على يقين أن تلك الكرزة الوحيدة لن تبقى وحيدة، إنما سيجمعها الله مع شريكها يقيناً، ولكن عندما يأذن هو. وتذكري كلمتي القائلة: «لا يوجد انفصال في الحب، الانفصال لهؤلاء الذين يحبون بالعين، أما من يعشقون بالروح فلا يوجد انفصال». هكذا أيضاً خلق الله الناس. ألم يقل عز وجل: «وَأَنَّهُ خَلَقَ الرُّوحَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى؟» ألم يقل: «رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَرْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا فُرَّةً أَعْيُنٍ؟» لم يخلقهما معاً ليعيش كلُّ منهما وحيداً، ولكن ليعيشا معاً، مهما كلفهما من الوقت والأسباب والتجارب ليظلاً يبحث كلُّ منهما عن الآخر، وفي النهاية سوف يلتقيان. نحن أيضاً قد يفرقنا العنف، حتى وإن كان عنف الحب نفسه. فاحرصي أن تبقي بعيداً عن العنف ما استطعت، تجني ثمار حبك وتبقي بجوار حبيبك، فالحب رقيق كالكرز، يحتاج إلى الرفق في الزراعة والجني. وعندما تهتدي روحك لحبيبك ترفقي بنفسك وبه، فإذا كان الحب هو مفتاح

القلوب فإن الرفق هو الطريق إليه، وما كان الرفق في شيء إلا زانه ولا نزع من شيء إلا شانه. صدق الحبيب صلوات الله وسلامه عليه».

وقفت عند ذلك الوارد وتأملتة. «حتى وإن كان عنف الحب نفسه»، تلك العبارة تشبه كثيرًا الجملة التي ختمت بها خطاب الوداع الذي كتبتة لتلميذتها: «فاحرصي على ألا تحبي بقوة، فالقوة دائمًا لله». نعم إنها نفس المضمون، إنها فقدت حبيبها بسبب عنف الحب. إن عنف حبهما هو الذي فرق بينهما. ولكن الرومي أيضًا قال: «الكرزة الوحيدة لن تبقى وحيدة، إنما سيجمعها الله مع شريكها يقينًا».

تذكرت كلام الدرويش في مسجد السيدة نفيسة عندما قال لها: «النجمة دي بتاعتك إنت... زي سيدنا يوسف لما شاف الشمس والقمر له ساجدين». إنها نفس المعنى. إن الرومي والدرويش يجتمعان أنها ونور سوف يجمعهما الله مرة أخرى. فلا داعي للحزن. هكذا شعرت. شعرت بالسعادة في قلبها ثانية، ربما ليس هناك سبب ملموس لما شعرت به، ولكنها تعودت أن تتبع قلبها ولا تفكر كثيرًا، وحتى وإن كانت لا تفهم الآن فربما فهمت غدًا أو بعد غد أو ربما بعد سنوات.

نهضت وفتحت حقيبة ملابسها تبحث بين فساتينها الملونة. تريد أن تختار أجمل الفساتين وأحلاها. إنها ذاهبة لزيارة مولى الحب، فكيف لا تتزين بأجمل الثياب!

انتقت ذلك الفستان الأحمر. تعجبت كثيرًا. إنها دائمًا تميل إلى الفساتين التي يغلب عليها اللون الأبيض! إن اللون الأحمر محبب إليها، ولكنه لا يأتي على قائمة الاختيارات عندما تكون متحمسة للتزين. ربما كان ذلك الوارد والتخيل حول لقائها مع الرومي وحديثه عن الكرز.

التقطت فستانها الأحمر وارتدته. كانت به مشغولات خيطية يدوية بورود وأزهار مختلفة الألوان وامتزاحة في منطقة الصدر بالقرب من قلبها، أما باقي الفستان فلم تكن تتخلله أي مشغولات أو ورود أو أزهار. ارتدت الفستان وحملت كل الزهور المشغولة عليه بصدرها وخطفت أحد شيلانها الخضراء وانطلقت لزيارة مولى الحب.

ذهبت روح لشراء الزهور، وتوجهت لزيارة مقام مولانا جلال الدين الرومي. وقفت بعيدًا تتأمل شكل المئذنة الفيروزية التي كثيرًا ما رأتها في الصور ولم تتخيل يومًا أن يسوقها القدر للوقوف أمامها والحياة بأرضها. إنها الآن تشعر أنها داخل إحدى الصور التي كانت تراها في الكتب والأفلام وعلى صفحات الإنترنت. ها هي تقترب من واضع «قواعد العشق الأربعون»، وفي حرم مولى المحبين المحترق بنيران الحب مثلها، «حتى وإن كانت نوعية الحب الذي ربط بينه وبين شمس الدين التبريزي مختلفة عن نوعية الحب الذي ربط بينها وبين نور»، فكلاهما فقد معلمه ومرشده، وكلاهما أحب حبيبه لله وفي الله، هي أحب مرشدها ومعلمها حب المرأة للرجل، والرومي أحب شمس الدين التبريزي حب الصديق لصديقه، كلها تجليات للحب مع اختلاف المسميات، ومهما اختلفت أشكال الحب فما هي إلا رؤية لله في المحبوب.

اقتربت من الأسوار، ودخلت من البوابات، وشعرت أنها دخلت إلى عالم آخر. أخرجت شالها الأخضر من حقيبتها كما اعتادت دائمًا عند زيارة مقامات آل البيت وأضرحة ومقامات أولياء الله الصالحين في مصر.

وقفت أمام النافورة الموجودة في الساحة، وابتسمت وهي تسمع صوت خرير الماء كأنها تسمع عزف موسيقى ترحب بها في مدخل المقام. تقدمت خطوتين ورفعت رأسها تتأمل اللافتة المعلقة على باب المقام، اللافتة الخضراء المكتوب عليها «يا حضرة مولانا»، ثم اللافتة الأصغر المكتوب عليها «كعبة العشاق». ابتسمت في هدوء، وشعرت أنها بالفعل تحج لكعبة العشاق. خلعت كل شيء، وجاءت إلى قونيا منفذة أمر الله، من دون أن تسأل عن الحكمة أو السبب، تمامًا كما يفعل الحاج لمكة، يخلع الدنيا وينفذ أوامر الله بالطواف والسعي والوقوف بعرفات من دون أن يسأل عن الأسباب.

دخلت روح في خشوع، ثم توجهت إلى ضريح مولانا. كستها حالة من السكون وهي في حضرة مولى الحب. اقتربت من الضريح قدر الإمكان. جلست على الأرض، وأغمضت عينيها، وبدأت تحادثه وتستدعي بقلبه حضوره بالفعل، حضور روحه وروحها معًا في عالم الأرواح. سلمت عليه وقرأت الفاتحة وصلت على المصطفى صلوات الله وسلامه عليه. احتضنت الزهور بالقرب من قلبها، وبدأت تحادثه بقلبه مستدعية ذلك الوارد الصباحي الذي جاءها وحديثه معها عن فاكهة الكرز.

قالت بقلبه: «لقد زرنتي صباحًا. ربما كانت روحك، وربما كانت إحدى الأرواح المحبة، ولكنها أوصلت رسالتك إليّ فاطمئن، لقد فهمتها وارتديت لك ذلك الفستان الأحمر بلون الكرز لتعلم أنني فهمت رسالتك لي. ألا ترى تلك الزهور الملونة التي أحضرتها لك معي؟ ليست فقط تلك التي في يدي...».

أزاحت شالها الأخضر قليلًا عن صدرها، كأنها تريه تلك المشغولات اليدوية المشغولة بصدر فستانها: «أترى هذه الورود والأزهار الجميلة الملونة؟ إنها هنا بالقرب من قلبي. لقد عزمت على ألا أحزن كما أخبرتني، وعزمت أن أزرع هذه الورود بألوانها في قلبي، فهل ساعدتني؟! أريد أن أزرعها جميعًا. أريدها أن تنمو وتتكاثر، وأن أقطف منها أزهارًا وأعطيها لمن يحتاج. أريد أن

أزرع منها في كل القلوب. لا أريد أن يبقى قلب واحد حزينًا. فهلا ساعدتني يا مولى الحب؟! أعلم أنك سوف تساعدني وإلا لماذا أرشدني الله للمجيء إليك!». قَبِلَتْ يدها، وأرسلت إليه قَبْلَها التي تودع بها سكان الأضرحة والمقامات في نهاية الزيارة، وقالت له: «سوف أذهب الآن، ولكنني سأتي إليك كثيرًا، فلا تمل مني. ادعُ الله لي أن يجعل إقامتي في جوارك يسيرة عليّ، فأنا لم أعود الحياة بعيدًا عن موطني. أنا أدعوه ويستجيب لي دائمًا ولكنني الآن في حضرتك فكيف لا أطلب منك أن تدعو الله لي أن يحببني في الحياة في قونيا! أليس الحب هو مفتاح كل شيء؟ إذن هو مفتاح قدرتي على الحياة بها. اللهم حببني في أرضك التي اخترتها لي، واجعل لقلبي فيها سندًا، وازرع بقلبي جمال وألوان زهورها وورودها، واسقني من برودة جوها ما يبرد على قلبي نار حبي وفراق أحبتي، واجعل عيني ترى فقط جميلها، وعوضني بها عن أحب البلاد إلى قلبي كما عوضت حبيبك بالمدينة المنورة عن مكة. آمين».

*

ذهب براء إلى منزل نور وحية مبكرًا كما طلبت منه حياة، محضرًا معه البسبوسة التي تحبها.
نور: إزيك يا براء. عامل إيه؟
براء: الحمد لله يا نور. إنت مالك؟ كويس؟
نور: الحمد لله كويس. إنت قولي أخبارك إيه؟
براء: جاتلي حفلة في إسطنبول في العيد. مبسوط أوي. بقالي كثير ما سافرتش. بصراحة جات في وقتها.
تتبه نور لترتيبات الله لجمع شمل روح وبراء معًا وسريعًا في نفس البلد. صمت لحظة في ذهول، ثم أكمل حديثه لبراء.
نور: جميل. إن شاء الله تبقى حفلة موفقة. رتبت تتقابل إنت وروح طبعًا.
براء: قصدك نساfer سوا يعني؟ والله من ساعة ما مضيت العقد باكلها تلفونها مقفول، قلت النهارده لما تيجي نتفق.
نور مستغربًا:
- تيجي فين؟!
براء: تيجي على الفطار.
نور: تيجي على الفطار إزاي؟
براء: إزاي يعني إيه يا نور؟ مش فاهمك!
حياة: هو إنت ما تعرفش يا براء ولأ إيه؟
براء بانزعاج:
- ما اعرفش إيه؟ هو في إيه؟!
حياة: إنت ما تعرفش إن روح سافرت؟
براء: سافرت؟! سافرت فين؟
حياة: سافرت تركيا.
براء: تعمل إيه في تركيا؟
حياة: إنت عارف روح. مش دايمًا بتقول كل حاجة.

براء: يعني إيه؟! برضو مش فاهم إزاي تسافر وما تقوليش! يعني أد كده السفرية جات فجأة؟! وراجعة إمتى بقى إن شاء الله؟

نور: مش راجعة دلوقتٍ يا براء!

براء: برضو مش فاهم. وإنت عرفت منين يا نور؟

نور: بعنتلي إيميل وعرفتني إنها هتبقى في قونيا وإنها ما تعرفش هترجع إمتى!

براء: قونيا؟! ليه؟! وإيه اللي وداها هناك؟ ولية ما تعرفش هترجع إمتى؟ أنا مش متطمئن. في إيه يا

نور؟ إنت مخبي إيه عليّ؟! ولية تبعتك إيميل وما تبعتليش؟! ليه أصلاً إيميل؟ ليه ما اتكلمتش؟!!

نور: اهدى بس يا براء. روح كويسة ومحدث مخبي عليك حاجة. كل اللي أعرفه قلتهولك. وأنا

كنت فاكرها كلمتك تسلم عليك والله، بس واضح إنها ما قدرتش تكلمك ولا تكلمني أنا وحياة،

علشان كده كتبت الإيميل.

براء: ليه مش قادرة تتكلم؟! وإيه اللي يخليها تاخذ قرار مهم كده بالسرعة دي ومن غير ما تناقشه

معانا؟!!

حياة: إحنا زيك بالظبط مستغربين، وحاسين إن في حاجة في الموضوع، بس أنا جالي إن ده خير

ليها، وإن ليها حاجة في قونيا وراحت علشانها. أمال إيه اللي ممكن يخليها تمشي بالسرعة

والغموض ده؟ مش كده يا نور ولأ إيه؟

نور: ممكن، ليه لأ. الأيام هتبيين.

براء وصوته مشوب بنبرة يأس:

- طب أنا أوصلها إزاي وهي قافلة تلفونها؟ أنا لازم أتكلم معاها!

نور: أعتقد إنها أكيد هتشوف الإيميل حتى لو ما فتحتش التلفون، وشغلت خط تركي. ممكن تبعتلها

وهي ضروري لما هيوصلها الإيميل هترد عليك.

براء: صح. عندك حق يا نور.

حياة: رُوّق بقى إن شاء الله هتتطمئن عليها.

براء: أنا بس لسه مش مستوعب!

حياة: إحنا كمان حاسين إن في حاجة ناقصة. بس نعمل إيه؟ المهم هي تبقى مبسوفة.

براء: قلبي بيقلبي إنها مش مبسوفة!

حياة: حتى لو كانت دلوقتٍ مش مبسوفة لازم تبقى متأكد إنها هتبقى مبسوفة بعدين. صدقني أنا

حاسة بكده. مش تقوله يا نور.

نور: اطمن يا براء. إن شاء الله روح هتبقى مبسوفة.

براء: أنا من أول ما شفتك قلت إنت فيك حاجة. إنت قلقان زيي بالظبط. هتطمني إزاي وإنت

أصلاً عايز اللي يطمنك؟! ولأ إنت عارف حاجة يا نور؟! إنت عارف حاجة صح؟

نور: قوم يا براء. قوم نساعد حياة ونحضر السفرة معاها خلاص المغرب على أذان.

فهم براء أن نور يحاول أن يشغله. نهضاً معاً وشغلاً نفسيهما بتحضير المائدة مع حياة والسيدة

التي تساعدها في المنزل.

جلس الثلاثة على المائدة. تناولوا العصير والتمر ونهضوا لصلاة المغرب. صلوا جماعة وعادوا

إلى المائدة مرّة أخرى، ولكن براء استأذن في الذهاب.

براء: معلش يا حياة أنا هارُوّح. مش قادر عايز أمشي!

حياة: أبدأ. إنت بتقول إيه! أنا عملتك محشي الكربن والحمام اللي نفسك فيه. وحياتي لتتعد وتاكل!
نور: تمشي إيه؟! مش ممكن طبعًا!

براء: معلش يا نور خليني على راحتى. مش هارتاح غير لما أقعد لوحدي أنا عارف.

نور: طب كل حاجة بسيطة علشان خاطر حياة ما تزعلش.

حياة: أبوه هازعل لو ما كلتش.

براء بابتسامة مصطنعة:

- وأنا ما يخلصنيش تزعلي.

جلسوا يتناولون طعام الإفطار، وكل من نور وبراء شاردا الذهن.

كانت حياة تحاول جاهدة أن تحرك المياه الراكدة، وأن يخرج الاثنان عن صمتها وحزنهما. كان نور وبراء يردان عليها أيضًا مفتعلين عدم الحزن، خصوصًا نور، ولكن براء لم يكلف نفسه التصنع، تناول بعضًا من محشي الكربن من أجل إرضاء حياة، ثم استأذنها في الذهاب لأنه يريد أن يختلي بنفسه.

أشار نور لحياة أن تترك براء على راحتة ولا تثقل عليه.

ذهب براء، وبمجرد دخوله إلى سيارته انفجر باكياً. لم يستطع أن يتحمل كتمان دموعه أكثر من ذلك. بكى صديقة العمر وتوأم الروح التي ذهبت وتركته وحيدًا من دون كلمة وداع واحدة. سافرت لأول مرة من دون أن تطلب منه أن يصحبها. تركته يشعر باليتم وأمه وأبوه على قيد الحياة. إن كل الزحام والزخم الذي يحيط به لن يملأ الفراغ الذي تركته روح بداخله. نعم هذا هو ما يشعر به براء الآن. يشعر أنه أجوف، جسد بلا روح.

نهضت روح من جلستها بجانب الرومي، وتوجهت إلى القاعة الملحقة بالمقام والتي بها فترينات عرض للكثير من مخطوطات مولانا الرومي الأثرية، تأملت فيها، وتوجهت إلى منطقة الصلاة حيث يجلس الزائرون والمحبون يصلون ويسبحون ويقرأون القرآن، وهناك من يجلس في تأمل مستحضراً روحانيات المكان، وهناك من يقرأ كتباً سماوية أو حتى روحانية لا تنتمي إلى الإسلام، الجميع في حالة من السكون، لا أحد يستنكر على أحد اتجاهه أو عقيدته أو مظهره، الكل يقبل الكل، فمن جاء إلى هذا المقام جاء لأن منهجه هو الحب وقلبه يستوعب كل الاختلافات ويقبلها. نظرت إلى اختلاف المظهر والملبس واللغة، ووجدت نفسها تقرأ الآية الكريمة التي تصف هذا المشهد بإيجاز وإعجاز في سورة الحجرات: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ «يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ» صدق الله العظيم.

حقاً، إن الله خلقنا بكل هذه الاختلافات لتتوجه إليه بقلوبنا بالحب والتقوى وليس بأي شيء إلا من أتى الله بقلب سليم.

أمضت روح صباحها ما بين الصلاة والتساييح وقراءة القرآن، ثم قررت أن تذهب في جولة بين محلات السجاد والهدايا والسيح. وجدت محلاً صغيراً، وقفت تتأمل معروضاته، كان متجر مجوهرات صغيراً، له واجهة عرض مليئة بالعديد من المجوهرات الجميلة. لم تكن مثل هذه الأشياء تجذب انتباهها من قبل، لكنها وجدت نفسها تقف أمام المتجر وتتأمل معروضاته. جذب انتباهها قرط صغير، عبارة عن فصين صغيرين من الياقوت الأحمر. تذكرت محادثتها مع مولانا في الصباح عن الكرز. ذكّرهما القرط بتلك الفاكهة، فكلاهما يخلق أزواجاً: «زوج الكرز» و«زوج القرط».

شعرت روح بعد فترة طويلة من عدم ارتداء أيٍّ من المجوهرات أو الزينة، برغبة في ارتداء هذا القرط، ربما لتبقى ذكرى كلام الرومي معلقة في أذنيها دائماً، وربما ليبقى الأمل بجمع شملها على نور معها أينما ذهبت حتى وإن كانت لا تراه أو تحادثه.

دخلت المحل، وتوجهت نحو البائعة، وطلبت منها أن تحضر لها زوج القرط الأحمر الموجود في واجهة عرض المحل لتجربه. ارتدته، ونظرت إلى المرأة، وابتسمت لنفسها وقالت: «الله! حلوين أوي هاشترينهم». نسيت روح أن تتحدث للبائعة بالإنجليزية، فتحدثت معها بالعربية. دُهِشت البائعة من سماع روح تتحدث بالعربية، وردت باستغراب:

- بتتكلمي عربي؟!!

تنبهت روح لحديثها بالعربية، واندحشت لحديث البائعة بالعربية أيضاً، وقالت:

- أيوه باتكلم عربي، وإنْتِ كمان بتتكلمي عربي؟!!

البائعة: مصرية؟! لهجتك مصرية زي الأفلام. صح؟

روح مبتسمة:

- صح.

البائعة متسائلة باللهجة المصرية:

- أنا أول مرّة أشوفك عندنا في المحل. شكلك لسه واصلة. رحلتك لقونيا كام يوم؟

روح: هي رحلة فعلاً، بس لسه ما اعرفش هافضل فيها كام يوم.

البائعة: يعني مطولة معانا؟

روح مبتسمة:

- شكلي كده.

البائعة: طب لو محتاجة مساعدة في أي حاجة عرفيني. أنا اسمي عالية.

روح مبتسمة:

- متشكرة يا عالية. أنا فعلاً محتاجة مساعدة. أنا اسمي روح.

عالية: الله! اسمك حلو أوي. أنا أول مرّة أسمع في حياتي!

روح مبتسمة:

- إنت كمان اسمك حلو أوي. أنا أصلي دائماً باحب الحاجات العالية وعيني متشعلقة لفوق.

عالية مبتسمة:

- كلك ذوق. بتشتغلي إيه يا روح؟

روح: أنا باشتغل كذا حاجة. بس تقدري تقولي الحاجة الأساسية مصورة فوتوغرافيا ورسامة.

عالية: هائل! يعني ممكن تصوري فرح أختي؟

روح مبتسمة:

- أنا باصور نوعية مختلفة شوية من الصور، بس طبعاً ممكن أصور فرح أختك، هو إمتي؟

عالية: كل الأفراح عندنا في العيلة بتبقى في العيد. محدش يجرو عمل فرح في أي وقت غير في

العيد الصغير أو العيد الكبير. تعليمات جدي. علشان العيلة كلها تتجمع، وكل واحد يقدر يحضر،

ومحدش يتحجج بأي حاجة. واللي يعدي عليه العيدين وما يتجوزش يستنى بقى السنة اللي بعدها

علشان يعرف يتجوز. بيني وبينك لو ما عملش كده ولا كان حد من العيلة شاف الثاني. الغربية

بتقسي القلوب.

روح متسائلة:

- غربة؟! همّ كلهم عايشين بره ولأ إيه؟

عالية: كلنا عايشين بره!

روح: يعني إيه؟!

عالية: إحنا صحيح عايشين هنا من زمان، وأنا شخصياً ما رحتش بلدي ولا مرة، بس بتفضل

إيران هي بلدنا، وكل العادات والتقاليد بتاعتنا عايشة جوانا وبتتنقل من جيل لجيل. عرفت إزاي

كلنا عايشين بره؟

روح: أنا كنت فاكراك تركية!

عالية: أمي تركية. أبويا جه وراها هنا وفتح المحل ده وعاش هنا. بس جدي خلاها إيرانية أكثر

من أي واحدة في العيلة. العيلة اللي كل فرع منها عايش في حته في العالم، اللي عايش في لندن،

واللي عايش في باريس، واللي عايش في أستراليا، واللي في إسطنبول. بس جدي ماشي وراهم

زي ناظر المدرسة، مش سايب حد يتأثر بالبلد اللي عايش فيها، بالذات الأجيال الجديدة، علشان

كده بيصمم يجمعنا في الأعياد حتى لو مفيش أفراح.

روح: ربنا يخليهولكم. عنده حق طبعاً يعمل كده. أنا لو في يوم من الأيام كان عندي أحفاد كثير

وسافروا بعيد عني هاعمل زيه. العيلة دي أجمل حاجة في الدنيا، ربنا يديمها عليكم نعمة.

عالية: آمين. وإنتِ عيلتك مين يا روح. أقصد إنتِ هنا مع مين؟
روح: أنا معنديش عيلة. أنا لوحدي. عيلتي الحقيقية اتوفت، ومن بعدها عيلتي بقت أصحابي اللي سبتهم في مصر.

عالية: أنا أسفة! لكن معقول إنتِ هنا لوحديك خالص!؟

روح: لا مش لوحدي، كل الناس اللي باحبهم معايا هنا!
أشارت روح إلى قلبها، وابتسمت.

اقتربت عالية من روح واحتضنتها وقالت:

- تسمحيلي أبقى عيلتك في قونيا ونبقى أصحاب؟
روح مبتسمة:

- هو أنا أطول بيفالي عيلة عالية وحلوة كده!

عالية: إنتِ العالية!

وجدت روح نفسها ترد على عالية بردها الذي اعتادت أن ترد به على كل المقربين من روحها وقالت:

- تسللمي روحك!

تألفت الروحان وانسجمتا. وجدت روح في أول يوم لها في قونيا صديقة جديدة، روحًا من طهران. عالية: ممكن تقبلي القرط ده هدية مني في أول يوم صداقتنا علشان كل ما تلبسيه وتبصي في المراية تفتكريني حتى لما ترجعي مصر؟

روح: أنا ما باحبش أكسف حد بيمد إيده بهدية أبدًا، بس دي هتبقى هدية عالية أوي، وأنا ما باحبش الهدايا الغالية. إن كان ولا بد اشتريلي سجادة صلاة من المحل اللي جنبك على ذوقك علشان أنا باحب كل فترة أشترى سجادة جديدة وكل ما أصلي عليها أفكرك وأدعيلك، وأنا كمان هاشتريلك سبحة علشان كل ما تسبحي بيها تفتكريني، ولو افكرتيني ادعيلي باللي بييجي على بالك ساعتها، أصل الدعاء ده رزق وأنا باحب أخذ رزقي زي ما ربي بيعتهولي.

قالت عالية وقد بدا الاستغراب على وجهها:

- كلامك غريب يا روح! حاضر هاجيبلك سجادة وإنتِ جيبيلي سبحة، هالبسها عقد، أصلي ما باسبحش.

روح: يبقى ربنا خلاني أقولك كده علشان يمكن هتبتدي تسبحي!

عالية: يمكن!

دفعت روح ثمن القرط بعد أن أصرت عالية على أن تعطيه نسبة خصم كبيرة على الثمن المكتوب عليه، معللة ذلك بأن الأسعار المكتوبة هي أسعار للسائحين وهي ليست سائحة، هي صديقتها والأصدقاء لهم معاملة مختلفة.

عرضت عالية على روح تناول طعام الإفطار معها في منزل الأسرة، ولكن روح اعتذرت متعلقة بأن لديها بعض الأشياء المعلقة التي يجب عليها الاهتمام بها، ووعدتها بزيارة عندما تستقر أمورها في قونيا.

لم تخلع روح القرط، متمسكةً بما يرمز له في قلبها، ارتباطها الأبدي بنور. اقتحم اللون الأحمر حياة روح رغماً عنها؛ لون القوة، ناقشًا اسم الله القوي في قلبها بجانب كل الأسماء المنقوشة باللون الأخضر. إن هذا الخضار الذي كسا قلبها يجب أن تكون بجانبه حبتان صغيرتان من اللون

الأحمر تستقوي بهما على البعد والحرمان عن نور، ولكنها يجب أن تظل منتبهة أيضًا لرسالة الرومي لها حول فاكهة الكرز. إن مساحة القوة يجب أن تبقى صغيرة بحجم فصي الياقوت اللذين ارتدتتهما في أدنيتها. الرفق. الرفق في كل شيء حتى لو كان في الحب.

جلس براء في المقهى المطل على النيل ليستشعر حضور روح في المكان الذي كثيرًا ما جمع بينهما، ثم أخرج هاتفه المحمول ليرسل إليها «إيميل»، أملًا أن ترد عليه في أقرب وقت، وأن يستمع إلى صوتها مرّة أخرى. ولكن في كل مرّة يكتب يسمح بعدها ما كتب. لم يعتد التعبير عن عواطفه بالكتابة مثل روح ونور. لم يحتج يومًا إلى تلك المهارة في حياته. فكر كثيرًا فيما يكتب لها، ولكنه لم يجد غير عبارة واحدة يكتبها، عبارة أسالت دموعه مرّة، وعبرت عن كل ما يشعر به باختصار ومن دون تكلف. كتب لها: حبيبتي روح. أنا زعلان منك أوي!

أرسل الإيميل، ونظر إلى النيل، وغنى بصوت خافت شعر الحلاج الذي كانت روح تحب أن تسمعه دائمًا بصوته. غنى ودموعه تسيل، كأنه يرسل إليها صوته بتلك الأبيات عبر عالم الأرواح، لتسمعها وتعلم أنه يفكر بها ويفتقدها بشدة:

والله ما طلعت شمسٌ ولا غربت	إلا وحبُّك مقرون بأنفاسي
ولا خلوتُ إلى قومٍ أحدثهم	إلا وأنت حديثي بين جلّاسي
ولا ذكرتُك محزونًا ولا فرحًا	إلا وأنت بقلبي بين وسواسي
ولا هممت بشرب الماء من عطش	إلا رأيتُ خيالًا منك في الكاس
ولو قدرتُ على الإتيان جئتكم	سعيًا على الوجه أو مشيًا على الراس

*

كانت حياة تلاحظ حزن نور على فراق روح، ولكنها كانت تحترم خصوصيته ولا تسأله عن شيء إلا إذا بدأ هو بالحديث عنه. كانت تعلم أن حال نور الذي اختاره الله إليه قد يعرضه للتعامل مع الأمور بأشكال مختلفة عما يتعامل معها عموم الناس، كما أنها كانت تعلم خصوصية العلاقة بينه وبين روح. كانت دائمًا ترى روح أخته الصغيرة التي يحمل مسؤوليتها بعد وفاة صديقه المقرب وأخيها جمال، وبالطبع زادت علاقتهما خصوصية بعد أن أصبح شيخها ومعلمها الذي يشرف عليها ويرعاها بتكليف من شيخه وشيخها الشيخ الجيلاني الصغير. كانت تأمل أن تخرجه جلسة الذكر يوم الخميس المقبل من حالة الحزن والقلق التي اعترضته منذ أن غادرت روح بهذه الطريقة الغامضة.

تقابل الجميع يوم الخميس في منزل نور وحية لمجلس الذكر. كان آخر خميس في رمضان، وبالطبع آخر مجلس. بدأ المجلس مختلفًا بغياب روح. الجميع يبحث عنها ويتساءل أين هي؟ وكما علم أحد من الحضور بعدم وجودها استغرب لغيابها؛ فما كانت روح أبدًا لتغيب عن مجلس ذكر، خصوصًا في آخر خميس في رمضان.

دخل براء، وأسرع إليه نور قبل أن يدخل المجلس متسائلًا:

- في أي أخبار من روح؟

براء: بعثلها إيميل ولسه ما رديتش!

نور: خير إن شاء الله. أكيد لسه ما شافتهاوش.

براء: تفتكر؟

نور: متأكد. روح مش ممكن ما تردش عليك.

دخل براء وجلس كما تعود على الأرض بجانب المشايخ الحضور، ليكون في خدمتهم. ربت أحد المشايخ على كتفه كأنه يعلم بما يشعر به وقال له:

- سيبها على الله وقول يا رب.

نظر براء إلى الشيخ وقال:

- ونعم بالله. يا رب.

اعتاد المشايخ أن يوجهوا موضوع الدرس حسبما يشعرون. لم تكن الدروس قَطُّ معدة مسبقًا، وإنما كانت دائمًا تتوقف على شفافية الشيخ، وشعوره بما يحتاج الحاضرون في المجلس إلى الحديث عنه. في ذلك اليوم شعر الشيخ بضرورة الحديث عن الفراق. بدأ الشيخ كلامه عن فراق رمضان، ثم تطرق إلى الفراق بشكل عام: فراق الأهل والأحبة، وضرب مثلًا بالحبيب المصطفى عليه أفضل الصلاة والسلام، وكيف تأثر لفراق أحبة كثيرين، بداية من زوجته وحبه الكبير وأم أولاده السيدة خديجة، مرورًا بعمه وأخيه في الرضاعة سيدنا حمزة، وصولًا إلى ابنه إبراهيم وحزنه بشدة عليه لدرجة البكاء ومقولته الشهيرة حينها: «إن العين لتدمع، والقلب ليحزن، ولا نقول إلا ما يرضي ربنا، وإنا لفراقك يا إبراهيم لمحزونون».

كان الشيخ يوضح أنه لا بأس من الحزن بسبب الفراق، فنحن بشر، ولكن يجب علينا الاقتداء بالمصطفى والتعلق برحمة الله واليقين بتعويضه لنا. إن الله دائمًا ما يعطي بعد المنع، لأنه هو المانع كما هو المانع، وما تجلى اسم الله المانع في شيء إلا وأعقبه تجلٍ لاسمه تعالى الباسط في شيء آخر، فيجب أن تتعلق القلوب بالله ورحمته، ولا تترك نفسها فريسة لليأس، لأنه لا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون.

هكذا تلقى نور وبراء رسائلهما من المجلس عن الفراق، متسائلين بينهما وبين نفسيهما: «تُرى متى ستنزل بنا رحمة الله؟ تُرى كيف سيأتي التعويض عن فراق روح؟».

وجدت روح في قونيا بيتًا صغيرًا بحديقة صغيرة بالقرب من بيت عائلة عالية. البيت ذو طابع معماري قديم كباقي البيوت الموجودة في المنطقة. أخبرها صاحب البيت أنه قام بفصل هذا الجزء الصغير من المنزل عن البيت الأصلي ليحصل على بيت متوسط الحجم يعيش فيه مع أفراد أسرته القليلة بعد أن غادر معظم أولاده للعمل بأوروبا. أخبرها أنه لم يكن ليؤجر هذا الجزء من بيته إلا بعد أن يطمئن إلى حسن أخلاق المستأجر، وقد اطمأن لها بالفعل.

اطمأنت روح بدورها للحي وصاحب البيت، وأحبت بيتها الجديد، وكانت متحمسة لإضافة لمساتها عليه بتلك القطع التركية التي وقعت في غرامها وهي تتجول في الأسواق: هذه الأرضيات الخشبية العتيقة ستزداد جمالاً بقطعة سجاد يدوي ذات ألوان ونقوش عثمانية مميزة، والجدران أيضًا ستبدو مبهجة أكثر بعد إضافة قطعة كبيرة من قماش البحارة المميز. خرجت روح أخيرًا خارج «الكومفورت زون»، خارج بيت العائلة ودائرة الأصدقاء وبلدها، ولكنها لم تخرج بقلبها وروحها عن مسارها الذي اعتادت الطواف فيه. ما زال قلبها يهفو للمزيد من حب الله، وما زالت روحها تهيم وتطوف في ملكوته، وما زالت عيناها معلقتين على السماء الزرقاء تتوق للوصول إلى قطع غزل البنات السابحة التي يراها الناس سحابًا.

كانت عالية تصاحبها في كل يوم بعد الإفطار لشراء احتياجاتها من محلات مختلفة عن الموجودة في المناطق السياحية. أما الصباح فكان من نصيب حضرة مولانا. كانت تتأمل الوجوه الزائرة، وتنسج في خيالها تصورات لأحاديث الزائرين مع مولانا. كانت تتجول بين الزائرين، الذين يبدو عليهم أنهم أصحاب حاجات أو حزاني، وهي مبتسمة، مرتبة على أكتافهم، مطمئنة إياهم بابتسامة رقيقة، وبأن الأمور سوف تصبح على ما يرام. كما كانت تفعل تمامًا مع زائري السيدة زينب والسيدة نفيسة وسيد شباب أهل الجنة الحسين، عند مقاماتهم الشريفة في مصر. تعود الزائرون على وجهها وشكلها وتصرفاتها المحبة المشعة أملًا. لم يكن هناك تفسير ملموس أو منطقي للراحة التي كانوا يشعرون بها بعد أن يتبادلوا معها كلمات قليلة بالعربية غير الكاملة، ولكنهم كانوا من نوع البشر نفسه الذي اختار أن يمشي خلف قلبه ولا يفكر كثيرًا في الأمور التي ليس لها تفسير مرئي أو ملموس لهم.

سألته إحدى السيدات التركيات ذات يوم عن اسمها، فأجابته بأن اسمها «روح»، فقالت لها السيدة مبتسمة:

- إذن أنتِ روح مولانا!

ابتسمت روح، وأمسكت بيد السيدة امتنانًا لذلك الوصف، وقالت لها:

- إن روح مولانا في كل مكان.

وأشارت إلى قلب السيدة، وقالت:

- روح مولانا هنا.

وأشارت إلى قلبها هي، وقالت:

- وهنا.

ثم أشارت بيدها بعيدًا وقالت:

- وفي كل القلوب.

ابتسمت السيدة لها، ووضعت يدها على قلب روح، وقالت:
- إذا كانت روح مولانا هنا فأنا لم أخطئ، وأنتِ بالفعل روح مولانا!

*

لم تستشعر روح بعدُ أن بإمكانها فتح هاتفها المصري. كانت تريد أن تلتزم بعهدتها الذي عاهدت نفسها به، وأن تمضي في الهجر الجميل من دون أن تلتفت. كانت تخشى أن تكون موجة الاحتياج التي اجتاحت نور من النوع الشرس الذي قد يعصف به بقوة، ويدفعه للتصرف متخليًا عن حكمته وهدوئه المعتادين. لم تكن تعلم أو تدرك كيف حاله، ولكنها سمعت فجأة تلك الكلمات في أذنيها: «إني لا أطيق صبرًا على بعادك، ولا طاقة لي على الفراق. عودي أيتها القديسة المحرمة، وابقى بالقرب مني، كي أبحر في عينيك الساحرتين كلما اشتقت إلى الإبحار داخل روحي، فبريقهما مرساي وشاطئي. لا تتركيني في حبك بلا مرسى، ولا تجعليني أغرق في دوامة عشقك يا روحي! أفتقد غمزة خدك الأيمن، وأحسدها لأنها معك، وأينما ذهبت تزين وجهك. لا أدري حقيقةً أهي التي تزينك أم أنتِ التي تزينينها بابتسامتك. أنتما معًا، وأنا وحدي، يعتصر قلبي الشوق إليكما. اعتدت أن تعطري حياتي برائحة جوز الهند. عودي وعطري حياتي بوجودك، فما عدت أشم أيًا من روائح الزهور أو الفاكهة من حولي! لقد ذهبت وأخذت معك الرائحة والطعم والروح من كل الأشياء! أرجعي وأرجعي كل شيء إلى طبيعته، فزهر الزنبق الأبيض المحبب إلى قلبك حزين لفراقك، كما أنا حزين. إن قطرات الندى عليه لا تجف بشروق الشمس كالمعتاد. أشعر أنها ليست قطرات ندى، ولكنها قطرات بكاء. تمامًا كالتي أبكيك بها ليلاً ولا تجف حتى الصباح. يأخذها الزنبق عني، يأخذها مني دموعًا وتبقى عليه قطرات ندى، فلا تفضحني دموعي صباحًا بحبي، ولا يفهم قطرات نداءه غيري! كلانا معذب في فراقك وببيكك. أنا بالدمع ليلاً، وهو بقطرات الندى صباحًا. حتى الورود تبكيك ندى يا زهرتي!».

سمعت روحه مرّة أخرى كما سمعتها في ليلة الذكر الأخيرة لها بمصر، وعرفت إجابات الأسئلة التي كانت تجول برأسها. لم يحن الوقت بعد لفتح هاتفها المصري. ولكن براء! لقد مضى أسبوع لها في قونيا ولم تتصل ببراء ولا تعلم كيف حاله. من المؤكد أنه التقى بنور وعلم بأمر سفرها. بدأ القلق ينتابها بشدة على براء. التقطت هاتفها التركي لتحادثه، ولكن الوقت كان متأخرًا. عقدت النية على أن تتصل به صباحًا، وفجأة تذكرت أنها لم تتفقد الإيميل الخاص بها منذ قدومها إلى قونيا. فتحت الإيميل لتلقي نظرة خاطفة، وتتأكد من أنه ليس هناك شيء مهم يجب الرد عليه. توقفت بعينيها على اسم براء. كان قلبها يدق سريعًا ولا يتحمّل اللحظات التي يتطلبها الهاتف لتحميل محتوى الإيميل. كانت الرسالة جملة واحدة فقط، قرأتها فانسابت دموعها.

هل تتصل به الآن أم تنتظر إلى الصباح الباكر؟ فكرت أن تكتب له «إيميل» يقرأه بمجرد استيقاظه ليعلم أنها قرأت رسالته، وتخبره أنها سوف تتصل به فيهدأ قليلاً، وتهدأ هي أيضًا حتى الصباح وتفكر فيما ستقوله له.

لم تجد الكلمات التي تعبر بها، لكنها تذكرت أبيات المتنبي التي اعتاد براء منذ كانت حبيسة في سجن زواجها أن يختم بها حفلاته ليعلمها أنها معه حتى وإن غابت بجسدها عنه.

كتبت:

إلى توأم الروح براء أقول:
«أبلغ عزيزًا في ثنايا القلب منزله

أني وإن كنتُ لا ألقاهُ ألقاهُ
وأن طرفي موصولٌ برويته
وإن تباعد عن سُكناي سُكناهُ
يا ليته يعلمُ أنني لستُ أذكرهُ
وكيف أذكرهُ إذ لستُ أنساهُ
يا مَنْ توهمُ أنني لستُ أذكرهُ
والله يعلمُ أنني لستُ أنساهُ
إن غابَ عني فالروحُ مسكنهُ
مَنْ يسكنُ الروحَ كيف القلبُ ينساهُ».

حاول تبقى مش زعلان أوي لغاية بكرة الصبح الساعة ١٠ بتوقيت مصر لحد ما أتصل بيك.
باحبك أوي، وآسفة جدًا والله، بس أنا متأكدة إنك مش هتبقى زعلان لما نتكلم.
خد بالك من نفسك علشان أنا باحبك!

روح

أرسلت الإيميل، ثم توضأت وقامت تصلي لربها وتناجيه. صلت وقرأت القرآن ودعت لنور أن يلهمه الله الصبر، ويقويه على البعاد، ويفيض عليه من هباته ورحماته ما لا يشغله عن دوره الذي اختاره الله له، فهي ما مضت وما ذهبت بعيدًا إلا حمايةً له من فقدان هالته النورانية. استغرقت في المناجاة: «دعوتك ربي له، ويقيني الإجابة، وأنت القريب لست بعيدًا. دعوتك ربي أن تسعده في بُعدي عنه، فهو بعيد. دعوتك ربي أن تحميه، وتحصنه من كل ضعف، حتى لو كان ضعفه إحساسه بالبُعد عني، فهو وأنا، بعيد.

دعوتك ربي أن تعطيه القوة والقدرة والتمكين حتى يلمع بشدة، فأراه وأرى بريقه من بعيد. دعوتك ربي أن تلهمه وتعلمه وتعطيه الحكمة حتى يُفكر ويتفكر، فلا يندكرني وهو بعيد. دعوتك ربي بكل ذلك، ويقيني الإجابة، فعلمت أنه بدعائي له لن يقترب مني وسيظل بعيدًا. دعوتك له، وما دعوت لنفسي، فهو نفسي وأحب ما في نفسي إليّ، فهو القريب البعيد. دعوتك كثيرًا، ولكني أبدًا ما دعوت أن تجعله مني قريبًا، فكيف أطلب ما لم تعطه أنت لي، وأمرت أن يكون عني بعيدًا. فيا حاضرًا لا يغيب، وقريبًا ليس بعيدًا، اجعلني قريبةً منك، ولا تجعلني عنك أغيب. غيبي عنه، وعن كل ما يجعلني عنك بعيدة. غيبي عنه رحمةً وحبًا ورفقًا بقلبٍ ذهب به العشق إلى بعيد».

*

عندما استيقظ براء في الصباح التقط هاتفه كالعادة ليتفقد المكالمات والرسائل. لم يصدق نفسه. وجد إيميل من روح. شعر بنفس شعورها عندما رأت اسمه وسط زحمة الرسائل. كان قلبه يدق بسرعة ولا يطيق لحظات تحميل الإيميل. وجد براء رسالة داخل الرسالة، وأجاب بصوت مسموع محدثًا نفسه: «أنا خلاص مش زعلان، إنتِ بس وحشتيني أوي!». كانت الساعة ما زالت التاسعة، وبقي من الوقت ساعة على اتصال روح. فكر براء أن يتصل بنور ويخبره أنه تلقى ردًا من روح.

براء: الحلوة ظهرت، وبعثتلي إيميل، وهتكلمني كمان بعد ساعة!
نور باستغراب:

- روح؟

براء: هوّ في أجمل منها. طبعًا روح!

نور: الحمد لله. طب قالتك هي كويسة يعني ومبسوطة؟ أخبارها إيه؟
براء: ما قالتش أي حاجة خالص!

نور: يعني إيه؟! بعنت إيميل فاضي؟! ما تتكلم جد شوية بقى يا براء!
براء: وحياتك باتكلم جد. كتبتلي شعر المتنبي اللي أنا باختم بيه حفلاتي، واطر واحد بس في الآخر بتقوللي فيه ما أزعش منها وإنها هتكلمني الساعة ١٠. قلت أفرحك معايا.
نور بلهجة معجبة:

- شعر المتنبي! حتى في ردها عليك مختلفة! أنا متشكر يا براء إنك كلمتني، بس ربنا يرضى عليك أول ما تخلص كلام معاها كلمني على طول أنا هابقي مستني!
براء: طبعًا يا مولانا ودي عايزة كلام. ولأ تلاقها هتخلص معايا وتكلمك.
نور بلهجة يائسة:

- ما افتكرش. المهم طمني أول ما تخلص.
مضت الساعة الباقية في انتظار الاتصال على براء مثل الأطفال عندما ينتظرون الوصول إلى مدينة الملاهي يوم الإجازة. كان ينظر في الساعة كل دقيقة، ويتأكد أن إرسال الهاتف يعمل، وأن البطارية مشحونة لتكفي محادثة طويلة من دون انقطاع.
رن هاتف براء أخيرًا برقم دولي من خارج مصر. رد سريعًا وبلهفة.
براء: ألو.

روح: يسلملي الصوت وصاحبه وروحه!
براء بشوق:

- يااااااه! وحشني الصوت وصاحبته وروحها وكلامها!
روح: إنت اللي وحشتني أوي. بجد إنت مش متخيل أنا حاسة بإيه. والله يا براء في حنة في قلبي بتوجعني!

براء: طب وليه يا روح؟ ليه من الأول توجعي قلبك وقلوبنا معاك؟!
توقفت روح عند كلمة «قلوبنا». إنه يقصد نور أيضًا. ثم قالت:

- غصب عني وحياتك. بس أنا عارفة إنك هنفهمني.
براء: أنا سامعك يا روح اتكلمي.

روح: لسه ما اتأذنيش أقولك. بس كفاية إنك تعرف إن ربنا عايزني هنا، وهو اللي دلني على هنا، زي ما دل نور في يوم من الأيام على المغرب، وزي ما دل على الرجوع لمصر ثاني، وفي كل مرة كان بيمشي ورا قلبه كان بيقاله حاجة في البلد اللي بيروحها. ادعيلي الأقي حاجتي اللي ربنا بعنتي هنا علشانها وما يطولش انتظاري!

براء: ربنا يسعدك يا حبيبتي. كلامك المفروض يخليني أفرحك، بس الفراق صعب، وأنا بجد حاسس إن حنة مني بعيدة عني!

روح: وغلاوتك أنا زيك، بس أنا خلاص أجرت بيت، وإن شاء الله أول ما أستقر هابعتك تذكرة علشان أشوفك وأشبع منك، ولو إني عمري ما باشبع منك!
براء: فكرتيني، أنا عندي مفاجأة ليك، أنا جاي عندك في العيد، عندي حفلة في إسطنبول.
روح بسعادة:

- يا نور النبي! شفت ربنا جميل إزاي وجمعنا بسرعة! الحمد لله!

براء: صحيح والله عندك حق. ربك مرتبها من بدري. ملناش يد في حاجة.

روح: سبحانه!

براء: بمناسبة نور النبي، أقول لنور هتتصلي بيه إمتى علشان هوّ مستني جنب التلفون؟

روح بتوتر:

- لا ما تقولش حاجة خالص يا براء، أنا مش هاقدر أتكلم مع نور دلوقت!

براء متعجبًا:

- سبحان الله في نور ده! تصوري إنه قالي كده برضو!

روح بلهفة:

- قالك إيه؟

براء: قال إنك مش هتكلّميه!

روح بنبرة حانية:

- ربنا يحميه!

ثم أكملت حديثها:

- طيب يا حبيبي، ابعثلي تفاصيل رحلتك علشان أظبط أجيلك إزاي.

براء: لا أنا اللي هاجيلك وهافضل معاك شوية. لازم أطمئن عليك وأشوفك عايشة فين.

روح: تسلملي ويسعدك يا رب. ما تزعلش مني علشان مشيت من غير ما أسلم عليك! ما قدرتش

والله!

براء: أنا ما اعرفش أزعل منك يا روح. أنا بصيت لقينك مش جنبي حسيت إن روحي مش فيّ، ما

بقيتش عارف أعمل إيه!

روح: حقك عليّ!

براء ممازحًا:

- حقي هاخده لما آجي أقعد في أرابيزك لحد ما تزهقي مني وتقولني يا ريتني ما عرفته طريقي!

روح مبتسمة:

- إنت عارف إن ده مش ممكن يحصل أبدًا. هابعتلك العنوان في إيميل، والرقم اللي باكلمك منه ده

خليه معاك إنت بس. فاهمني. وكلمني أي وقت وخلي بالك على روحك.

براء: حاضر يا روح. إنت كمان خدي بالك من نفسك.

أنهى براء المكالمة، وأخذ يقفز في الهواء، تمامًا مثل الأطفال. لقد سمع صوتها واطمأن عليها

وسوف يراها بعد أيام معدودة. لن يظل براء بلا روح طويلًا، سوف يرد الله إليه روحه ثانيةً،

سيكون العيد هذا العام عيدًا بالفعل.

شعرت روح أن جزءًا بداخلها ارتاح بعد أن تحدثت مع براء. رحمة الله بها سوف تجمعها مرّة

أخرى على توأم روحها بأسرع مما كانت تتخيل. إنه وليها ويدبر لها، فنعم المولى ونعم النصير.

بدأت روح يومها بسعادة بعد أن سمعت صوت براء، فذهبت كما اعتادت للمكوث بجانب الرومي. شعرت أن هذه السعادة تتزاحم بداخلها وتبحث عن مخرج تترجم فيه هذه الأحاسيس. لم تكن هذه المرّة أشعّارًا، ولكنها كانت خطوطًا تبحث عن ورق لترسم إحدى اللوحات التي تعبر عن حال يمر بها أو تمر هي به.

بعد زيارة الرومي وصلاة الظهر جلست روح في زاوية في القاعة الملحقة بمقام مولانا. افترشت فستانها الملون، وعلى رأسها شالها الأخضر، أخرجت ألوانها ودفتر الرسم من حقيبتها، وجلست ترسم في سكون. كان المارة ينظرون إليها ويبتسمون. كانت هناك بعض السيدات يشرن إليها من بعيد ويتهامسن عنها وهي جالسة غير مكترثة لا تفهم حديثهن وربما لا تسمعه، فهي الآن تسبح في عالمها الخاص المليء بالألوان والأحاسيس. جاءت إحدى السائحات مقتحمة خلوتها وموجهة الحديث إليها بالإنجليزية، مبتدئة بالسلام بالعربية بلهجة متعثرة.

السائحة: السلام عليكم.

روح: وعليك السلام والرحمة.

السائحة: أسفة لإزعاجك!

روح: أبدًا، لا يوجد إزعاج بالمرّة.

السائحة: أنا أنجيل، من اليونان.

روح: أهلاً أنجيل، أنا روح من مصر.

السائحة باستغراب:

- لقد تصورت أنك من أهل قونيا. مظهرك مختلف قليلاً عن المصريين!

روح: بالفعل، مظهري مختلف عن أغلبية المصريين، ولكن تبقى القلوب كلها تشبه بعضها في كل مكان، وهذا هو الأهم.

السائحة: بالفعل، القلوب هي الأهم. لقد كنت أراقبك وأنت ترسمين. هل ترسمين صورًا لزوار الرومي كنوع من التذكّار؟

ابتسمت روح:

- لا. أنا أجلس وأرسم ما أحب: آيات قرآنية، حكم مولانا الرومي، أو ربما أشياء أخرى تمر بي فأرسمها.

السائحة بخيبة أمل:

- لقد ظننت أنني سأحصل على رسمة منك لأظل أتذكر زيارتي للرومي كلما نظرت إليها!

ابتسمت روح وربتت على كتفها:

- ما زال بإمكانك الحصول على رسمتك.

لمعت عينا السائحة مستفسرة:

- كيف؟!

روح مبتسمة:

- يمكنني أن أرسم لك بالخط العربي إحدى حكم أو أقوال مولانا في الحب، وتكونين قد حصلت على ذكرى منه بيدي.

السائحة بسعادة:

- يا لكِ من ملاك! إنكِ بالفعل ملاك من الملائكة التي تهيم حول ضريح الرومي مليية أحلام الزائرين!

ابتسمت روح وقالت:

- إذا كان في استطاعتي إسعادك فلم لا؟

جلست السائحة اليونانية أمام روح تنظر إليها بشغف وهي تمسك بورقها وأقلام ألوانها وتستغرق في التخطيط والكتابة. كان الزائرون من السائحين وأهل البلد يمرون بهما، ويتوقفون ليتأملوا هذا المشهد الجديد. جاء البعض مقترّباً يسترق النظر إلى الرسم، والبعض الآخر يستفسر عن سعر الرسمة وكم تستغرق من الوقت. بدأ عدد المتحمسين للرسم يتزايد حول روح التي تعجبت واستغربت: ما الذي يحدث؟ لقد وضعها زوار الرومي ووضعتها تلك السائحة أمام وظيفة جديدة لها لم تكن في الحسبان. إن تلك السيدة اليونانية لم تأتِ إلى روح لترسمها فقط، ولكن لتوصل إليها رسالة. جاءت لتجعل روح رسامة لزوار الرومي، ومخططة بيدها ذكرى لهم منه. فهمت روح رسالتها كالمعتاد، وغمرها الشكر والامتنان لتولي الله لها في كل أمورها. لم يرزقها الله عالية الصديقة الجديدة فقط، ولم يدلها سريعاً على بيتها الجديد لتألف الحياة في قونيا وحسب، ولكنه أيضاً وضعها أمام مصدر للرزق في هذه البلدة، ولم يتركها تحتار وتجرب وتدق الأبواب.

أنهت روح الرسمة أو المخطوطة العربية الجميلة لأحد أقوال الرومي الخالدة، كتبت: «لا تحزن فأي شيء تفقده سيعود إليك في هيئة أخرى»، ورسمت اسمها أسفل الرسمة، وكتبت ترجمة باللغة الإنجليزية خلف الورقة، ثم ابتسمت برقة وأعطت المخطوطة للسائحة. فرحت أنجيل بالرسمة والمعنى الذي كان بمثابة إجابة أو رسالة من الرومي، وأقبلت على روح تقبل رأسها قائلة: - ألم أقل لكِ إنكِ ملاك! إنكِ بالفعل ملاك!

ابتسمت روح وقالت:

- إنكِ أنتِ الملاك. ألم تخبريني بأن اسمك «أنجيل»؟ إذن أنتِ جنّت لي برسالة وقد وصلتني.

السائحة: على الرغم من أنني لا أعلم ما الرسالة التي وصلتكِ، ولكنني أعلم جيداً أن البشر كلهم رسل محملون برسائل لبعضهم البعض. أرجو أن تكون رسالتني قد أسعدتك كما أسعدتني برسمتكِ الجميلة.

قالت روح وهي تربت على يديها:

- رسالتك أسعدتني جداً.

سألت السائحة روح عن ثمن الرسمة، ولكن روح رفضت أن تتلقى منها أي نقود، مُصرةً على أنها هدية من الرومي لروح يونانية جميلة جاءت زائرة وهائمة، ويجب أن تقبل الهدية.

شكرتها أنجيل بشدة، ومضت تاركة روح يلتف حولها الزائرون من أجل رسوماتها العربية الجميلة، متشوقين للعبارات التي سوف تكتبها، ومقتنعين تماماً بأن تلك العبارات هي رسائل مرسله من الرومي إليهم عبر روح ورسوماتها.

في القاهرة، طمأن براء نور على روح، وأخبره بكل ما قالته له. أخبره عن تلميحاتها بأن الله يريد لها هناك، وأنها سوف تظل إلى أن تعثر على ما أرسلها الله إليه، أو تتلقى إشارة أخرى بتغيير وجهتها إلى مكان آخر، تمامًا كما حدث مع نور نفسه من قبل. تعجب نور من قدرة روح على صياغة الموقف لبراء بهذه البراعة والبساطة، فهو يعلم أنها لا تستطيع الكذب كما لا تستطيع أن تخبره بحقيقة سبب سفرها، ولكنها استطاعت أن تصل بحكمة إلى صياغة لائقة يستوعبها براء ويحترمها، ولا تجعله يسأل عن مزيد من التفاصيل بدافع الفضول أو حتى القلق عليها.

شعر نور بالارتياح نوعًا ما بعد مكالمته براء، فقد استشعر أن أمور روح تسير على ما يرام، وأنها مستقرة معنويًا إلى حدٍ ما، لدرجة جعلتها قادرة على البحث عن بيت والاستقرار في فترة وجيزة. كما أنه ارتاح لفكرة ذهاب براء والمكوث معها لفترة للاطمئنان عليها. تمنى أن يسمع صوتها ويتحدث إليها، ولكنه حبس تلك الأمنية في قلبه كما اعتاد أن يحبس مشاعره وحبه لها. كان يذكر نفسه بنصيحة شيخه الجبلاني في آخر زيارة له، كانت نصيحة واحدة شاملة وجامعة، فهكذا يتكلم الشيوخ المربون الوارثون، يتكلمون بكلمات قليلة من دون شروح أو تفاسير، ويفهم كل مرید على قدر فهمه وحاله.

قال له: «يقول مولانا أبو الحسن الشاذلي: لن يصل الولي إلى الله ومعه شهوة من شهواته أو تدبير من تدبيراته أو اختيار من اختياراته».

فهم نور المقولة، ولم يناقش شيخه فيها. فهم أن الله وضع حب روح في قلبه بهذه القوة ليتعلم كيف يروض احتياجه إليها، ويسيطر على هذه المشاعر الراقية، لا أن يجعل حب روح هو المسيطر عليه، فقط عندما يسلم لله أمر عشقه لروح كاملاً، يكون قد أصبح أهلاً للولاية.

عقد نور العزم على أن يعكف على الدراسة والقراءة بقوة، وينغمس فيهما، حتى لا يكون لديه وقت للتفكير في روح إلى أن يتغلب على نفسه وضعفها ويعود بالقوة نفسها التي كان عليها من قبل. هو الآن في مهمة، مهمة ترويض النفس.

لاحظت حياة الارتياح الذي أحس به نور بعد مكالمته براء، وانتهزتها فرصة لتعبير له عن الملل الذي بدأ ينتابها، فهي لا تطيق الحياة على نمط واحد لفترة طويلة، كانت الأشهر الأربعة بصحبة نور وهو في حالته المزاجية الصعبة وضغاً يتقل على حياة ويقلل من قدرتها على التحمل.

كانت طبيعة حياة المختلفة السبب الأساسي الذي جعلها هي ونور يتفقان على تأخير قرار الإنجاب؛ فتربية الأطفال مسؤولية كبيرة تحتاج إلى تفرغ، مما قد يضطرها إلى الاستغناء عن نمط حياتها الذي لا يتماشى مع تنشئة أطفال واستقرار أسرة. الاستغناء عن حياة الحرية التي تحياها كان تضحية كبيرة بالنسبة إليها، حتى وإن كانت تلك التضحية من أجل إنجاب طفل.

*

كانت الأيام المتبقية على العيد مزدحمة على الجميع: براء مشغول في ترتيبات الحفل مع المتعهد، وروح تضع لمساتها الأخيرة على بيتها الجديد، وتتأكد من أن كل شيء أصبح على ما يرام، وأن البيت جاهز لاستقبال الضيوف الأعزاء على القلب القادمين من أم الدنيا مصر.

كانت عالية تقترب يوماً بعد يوم من روح: ساعدتها في الانتقال إلى البيت، ولازمها يومياً حتى انتهت من شراء كل احتياجاتها. كانت روح في تلك الأثناء تتحدث معها كثيراً عن حياتها في

مصر، كانت تتكلم كثيرًا عن براء ونور وحياة وتستحضر ذكرياتها معهم. شعرت عالية بالانجذاب للشخصيات الثلاث، وتمنت أن تراهم وتكون لديها تلك الخصوصية في العلاقة معهم. إن ذلك المربع الساحر يفتح أي روح بقوة، ويفرض جماله، ويصل إلى القلوب بسرعة، ولا تقيد أزمته ولا تحده مسافات. لم تخفِ عالية تحمسها لرؤية براء عندما عرفت أنه قادم في العيد، وأحست أن ما تمنته سوف يحدث قريبًا، وسوف ترى ضلعًا آخر من المربع المحب.

عالية: إنتِ عارفة يا روح! على أد ما أنا مبسوطة إني هاشوف براء بعد كل الحكايات اللي شوقتيني بيها عنه دي، إلا إني متغاضة جدًا. كان نفسي أوي آجي معاكِ إسطنبول وأسمعه بيغني. فرصة يمكن ما تتكررش تاني، بس طبعًا ما اقدرش أفتح بقي وألمح حتى أدام جدي إني عايزة أسافر في العيد وما ابقاش موجودة وسط العيلة!

روح: صحيح إنتِ قلتيلي إن فرح أختك في العيد وكنتِ عايزاني أصور الفرحة! ده كلام برضو يا عالية تسيبي أختك في فرحها!

عالية: يعني تفتكري يا روح لو كان فرح شاهيناز بعد كام يوم كنتِ هابقي قاعدة معاكِ كده! الفرحة في العيد الكبير.

روح: أه. أنا تصورت إنه في العيد ده وكنتِ ناوية أعتذر لبراء.

عالية: يا حبيبتي! بقى كل الشوق اللي عندك لأصحابك وكنتِ مش هتسافريله علشان تصوري الفرحة؟! الفرحة!

روح: يوم زيادة يزيد الشوق ويقويه ما يضرش. بالعكس ده يزيد اللقا جمال.

عالية: باحب أسمعك أوي وإنتِ بتتكلمي. إنتِ عارفة إن لو شاهيناز سمعت كلامك ده هتحبك أوي، أصلها حبيبة جامدة على الآخر، ومتخيلة إن حياتها مع تاج هتبقى حاجة كده زي الأفلام القديمة، حب وهيام طول الوقت. بتصعب عليّ، لما هتفوق على الحقيقة اللي كل المتجوزين بيفوقوا عليها وتكتشف إن العشق والغرام بالشكل ده في الكتب والحواديت وبس!

روح: ليه شايعة حياتهم كده؟ هو تاج أد كده مختلف عن شاهيناز؟

عالية: مش فكرة مختلف. هوّ من الأساس مفيش راجل ممكن يبقى برومانسية وهيام شاهيناز، لكن تاج شخص لطيف، وأنا شخصيًا باحبه.

روح: مش لازم يبقى رومانسي علشان يلاقوا مناطق السعادة بينهم. لو حنين هيحس بيها، وهيّ هتقدر إحساسه ده جدًا. لو مش أناني هيجب يسعدها، وده في حد ذاته الهدف من الرومانسية، الوصول إلى السعادة، مش ممارسة الرومانسية هي السعادة في حد ذاتها. لو كريم مش هيبخل يعبر عن مشاعره ليها، ودي حاجة هتسعدها. لو لطيف زي ما بتقولي، يبقى الوقت معاه هيبقى ممتع، وهتحمس إنها عايزة تبقى قريبة منه. في مناطق كتير للسعادة ممكن يلاقيها الرومانسيين مع أشخاص مش رومانسيين، وتوصلهم لنفس النتيجة اللي كان ممكن يوصلوها عن طريق الرومانسية. السعادة لها طرق كما الطرق لله بعدد أنفاس البشر، كل واحد له طريقه. عالية مبتسمة:

- أنا مش عارفة إنتِ إزاي بتشوفي الأمور من منظر مختلف طول الوقت، مع إنك مش أكبر مني كتير! أكيد فرق السنين اللي بينا مش هو السبب في الفلسفة دي كلها!

روح مبتسمة:

- صح عندك حق، مش هو السبب.

استطردت عالية ضاحكة:

- يعني ظني كان في محله. احكي لي بقي.

روح ضاحكة:

- أحكيك عن إيه؟ مفيش حاجة تتحكي!

عالية مداعبة روح:

- يعني مفيش واحد في مصر مش رومانسي لكن بيوصل للنتيجة اللي بيوصلها الرومانسيين معاك؟

روح ضاحكة:

- صدقيني، لو في حد كنت حكيته من غير ما تسألني. الحب أجمل اعتراف وأصعب كتمان، الحب ده روح طيارة فوق في السما، رمت همومها على الأرض يوم ما الحب كساها كلها، شغلها حتى عن نفسها، شغلها عن أكلها وعن شربها، بقي كل همها إزاي تفضل خفيفة وما تشيلش هموم تاني تخليها تحط على الأرض رجلها. أصل الحب ده جنة اللي دخلها عدى الصراط واتهنى.

عمر ك شفّت حد عدى الصراط ودخل جنته يخبي ويداري فرحته؟

عالية: الله! الكلام ده كلام مين يا روح؟ قصدي في أي كتاب قرينته؟!

روح: ده مش في كتاب، ده في قلبي!

عالية: يعني إنت اللي كاتبة الكلام ده؟!

روح: لا ما لحقتش أكتبه. لسه جايلي واحنا بنتكلم مع بعض.

عالية: جايلك؟! جايلك منين؟ وإزاي طلع كده منك من غير ما تكوني قرينته أو كتبتيه قبل كده؟!

إنت غريبة أوي يا روح! أنا شكلي هابتدي أصدق الكلام اللي الستات بتقوله عليك في البلد!

روح باستغراب:

- كلام إيه؟!

عالية: بيقولوا عليك إنك روح الرومي وبتحومي حوالينا علشان تسعدي الناس بكلامك الجميل! ودلوقت بعد ما سمعتك بتتكلمي كده أتأكدت إن كلامهم مش تخاريف ستات. إنت الدرويشة اللي

حضرت في أرضنا. إنت روح الرومي بتحضرلك، ولأ روح الرومي فيك، ولأ إيه بالظبط؟

ردت روح على عالية نفس الرد الذي ردتته على السيدة التركية، وأشارت إلى قلبها:

- روح الرومي هنا.

ثم أشارت إلى قلب عالية، وقالت:

- وهنا.

ثم نظرت بعيدًا وأشارت بيدها، وقالت:

- وهناك. روح الرومي في كل القلوب.

*

صلى نور العيد في مسجد جده الحسين كما يجب. كان دائمًا ما يشعر أن صلاة العيد بمسجد الحسين بمثابة زيارة واجبة للتهنئة بالعيد لسيد شباب أهل الجنة. كان يقبل على المقام ويقف في خشوع ملقياً التحية على الحبيب الغالي، ومحدثاً إياه بقلبه قائلاً: «السلام على شهيد السلام.. السلام على حبيب جده وجد حبيبي.. السلام عليك يا حبيب كل من أحب الحبيب.. السلام عليك يا حبيبي».

كان هناك عشق خفي بين نور ومولانا الحسين، اشتعلت شرارته عندما قرأ لأول مرة من سنوات عن معركة «كربلاء»، شعر نور وقتها بالألم، وأصبح مشهد المعركة والقتل بالتحديد محفورًا بقلبه لا يغييب عنه، تمامًا كما لو كان هناك وشهده بأمر عينيه.

كان يستحضر مشهد مقتل الحسين، ويحفظ خطبته عن ظهر قلب، كانت كلماته موجعة ومؤثرة وتحرك القلوب برفقتها، وهو يقف بشجاعة ويعلم أن مصيره الموت، ومع ذلك يخاطب قلوبهم قائلاً: «أيها الناس، ناشدتكُم الله، هل تعلمون أن هذه عمامة رسول الله؟ هل تعلمون أن هذا سيف رسول الله؟ هذه فرس رسول الله؟ هذا رداء رسول الله؟ هل تعلمون أني ابن بنت رسول الله؟ هل تعلمون أنه ليس في شرق الأرض وغربها ابن بنت نبي غيري فيكم ولا في غيركم؟ إذن بم تستحلون دمي؟».

سمعوه، وكأنهم ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم غشاوة. إنهم فعلاً كانوا كذلك.

*

أثناء توجه براء إلى المطار تذكر أنه كان كثيرًا ما يمازح روح، ويقول لها إن السيدة زينب تحبه كما يحبها، وإنما كانت تتحدث عنه من قديم الأزل في الرواية التي تُروى عنها عندما قيل لها: - ده كله عيوب!

فقالت:

ده لينا منسوب، وعلينا محسوب!
وفي الأزل سبقت له العناية، فوجبت له منا الولاية!
أبشر يا فتى؛ فلست طالبًا، بل أنت مطلوب!
وتظن أنك محبٌ، ولا تعلم أنك المحبوب!
واترك العزول يصول ويجول، فإنه جهول، وقلبه معلول، فليس عندنا مقبول!
أيها المعرض عنا.. إن إعراضك منا
لو أردناك جعلنا.. كل ما فيك يُردنا
كانت روح تبتسم وتقول له:
- ليه لا! كل شيء ممكن!

كانت تعتقد بشدة أن كل ما يشعر به الشخص في قلبه، فإنه لا بد له من أساس، وليس مجرد خيالات أو أوهام، وأن ثقتها بما تشعر به القلوب أكبر بكثير من ثقتها بما تراه وتلمسه في الواقع. أرسل براء «إيميل» إلى روح يطلب منها عدم المجيء لحضور الحفل في إسطنبول. أخبرها أنه لا يطيق صبرًا حتى يراها، ولكن يجب أن يفكر بشكل مختلف، وأن الحفل سيكون ليلة واحدة ستكلفها المزيد من المصروفات، وهو لا يريد أن يتكلف المزيد من الأعباء المادية في هذه الفترة. أكد براء لروح أنها ستكون معه كعادتها، وسوف يختم الحفل بشعر المتنبي واسمها كما اعتاد أن يفعل.

تلقت روح الإيميل بابتسامة؛ أحست لأول مرة أن براء الطفل قد نضج، وأن سفرها لقونيا لم يكن من أجل نور فقط، لقد كان من أجل براء أيضًا. لقد حان الوقت ليكبر، ولم يكن ليكبر وهي بجانبه تدبر له شؤونه وتتولاه. إن الهجر الجميل يجب أن يكون جميلًا للجميع حتى لو بدا في شكله الخارجي عذابًا.

*

ارتدت روح أحد فساتينها المبهجة استقبالا للعيد. نظرت إلى نفسها في المرآة، تتأمل قرطها الياقوتي الصغير. أخذت خصلات شعرها الأسود المموج بأصابعها، ووضعتها خلف أذنيها لتبرز جمال الياقوتتين، أو تبرز حبتي الكرز المعلقتين في أذنيها كما أخبرها الرومي. هي ونور ما زالوا معًا، حتى إن لم يكونا معًا في عالم الأجساد، فإنهما معًا في عالم النور. سحبت أحد شيلانها، وعزمت على التوجه إلى الرومي لتلقي عليه تحية العيد، تمامًا كما كانت تفعل في القاهرة. كانت تذهب لتصلي صلاة العيد في مسجد أمها الرقيقة مثلها، ريحانة آل البيت السيدة نفيسة.

تذكرت أنها لن تتلقى من حياة طبق الكعك الكبير الشهير ذا النقوش المغربية الجميلة، والمملوء بالأنواع المختلفة من الكعك والبسكويت والغريبة التي تحبها وتُعدّها حياة بمنتهى البراعة. كانت روح تصف كعك حياة بأنه أطعم من أي كعك آخر لأنه مخبوز بنكهة الحب. كانت روح تستقبل الطبق نفسه في كل عام، وترده إلى حياة مرّة أخرى مع تسجيل لإحدى الحفلات النادرة لأم كلثوم التي كانت حياة تعشقها. كان ذلك بمثابة تقليد متبع بينهما.

هذا التقليد كان يُسعد حياة كما يُسعد روح، وكانت تحتفظ بتلك التسجيلات النادرة وتنتقي منها في المناسبات الخاصة والولائم التي تجتمع فيها عائلتها في مراكش، ويجلس الجميع يستمع إلى الست. في طريقها للخروج إلى الصلاة طرقت أحدهم الباب. استغربت، فهي لم تعتد على الزيارات في بيتها الجديد، والوقت ما زال مبكرًا ليطرق بابها مالك البيت لأي سبب. توجهت إلى الباب، ونظرت من العين السحرية، ووجدت الزائر المبكر هو عالية. استقبلت روح عالية بابتسامة عريضة فاتحة ذراعيها لتضمها إليها. روح: يا صباح الأرواح الصافية. عالية مبتسمة:

- صباح الخير عليك يا أحلي روح. أنا عارفة إن الوقت بدري، بس حبيبت أكون أول حد في قونيا يقولك كل سنة وإنّ طيبة، وكمان علشان الحقك قبل ما تظفري وتدوقني كعك أمي. أحضرت عالية طبقًا من الكعك الذي خبزته أمها، تمامًا كما تتبادل السيدات في مصر مع أقاربهن وأصدقائهن وجيرانهن أطباق الكعك في العيد، وكما اعتادت أن تفعل حياة مع روح. تفاجأت روح بتلك الهدية غير المتوقعة من عالية، وتأثرت بها، وأحست أن الله يعوضها بالبديل عن كل شيء تفتقده بعد أن غادرت مصر، حتى وإن كان ذلك الشيء هو كعكات العيد.

شكرت روح عالية على هديتها التي لمست شغاف قلبها، وطلبت منها أن تشكر أمها كثيرًا حتى تلقاها وتشكرها بنفسها. سألت روح عالية عن المكان الذي سئُصلي فيه صلاة العيد، فأخبرتها أن العائلة كلها معتادة على الصلاة في المسجد المجاور لمقام مولانا جلال الدين الرومي، ففرحت روح وأخبرتها أنها كانت في طريقها للصلاة في المسجد نفسه. توجهتا معًا لأداء الصلاة وهما تستمعان إلى تكبيرات العيد التي تملأ سماء قونيا فرحًا وبهجة، وتتسلل إلى القلوب لتسعدّها. أدت روح وعالية الصلاة جنبًا إلى جنب، ثم استمعنا إلى خطبة العيد معًا. صافحت السيدات في المسجد والساحة بعضهن البعض، مهنئات بالعيد بعد الصلاة. وجهت عالية الحديث إلى روح قائلة: - تعالي يا روح أنا عايزة أعرفك على أهلي.

روح: يلاً، أنا كمان نفسي أتعرف عليهم. عالية: أهم جايين علينا.

أقبلت سيدة في أوائل العقد السادس من العمر، ومعها ثلاث بنات يبدون جميعًا في نفس السن تقريبًا، تمامًا كما لو كانت الفروق العمرية بينهم هي فقط الأشهر التسعة للحمل التي تتطلبها أي سيدة لتنجب طفلًا آخر. كانت البنات يشبهن بعضهن بقدر كبير، كما كُنَّ يشبهن عالية جدًا، ولم يكن هناك شبه بينهم وبين الأم، ملامحهن كانت تعلن بوضوح عن انتصار الجينات الفارسية بقوة على الجينات العثمانية فيهن.

عالية: أحب أعرفك على أحن أم في الدنيا، أمي، وأجمل بنات في قونيا، أخواتي: عائشة، خديجة، شاهيناز. وأعرفكم على صاحبتني المصرية، روح.

مدت روح يدها لتصافح الأم التي بدت رقيقة الملامح والطباع، ولكن الأم فتحت ذراعيها لها، واحتضنتها تمامًا كما تفعل روح مع من تشعر بقرب روحها من روحهم، فترفع الحواجز وتفتح ذراعيها لتضمهم بالقرب من قلبها. ضمتها الأم إلى قلبها، ونظرت إلى وجهها، ووضعت يدها على خدها، وابتسمت وقالت لها: - ما أجمل ذلك الوجه المصري ذا الغمازة الواحدة! ابتسمت روح بخجل، وقالت لها:

- أشكرك سيدتي. إن الجمال يشع منك كالك، وليس وجهك فقط!

تقدمت إحدى البنات لتصافح روح قائلة:

- لقد حدثتنا عالية عنك كثيرًا، وكنت متشوقة جدًا للقائك. أنا شاهيناز.

روح: العروسة؟ لقد حدثتني عالية عنك أيضًا، وهي متحمسة جدًا لحفل الزفاف.

تدخلت إحدى البنات في الحديث:

- الجميع متحمس من أجل الزفاف فيما عدا أبي! أرهفته أسعار الفساتين، حتى إنني أعتقد أنه بدأ يندم على إنجاب أربع بنات. أنا خديجة.

ضحك الجميع على دعابة خديجة، وعَلَّقت روح قائلة:

- لا أعتقد أن رجلًا تمتلئ حياته بهذه الأرواح الجميلة قد يندم على أي شيء، حتى وإن أنفق كل ما يملك! بالتأكيد هو في قمة السعادة!

عَلَّقت إحداهن:

- بالفعل، هو يحبنا حبًا كبيرًا، ونحن ندعو الله أن يديمه فوق رؤوسنا ورؤوس أولادنا!

ردت الأم:

- آمين.

وردد خلفها الجميع وروح معهم:

- آمين.

دعت الأم روح إلى تناول الغداء معهم في بيتهم، وأصرت على حضورها، وأكدت أنها لن تسامح نفسها إذا تركتها تتناول الغداء في أول يوم في العيد وحيدة، وأن وجودها بينهم سيكون مصدر سعادة لهم، وأنها من حكايات عالية عنها شعرت أن روح بنت جديدة لها، وأخت خامسة للبنات.

فرحت روح بالدعوة، وابتسمت للبنات والسيدة الجميلة قلبًا وقالبا، وودَّعتن مؤقتًا إلى حين تلقاهن مرّة أخرى على الغداء، ثم ذهبت لتحية الرومي، وهنأته بالعيد، ثم مضت لتشتري باقة ورد من المحلات المجاورة لمتحف حضرة مولانا، لتأخذها معها في أول زيارة لها لعائلة عالية.

طرفت روح الباب، ففتحت عالية واستقبلتها بترحاب شديد.
عالية: إيه النور ده؟

اتسعت عينا روح، ودق قلبها بقوة، وبدا عليها الاستغراب. تصورت للحظة أن عالية ترى نور بالفعل، ترى نور حبيبها وكأن روحه كانت حاضرة معها في تلك اللحظة، حتى إن عالية رأتها. ومن يدري ربما كانت بالفعل روحه قد حضرت في تلك اللحظة، وكلمات عالية كانت إشارة لها لتتيقن أنه معها.

تداركت عالية ارتباك روح قائلة:

- إيه؟ اتخضيت كده ليه؟ هو مش عندكو في مصر بتقولوا كده لما يزوركم ضيف غالي؟!
تنفست روح الصعداء، وابتسمت قائلة:

- خالص، ما اتخضيتش. إنت بس فكرتيني بمصر، فحسيت إن قلبي بيدق بسرعة، وروحي طارت على هناك!

أمسكت عالية بيدي روح لتربت عليهما، وبلهجة حانية قالت:

- يا حبيبتي! معلش! إن شاء الله قريب تروحي مصر وتتجمعي مع كل حبايبك. إنت إيديك إزاي ساقعة كده؟

روح: إن شاء الله يا عالية.

نادت روح عالية بغالية من دون أن تدري! خرج الاسم منها كأنه إشارة على أن عالية أصبحت في مرتبة غالية في قلب روح، حتى إنها أصبحت مصدر رسائل تفهمها روح ولا تدرك معناها عالية. سحبت روح يديها من بين يدي عالية كأنها تريد أن تخفي دليل توترها قائلة بلهجة متوترة:

- آه فعلاً باردين. دلوقت يدفوا!

أدخلت عالية روح إلى غرفة الجلوس. كان الأب يجلس وبجواره بنتان من بناته، والأم في المطبخ تعد الطعام. قدمت عالية روح إلى أبيها.

عالية: بابا يا روح. السيد علي بهاء بندر.

روح: تشرفت بمقابلة حضرتك سيد بندر. كل سنة وإنت بصحة وسلامة.

السيد علي: وإنت بكل خير يا ابنتي. من فضلك ناديني بعمي علي كما تناديني بنات العائلة. أهلاً وسهلاً، اتفضلي.

صافحت روح البنيتين وقدمت لهما الورود، وجلست تتجاذب أطراف الحديث معهما ومع السيد علي بندر.

بدأ السيد علي بالحديث مع روح.

السيد علي: إنت من فين في مصر يا روح؟ القاهرة ولّا الإسكندرية؟

روح: أنا من القاهرة. من قلب القاهرة. أنا بيتي في جاردن سيتي.

السيد علي: جاردن سيتي حي جميل وعريق وراقي.

روح: هو حضرتك زرت القاهرة؟

السيد علي: أنا درست في القاهرة، وعشت سنوات الجامعة متنقلاً ما بين القاهرة وطهران.

روح: معقولة! عالية ما قائلش على الحكاية دي!

السيد علي: هيّ عالية وأخواتها هيفتكروا أبوهم وسط زحمة التحضير للزفاف واختيار الفساتين،
ولأ حتى هيبجي على بالهم؟!
تدخلت عالية مداعبة أباها:

- ده إنت الخير والبركة كلها يا أبو البنات! مين ده اللي يقدر ينسأك؟! ولا ميت فرح يشغلنا عنك!
فرد السيد علي:

- أيوه، اضحكي عليّ بكلمتين. بس أنا مش أبو البنات أنا أبو ضيف. ربنا يخليه!
ردت البنات جميعاً:

- آمين.

كانت هذه أول مرّة تسمع روح اسم ضيف. بدا من كلام السيد علي أن ضيف هو ابنه، وأنه مثله
مثل كل الرجال الذين ينتمون إلى الحضارات العربية والعثمانية والفارسية، متمسك بكنيته
المنسوبة لاسم ابنه الذكر: أبو ضيف. ولكن أين ضيف؟ وأين أزواج البنات؟ وأين العريس تاج؟
ألم تقل عالية أن جدّها يحرص على تجميع العائلة كل عيد؟ أين الجد أصلاً؟ أين تلك العائلة التي
تأتي من كل فج عميق كل عيد؟!
دخلت الأم لترحب بروح، وشكرتها على رقتها وذوقها في اختيار الزهور.

أكدت روح أن الزهور شيء قليل أمام السعادة التي شعرت بها بطبق الكعك الذي تلقته صباحاً،
وأنها حقاً أصبحت تشعر أن لها أسرة في قونيا.

توجه الجميع إلى مائدة الطعام. كانت المائدة مليئة بالأصناف المختلفة. ذكرها هذا المشهد بالموائد
التي كانت تعدّها حياة، وكيف كانت تحرص على إرضاء نوق الجميع في الطعام، وحرصها على
وجود طبق الكسكس المغربي دائماً من أجل روح، والحريرية من أجل براء، والملوخية من أجل
نور. كان الطبق الرئيسي بمائدة السيدة قسمت في أي مناسبة خاصة أو وليمة هو الكباب الإيراني،
والأرز بالزعفران، وكشك الباذنجان المميز، بالإضافة للدولمة على الطريقة التركية، والمانتي،
والبوريك، وخبز اللحم، وطواجن الخضراوات، وتشكيلة واسعة من المقبلات الشهية. جلس الجميع
حول المائدة، وجلست روح كأنها بالفعل ابنة خامسة لهذه العائلة الكبيرة ذات المشاعر الدافئة
والمترابطة جداً.

السيد علي: أنا باعتذرلك يا بنتي إن أول عيد تقضيه بينا نكون ناقصين. كنت أتمنى تتعرفي على
أبي الشيخ بهاء بندر عميد عائلة بندر في العالم، وابني ضيف، وأزواج بناتي، ولكن أبي كان نادر
ندر وكان لازم يوفيه النهارده، وهو من عادته إنه لازم ياخذ معاه أكبر عدد من رجال العيلة في
أي مهمة من المهمات اللي زي كده، كنوع من الحفاظ على انتقال عاداتنا وتقاليدنا من جيل إلى
جيل وضمن لاستمراريتها.

روح: ربنا يديله الصحة. إن شاء الله أتعرف عليهم مرّة ثانية. أجمل شيء في الدنيا العيلة ولمتها.
ربنا يديمها نعمة عليكمو.

السيد علي: آمين.

وردت البنات والسيدة قسمت بعده:

- آمين.

كان الجميع يتناول الطعام في جو من الألفة والحب والمرح.

خديجة: أنا عايزة الأعبك لعبة يا روح.

كان انطباع روح عن خديجة أنها هي الابنة ذات الروح المرححة التي تثبت البهجة في العائلة، كما كان انطباعها المنقول من عالية عن شاهيناز أنها الابنة الرومانسية الحاملة، وطبعًا شخصية عالية كانت واضحة لروح وضوح الشمس، شخصية الابنة المحتملة للمسؤولية.
روح: يلاً لأعيني.

خديجة: رتبينا أنا وإخواتي من الكبير للصغير.
روح: بصراحة دي ممكن تكون أصعب لعبة ألعها. إنتو أعماركو قريبة من بعض أوي.
عالية: حاولي. أصل اللعبة دي دايماً بنلاعبها لأي حد بيتعرف علينا جديد.
روح مبتسمة:

- طيب. نقول بسم الله الرحمن الرحيم. أنا هاستعمل ذكائي وهابتدي من الصغير للكبير. بما إن التقاليد في مجتمعاتنا بتجوز البنات في العائلات بالدور، وبما إن عالية هي الوحيدة اللي لسه ما اتجوزتش يبقى أكيد هي الصغيرة، وبما إن شاهيناز هي العروسة يبقى هي اللي قبل عالية. يبجي بعد كده عائشة وخديجة مش قادرة أحدد مين أكبر من مين.
ردت خديجة فوراً:

- ما شاء الله عليك. تفكيرك في عالية وشاهيناز صح!
روح مبتسمة:

- طب قوليلي مين أكبر، إنت ولأ عائشة؟
شاهيناز: لو عايزة تعرفي يبقى لازم بابا اللي يقولك علشان كل بنت وكل اسم لهم حكاية.
رن هاتف روح قاطعاً هذا الحديث الحميم والدافئ. كان المتصل براء من إسطنبول، بالطبع كان يريد أن يخبرها بوصولها، ويهنئها بالعيد. اطمأن براء عندما سمع أصواتاً متداخلة بجانب روح، هي أيضاً ذكرت له أنها ليست وحيدة في العيد، وأنها تقضي العيد بصحبة صديقة لها وعائلتها، لتطمئنه عليها.

تأكدت روح أن براء مستعد للحفل، وطلبت منه أن يسترخي ويرتاح ويأكل شيئاً خفيفاً حتى يأتي موعد الحفل. اتفقا أن يرتاح وأن تعاود الاتصال به قبل صعوده على المسرح لتقرأ عليه آيات من القرآن الكريم كنوع من الرقية له كما هو معتاد، وأن يكون صوتها آخر شيء يسمعه قبل البدء في الغناء.

انتقل السيد علي والسيدة قسمت والبنات لغرفة الجلوس مرةً أخرى لشرب القهوة التركية وتناول الحلوى.

روح: على فكرة أنا متشوقة جداً لمعرفة الحكاية اللي ورا كل اسم.
السيد علي: أنا أقولك. لما اتجوزت قسمت بعد قصة حب جميلة، كان نفسي أسمى أول مولودة بنت تيجيلنا على اسمها. بس والدي الشيخ بهاء ربنا يديمه على رؤوسنا اختار اسم عائشة لأول مولودة.
روح: ده اسم والدته أكيد؟

السيد علي: أبداً، ولا سبق لنا في العيلة إن كان في حد اسمه عائشة. إحنا كنا عايشين في طهران، وإنّ عارفة طهران ومشاكل السنة والشيعية. اسم سيدتنا عائشة بيبقى صعب قبوله في مجتمع أغلبه شيعة. أبي اعتبر أن ولادة حفيده له خارج طهران فرصة علشان يسميها على اسم سيدتنا عائشة حبيبة النبي عليه الصلاة والسلام.

روح: عليه أفضل الصلاة والسلام. يبقى كده عائشة الكبيرة.

السيد علي: تمام. بعد عائشة ما شرفت بسنة قسمت حملت بمولودنا الثاني. وقتها أبي شاف رؤيا، شاف سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام بيقوله جملة واحدة: «لقد رزقت حبها». فهم أبي من الرؤيا أن الحبيب عايزه يسمي مولوده على اسم السيدة خديجة. لكن المولود جه ولد. وكانت الفرحة الكبيرة. سماه أبي بدون تردد على اسم شيخه: ضيف.

روح: دي فعلاً قصة مشوقة. وجات خديجة بعد كده أكيد.

السيد علي: مضبوط. كان مفيش مجال حتى للتفكير في اسم المولودة الجديدة بعد ما سماها الحبيب، علشان كده تلاقيها حبيبة الكل، ومحدث يقدر يرفضها طلب. كان الإنجاب مهم جداً بالنسبة لعائلتنا في ذلك الوقت ولغاية دلوقت. الإنجاب بكثرة علشان العزوة وضمان لتناسل اسم بندر وبقائه بالذات بعد خروجنا من طهران بعد الثورة الإسلامية. ربنا أعطاني ولد واحد صحيح بس إخواني ربنا رزقهم بأولاد وحاملين اسم بندر، ربنا يحميهم ويبارك فيهم. جات بعد كده شاهيناز. في نفس السنة توفت أمي الجميلة الرقيقة. قسمت رفضت تسمي المولودة على اسمها وصممت إنها تتسمى على اسم أمي، وبالفعل سمينها شاهيناز، وهي اسم على مسمى تمام زي ما كانت أمي.

روح: اعذرني يا عمي علي، هو إيه معنى اسم شاهيناز؟

السيد علي: شاهيناز في الفارسية يعني «ملكة الحب». وشاهيناز هي أكثر إخوانها رومانسية، كأنها بالفعل ملكة الحب.

روح مبتسمة:

- ربنا يسعدك بيهم. العائلة نعمة كبيرة.

تتدخل عالية:

- خلاص خلصت كده؟ مفيش عندك بنات تانية؟ دايماً أنا منسية وجاية في آخر الطابور!

السيد علي: إزاي منسية! ده إنت على رأي المصريين آخر العقنود سكر معقود يا عالية خانو!

عالية مداعبة أباه:

- إنت كل السكر يا علي بيك.

استطرد السيد علي:

- شرفت عالية خانو. وبرضو رفضت قسمت تسمي المولودة على اسمها، وطلبت مني نسميها على اسم أمها. ما كانش ممكن أرفض لقسمت طلب، وبالذات لما يكون تسمية بنتي على اسم أم الست اللي كانت السبب في سعادتني ورزقني ربنا منها بالذرية الصالحة وبعثلي الخير كله على وشها. ربنا يخليها لي ويديها الصحة. وسميناها عالية.

روح: عالية الغالية.

السيدة قسمت: فعلاً عالية غالية على قلوب الكبير والصغير في العيلة، جدها دايماً يقولها إن جوازها هيبقى صعب جداً لأنه مش ممكن يعطيها لأي حد يطلبها للجواز وخلص.

روح: عريس عالية اسمه مكتوب من زمان، والنصيب لما ببيجي ما بيفرقش غني ولا فقير.

الغالية للغالي أبو مقام عالي!

نظر السيد علي والسيدة قسمت والبنات لروح باستغراب. لم يسمعوا روح تتحدث من قبل بكلامها الذي يشبه السجع. شعرت السيدة قسمت أن الكلام الذي تسمعه من السيدات عن روح، ووصفهن لها بالدرويشة المصرية ذات الشال الأخضر، واعتقادهن بأن روح الرومي تتلبسها، ليس مجرد حواديت سيدات ولكن به شيء من الصحة. شعروا كأنها ترى شيئاً أمامها وتصفه أو ربما يلقتها

أحد تلك الكلمات في أذنها. أيًا كان الذي يحدث فقد استقر في قلب السيدة قسمت وعائلتها أن روح شخصية مختلفة، اقتحمت قلوبهم من أول يوم، وشعروا بالراحة بوجودها بينهم، وشعروا أن قدومها لقونيا ليس محض صدفة. ولكن يظل السؤال الذي يبحث عن إجابة: ماذا ستجد روح في قونيا؟

في المغرب كان نور يقضي أول أيام العيد في مراکش وسط عائلة حياة. كان يحاول أن يستمتع بالعيد معهم كما تعود، ولكنه كان لا يستطيع أن يكف عن التفكير في لقاء روح وبراء. كان يحب أطفال العائلة، ويجلس بينهم يرسم ويلون معهم بالأقلام، ويستعمل قطع البازل الصغيرة لتكوين الأشكال. كان لا يمل مجالسة الأطفال والنظر في أعينهم البريئة. كان يتمنى أن يكون له طفل من صلبه يداعبه ويحنو عليه، لكنه كان يعلم أن حياة ليست جاهزة بعد لتلك الخطوة، وأنها عندما تشعر بالحنين للأمم سوف تبادر هي بالحديث، فكل أنثى بداخلها أم ولا يمكن أن تظل حياة متعلقة بفكرة الحياة الحرة بلا التزامات ثابتة مدى العمر.

بالطبع ذهب نور لزيارة شيخه لتهنئته بعيد الفطر، وقدم إليه الهدايا التي أحضرها من مصر. وبالطبع كان المنزل مزدحمًا بالمريدين والمهنيين. قَبِلَ يده، وجلس في أدب إلى جواره يتحين الفرصة المناسبة للحديث. كان نور صامتًا وعيناه على شيخه الذي كان يعلم تمامًا ما بداخله. نهض الشيخ الجيلاني وأخذ يد نور ودخلا معًا غرفة بعيدًا عن كل الزائرين. كانت الغرفة مثل كل البيت مفروشة بالطابع المغربي، وجلستها أرضية. جلس الشيخ وأشار لنور أن يجلس أمامه. نظر الشيخ في عيني نور وحدثه بلهجة حانية:

- القلوب ممرات النور. في البداية لما شفتك أول مرّة، عرفت إنك مش هتاخذ الطريقة وخلص زي أي مريد. عرفت إنك مش هتبقى سالك وبس. عرفت إن النور هيمر جوه قلبك، وأي حاجة بتمر في القلب بتوجع يا نور. بتوجع علشان بتشق الطريق، أول ما تشق الممر والنور يعدي ما بيبقاش في أي وجع. خَلَى النور يشقك علشان تدوق حلاوته لما يمر جواك. قلب روح قلب بكر. والقلوب البكر دايمًا النور بيدور عليها. وربنا اختارك تبقى النور اللي هيدخل قلبها بس بعد ما يعدي من قلبك الأول. استحمل.

نور: أنا باحبها يا سيدي، وأول مرّة أحس بالحب بالشكل ده! حاسس إنني ضعيف وعاجز. لما حببت حياة قللتها على طول واتجوزنا وعشت سعيد معها، بس حبي لروح حاجة تانية. مش قادر أقرب منها، ودلوقت تعبان أوي وهي بعيد عني. عايزها جنبي حتى لو كنت محروم منها!

الشيخ: إنت اللي عايزها جنبك. بس ربك مش عايزكم دلوقت مع بعض.

نور: ادعيلي يا سيدي أنا تعبان!

مد الشيخ يده على قلب نور، وبدأ بقراءة القرآن والدعاء، ونور يجلس في سكينه أمامه. نهض الشيخ ونهض نور، وربت الشيخ على كتف نور مبتسمًا قائلاً:

- خليك فاكّر إن قلبها قلب بكر، فترفق به تسعد وتسعدها.

نفس كلمات الرومي التي جاءت في حوار الخيالي مع روح حول الرفق في الحب. نفس الرسالة موجّهة إليهما أيضًا، كل منهما في بلد، وكل منهما تلقاها بشكل.

فهم نور كلمات شيخه، ووجد بها إجابة على التساؤل الذي طالما فكر به: لماذا وضع الله حب روح في قلبه؟

والإجابة كانت أن الأنوار ما كانت لتعبر من خلاله، وهو يحيا الحياة السعيدة الهادئة مع حياة. كان سيظل ذلك المريد السالك إلى الله، وحتى عندما ترقى وأصبح شيخًا مربيًا بوصاية شيخه، ما كان هذا يكفي ليوصله إلى طريقه المحتوم وإلى اختيار الله له. إن العارف بالله له طريق آخر يجب أن

يسلكه. كان يجب أن يعصف الحب بقلبه حتى تزال كل الحواجز والجدران. كان يجب أن يحب روح ويتعذب في حبها ويصبر على فراقها، ويتعلم كيف يستسلم لله وهو في قمة عذاباته حباً في الله، وكلما تعذب أكثر أزاح الألم جزءاً من الجدران، وتجلت له أسماء الله، وتعرف على صفاته. إن نور يمضي في طريقه إلى الله، طريق العارفين بالله.

كان نور يشعر باشتياق شديد لرؤية روح. كان يشعر أن كل ما يريده هو أن ينظر إليها، ويغمض عينيه بعد ذلك عن كل الأشياء، يحتفظ بملامحها بداخله ويستدعيها بقلبه كلما زاد عليه الشوق. كان يشناق لإحدى الرؤى التي كان يراها فيها بثوبها الحريري الأخضر الطويل. فمنذ الرؤيا الأخيرة التي جمعتهما، ورأى نفسه ينتازل لها عن هالته النورانية مقابل البوح بحبه لها، وهو لم يرها مجددًا. يشناق بشدة إلى رؤيا تجمعهما. يذهب إلى فراشه كل يوم آملاً أن يحن الله عليهما ويجمعهما. وبالفعل رأى نور ما كان يشناق إلى رؤيته. رأى وجه روح فقط. لم يرها كما تعود في ثوب السندس الأخضر، ولم يكن هناك ملائكة، ولم يسمع الترانيم. لم يشم رائحة العنبر ولا المورد، ولكنه شم رائحة جوز الهند. بدأت الرؤيا برائحة جوز الهند تملأ كيانه. وجد نفسه ينادي روح: «إنها أنت. هل عُدتِ حبيبتي؟»، فجاءت ابتسامتها الحانية بغمازتها الواحدة علامة على حضور روحها. جاء وجهها فقط، أخذ ينظر إلى وجهها طويلاً كأنه ظمآن يشرب ويرتوي بعد طول سفر.

همّت روح أن تقول شيئاً، فوضع نور يده على شفثيها، كأنه لا يريد أن تكمل ما عزمت أن تقول. نظرت إليه نظرة تعجب واستفهام، كأنها تتساءل: «لماذا أسكتني عن الكلام؟»، فقال لها برقة: «أتدريين شيئاً حبيبتي؟ إني أحب أن أنظر إلى وجهك طويلاً، ولا يقطع نظري إليك أي شيء حتى لو كانت كلماتك الساحرة».

أزاحت أصابعه برقة عن شفثيها وقالت: «افعل ما تحب يا نوري، فإن أنفاسك عطري المفضل، وأنا أتعطر بك الآن. عطرٌ روحي وقلبي بك، ولكن دعني أعرف لماذا تحب أن تنظر إلى وجهي ولا تسمع صوتي، وأنا أحب أن أسمعك وأراك وأتفلسك برئتي؟».

فقال لها: «إني أعتقد بشدة أن النظر إلى وجهك عبادة، فلا أحب أن يقاطعني أحد وأنا في صلاتي. إن الله جميل يحب الجمال. أنتِ تحبك الله. فكيف لا أُجن في هوائك؟».

أمسك وجهها بيديه وقال: «صوتك وكلماتك فتنة عنك. وربي قال: كلاً لا تطعه واسجد واقترب. فلن أفتن وأطيع صوتك وأدعه يشغلني عن جمالك. إنني أقترّب من الله فيك، وأسجد له بقلبي حين أنظر إلى وجهك، فرجاءً لا تقاطعيني في صلاتي».

تبسمت روح برقة، وأخذت يده لتضعها على شفثيها. قبّلت كفه، ونظرت في عينيه، وقالت: «إذن، الصمت هو هديتي لك الليلة، فلن أتحدث بحرف حتى تنتهي من صلاتك وتحديثي أنت».

أخذ يتحسس ملامحها بأصابعه كأنه يحفرها كتمثال، لتبقى ذكرى الملامح بقلبه حية حتى في البعد.

استيقظت روح مختلفة هذا الصباح. لقد رأت نور مجدداً بهالته النورانية كما كانت تراه دائماً. رأت القديس العاشق يقترب من القديسة المحرمة، ولكن في عالمهما المسموح لهما بالاقتراب فيه. أحست بلمسات أصابعه على وجهها، كأنه كان فعلاً يتلمسها في الواقع وليس في الأحلام. وضعت أصابعها على شفثيها التي قبّلت كف نور تتلمسها كما تلمّس هو وجهها. أحست به حولها. نعم أحست بقوة بروحه حولها. فتحت ذراعيها بقوة، واحتضنت الهواء المحيط بها. أحست أنها تضمه إلى قلبها. أغمضت عينيها وهي في حزن نور، وقالت بصوت مسموع: «باحبك يا نور. باحبك يا شمسي وقمري ونجمي اللي بعيد».

أحست أن الله يرسل إليها رسائل أمل متكررة، وعلى فترات متقاربة. لا يريد لها أن تنتظر، ولا تتشكك، فيتسلل اليأس والحزن إلى قلبها. يريد لها الله سعيدة جميلة مشرقة متألقة، تماماً كما لو كانت تتجهز وتتهيأ لعرس. أفلا تتجمل وتشرق وهي تتهيأ للترقيم من رب العباد؟ فهمت رسالة ربها لها، وقامت لتكتب:

العلامة الثانية

إذا كنت تمشي في طريق الصبر فلا تلبس رداء اليأس والحزن، ولكن تجمل وتحلّ وشع بريقاً، فأنت في الطريق لاستلام عطية الله لك في آخره.

بكل تلك السعادة استعدت لوصول براء توأم الروح. ارتدت أحد فساتينها، وحملت حقيبتها، ومضت لاستقباله في المطار.

وصل براء، والتقت عيناه بعيني روح عن بُعد، وأطالا النظر، تمامًا كما يفعل العشاق عند اللقاء بعد الغياب. وقف أمامها يتأملها وهي تنظر إليه. شعرت أنها تريد أن تضمه إليها. فتحت ذراعيها وضمته لقلبها. لم تكن روح من ذلك النوع المعتاد على السلام بالعناق مع الرجال أيًا كانت درجة حبها لهم أو قرابتها منهم. كانت تلك هي المرة الأولى التي تتعانق فيها هي وبراء. كان عناقًا بريئًا ونقيًا وجميلاً، تمامًا كعناق الإخوة بعد طول غياب. لم يندهش براء، كان يعلم ما تشعر به من حنين واشتياق له، لأنه كان يشعر بالمثل. لم يكن هناك مجال للشك أو الاستغراب بينهما، فالتوأم يفهمون بعضهم البعض من دون التلطف بالكلام، وقد كانا توأمين في الروح.

فرغ التوأمين من العناق، وعادا للنظر إلى بعضهما مجددًا.
قالت روح:

- هو أنا باحبك كل الحب ده؟!!

براء ممازحًا:

- لأ، أكثر كمان.

روح مبتسمة:

- صح، إنت عندك حق. طبعًا أكثر بكثير!

براء ممازحًا:

- طب يلاً بينا على المأذون على طول!

روح ضاحكة:

- أنا باقول نخليها خطوبة ندرس أخلاق بعض الأول!

رد براء:

- طب ممكن ندرس أخلاق بعض وأنا باكل، لأنني على لحم بطني من إمبراح؟!!

روح باستغراب:

- يا حبيبي! ما كنتش بعد الحفلة؟!!

قال براء:

- مين هياكلني وست الكل مش معايا؟!!

روح مبتسمة:

- يا حبيب ست الكل إنت والله! يلاً بينا. أنا أعرف مطعم أكله يجنن، كنت بافطر فيه كل يوم في رمضان، تعال أأكلك هناك.

جلسا معًا يتناولان مختلف الأطعمة التركية شهية مفتوحة، تمامًا كما كانا يفعلان في القاهرة عندما كانا يذهبان لتناول الكباب أو الحمام في أحد مطاعم حي الحسين، يأكلان ويتكلمان كثيرًا، ويمضي

الوقت بهما وهما لا يشعران به أو بنفسيهما، ورواحهما تسبحان في سعادة وتناغم وانسجام.. هكذا
كانا يقضيان أوقاتهم في القاهرة وخارجها في قمة الانسجام.

سألت روح براء عن رغبته بعد تناول الطعام: أيجب الذهاب إلى بيتها الجديد، أم الذهاب في جولة
قصيرة في قونيا؟ فأخبرها أنه متحمس لرؤية بيتها الجديد والحي الذي تعيش فيه، وأنه يُفضّل أن
تكون الجولة غداً، ويبدأها طبعاً بزيارة ضريح مولانا جلال الدين الرومي.

تركت روح براء يتجول في البيت والحديقة متأملاً الطابع الذي طبعت حياتها الجديدة وبيتها به.
كانت نظراته تضم مزيجاً من الإعجاب والاندھاش: كيف يبدو البيت الجديد شبيهاً بروح وهو ليس
ببيتها الفعلي؟ إنه صغير تماماً كما تحب الأشياء، مليء بالألوان ومريح ورائحته جميلة، حتى
الحديقة كانت ترمز لوجود النبتة الخضراء بروح، قلبها الأخضر. كل شيء كان له معنى ومغزى
في هذا البيت، كأنه رسالة من الرسائل التي تعودت روح أن تلقاها في طريقها إلى الله. تلك
الرسالة كانت تقول: «إن هذا هو مكانك. هذا هو أنت. إن بيت أهلك العتيق لم يعد مكانك بعد الآن.
إن مكانك يجب أن يكون جديداً، لا ذكريات ألم به، لا وفاة، ولا طلاق، ولا وجع على الإطلاق.
من هنا سوف تلتقطين ألوان الحياة المختلفة وتتذوقينها، وتخزنين منها بداخلك ما نريده أن يبقى
بداخلك فقط، ولكنك يجب أن تري كل الألوان».

نظر براء إلى روح فجأة في اندھاش، كأنه يراها لأول مرة، وقال:

- إيه ده يا روح؟ إنت لابسة حلق؟!

روح متحسسة فصي الياقوت بخجل، وكأن براء يفهم معنى تعلقهما بأذنيهما:

- أيوه، عجبوني، وحسيت حاجة بتناديني فيهم قلت ألبسهم. إيه رأيك؟ مش حلوين؟
براء: طبعاً حلوين علشان إنت اللي لابساهم.

روح بزهو:

- لا بجد، حلوين عليّ مش كده؟ أنا باحبهم أوي!

براء: قمر بخلق، وقمر من غير حلق!

روح مبتسمة:

- تسللمي روحك!

براء: يااااه! بقالي كثير ما سمعتهاش. حاسس إنها وحشاني زيك بالظبط. تسلميلي ويسعدك يا رب!
روح: ويسعدك يا عمري. تعال أعملك فنجان قهوة تركي من بتوعنا ونشربها في الجنية.

*

سمعت روح طرفاً على الباب، فاستأذنت من براء لتذهب وتفتح الباب. فتحت الباب ووجدت
عالية.

روح: يا أهلاً بالعالية!

عالية: تصوري بقى إني هابتدي أحب اسم عالية ده أكثر من اسمي!

روح مبتسمة:

- حبي الاتنين. ما هو إنت عالية الغالية.

عالية: يا سيدي على الكلام! أنا نفسي بس أشوفك مع حبيبك هتقوليله إيه؟ لما أنا باخد كل الكلام
الحو ده أمال هو هيتقاله إيه؟!

روح: هيتقاله كلام مش من الدنيا، ومش زي كلام البشر!

عالية: يا بخته يا ستي.
نظرت عالية نظرة متلصصة سريعة في أجواء البيت، ثم تحدثت لروح بصوت منخفض وبنبرة
كلها فضول.
عالية: براء وصل ولأ لسه؟
روح مبتسمة:

- وصل، في الجنية بره. تعالي أعرفكم على بعض.
كان الشغف يملأ عالية لرؤية أصدقاء روح من مصر. سمعت كثيرًا عن نور وحياء، ولكنها كانت
تشعر أنها تريد أن ترى براء بالذات. كانت تشعر كلما سمعت حكايات روح عن مغامراتها مع
براء وعلاقتها الفريدة أنها تريد أن تفقر داخل تلك المغامرات، وتكون الشخص الثالث لهما.
كانت خطواتها تسبقها للوصول إلى الحديقة حتى وصلت إلى ذلك الأسمر الضئيل ذي الشعر
الطويل والعينين العسليتين. كان براء يرتدي بنطلون كتان بيج واسعًا، وقميص كتان أبيض
فضفاضًا، يكشف عن الجزء العلوي من صدره الأسمر، ويبرز عنقه الطويلة الجميلة التي تشبه
أعناق الطير الناظرة إلى السماء مثله تمامًا. وقفت عالية أمامه بمنتهى القوة، تشب بجسدها كأنه
فارح الطول لتكون في طوله، مع أن الحقيقة غير ذلك، فبراء بالمقارنة بمعدلات أطوال الرجال
يعد أقصر قليلًا، ولكنها كانت تشعر أنه في علو وهي تريد أن تصل إليه. نظرت في عينيه
العسليتين ولم تنتظر روح لتقوم بالتعارف. اقتحمته فورًا ومدت يدها للمصافحة.

عالية: أهلاً بيك في قونيا. أنا عالية صاحبة روح.

براء ممسكًا بيد عالية ومطيل التمسك بها والنظر في عينيها:
- أهلاً ليلي.

ارتبكت عالية لنطق براء اسمها خطأ، والشغف يملأها للتعرف عليه، فحاولت سحب يدها من يده،
ولكنه تمسك بها ولم يدعها. كانت تسحب يدها قائلة:

- أنا اسمي عالية مش ليلي.

أمسك براء يدها بيديه الاثنتين، ونظر في عينيها وقال:

- أنا سمعت اسمك كويس، بس إنت ليلي.

ابتسمت عالية ابتسامة كلها دلال، ولم تنزل عينيها عن عينيه، وقالت كأنها تجرب الاسم:

- مممم، ليلي، ليلي، ليلي، متهيألي ممكن أتعود عليه.

براء بلهجة واثقة:

- لا، إنت تحببيه مش هتتعودي عليه.

ابتسمت عالية بخجل، واستدارت سريعًا لروح تداري خجلها، فقد اعتادت نفسها قوية دائمًا،
والخجل في عرفها شكل من أشكال الضعف.

عالية موجهة كلامها إلى روح التي كانت تراقب المشهد بمنتهى الهدوء والإعجاب:

- شربتوا القهوة خلاص ولأ هنشرب سوا؟

روح مبتسمة:

- لا حبيبتي، أنا كنت لسه هادخل المطبخ أعمل قهوة.

نظرت إلى براء وابتسمت، ثم استطرقت قائلة:

- نصيبك تبقي تالنتنا يا عالية.

كان براء وروح يفهمان بعضهما البعض حتى من دون كلام. لم تكن روح تقصد أن نصيب عالية أن تكون ثالثتهما في شرب القهوة، ولكن كانت هناك رسالة أعمق في هذه الجملة القصيرة ذات المغزى، كانت تعنيها روح وفهمها براء، ولكن عالية لم تفهمها. عالية: طب يلاً نعملها سوا.

روح: أبداً. خليك زي ما أنت، وأنا هاعمل القهوة وأجي على طول. تركت روح براء وعالية معاً، تماماً كما تفعل الأم المصرية عندما تشعر باشتعال شرارة إعجاب بين ابنها وبين فتاة جميلة، فتبارك علاقتهما ببعض. رأت عيني براء لأول مرة تبرق ببريق الحب وليس بريق «الملاغية»، كما كان دائماً يصف أسلوبه في التعامل مع صديقاته من البنات. كان له أسلوب ساحر ممزوج بالقليل من الغزل الذي يجعل الكثيرات يطمعن فيما هو أكثر وأعمق من مجرد كلمات. كانت الكثيرات يُغرمن بذلك الأسمر الباسم ذي الصوت الساحر حلو الكلام، متمنين أن يحظين بعلاقة حب تنتهي بزواج، ولكن براء كان دائماً ذلك الطير المعلق بعيداً عن الأرض وعن كل العلاقات الجادة. كان حريصاً ألا يُمكن إحداهن من قلبه، ولكنه الآن قد اقتحمته العينان الفارسيتان السوداوان، والأنف الشامخ، والشعر الأسود الناعم الكثيف الذي ينسدل خلف ظهرها بكل ثقة وقوة، تماماً مثل صاحبته.

بدأ براء الحديث مع عالية:

- أنا سمعت روح بتقولك عالية. احكي لي بقي حدوتة عالية دي؟

عالية: ملهاش حدوتة ولا حاجة، زيها كده زي ليلي، كلمة وطلعت.

براء: بس ليلي ليها حدوتة، مين اللي قالك ملهاش؟ دي ليها أحلى حدوتة كمان، وعالية أكيد ليها حاجة. روح كلامها كله ببيقاله حاجة. مش دايمًا بنعرف إيه الحاجة دي في وقتها، لكن بنبقى واثقين إن بعيدين هنفهم.

برغم خفقان قلبها وهي تسمعه يتحدث، وبالذات عندما قال لها إن ليلي ليها حدوتة، فإنها تعاملت مع مسحة الارتباك التي انتابتها واستطردت:

- لما روح حكلي عنك إنت وأصحابها في مصر، وإنها بتعتبركم عيلتها، ما تصورتش أبداً إن العلاقة بينكم بالجمال ده. إنت مؤمن بكل كلمة روح بنقولها حتى لو ما فهمتش معناها!

براء: طبعاً. أنا وروح مراية بعض، والمرايات لازم تعكس الحقيقة، مش ممكن تبصي في المراية وتقول دي أنا ولأ حد تاني! أنا وروح كده بالظبط. لما باسمعها بنقول حاجة مش ممكن أقول دي حقيقي ولأ لأ. لازم أكون متأكد إن ليها معنى!

عالية بدلال ودهاء أنثوي:

- طب تفكر عالية دي مدلولها إيه بالنسبة لك؟

براء بثقة:

- مش مدلول، ده يقين!

عالية بتحد:

- إيه هوّ اليقين؟

براء واثقاً:

- إنك هتبقى الغالية!

عالية مرتبكة:

- قصدك هنبقى أصحاب أوي؟ طبعًا أكيد. أنا فعلاً حبيت روح وبقت عالية على قلبي.

براء: قصدي أنا قلت، وإنّ سمعته!

عالية باستغراب:

- قصدك إيه مش فاهمة؟!!

براء: «إن العيون التي في طرفها حورٌ قتلنا ثم لم يحيين قتلنا».

ابتسمت عالية في نعومة وهي تنظر إلى براء في عينيه متسائلة:

- الله! الشّعر الجميل ده قاله قيس في ليلي؟

براء: لأ. ده شعر قاله براء ليلي بتاعته، لكن في الأصل جرير هوّ اللي كاتبه.

ابتسمت عالية في خجل، ولم تنطق بكلمة واحدة، ولم ينطق براء، واكتفى بالنظر إلى العيون التي في طرفها حورٌ، واكتفت هي بالاستمتاع بنظراته المحبة الواضحة لها، وبأسلوبه المختلف شكلاً وموضوعاً عن كل الرجال المحيطين بها من أبناء عمومة أو أصدقاء أو زملاء دراسة. إنه الساحر الضئيل المخترق للقلوب بقوة وسلاسة في أن واحد.

دخلت روح الحديقة لتجد ذلك المشهد، وتلمس ذبذبات الحب التي تملأ الحديقة كأنها لمبات إضاءة منيرة ومرئية للجميع. فهمت روح معنى الكلمات التي نطقت بها من دون قصد في منزل السيد علي عندما قالت: «العالية للغالي أبو مقام عالي». الغالي براء، حبيب روح، اللي مقامه عالي في قلبها، وعالية هي حبيبته العالية.

وقفت تتأملهما للحظة وهي سعيدة بهما، ثم وجهت كلامها إلى براء.

روح: القهوة يا غالي.

براء: تسلم إيدك يا حبيبة قلب الغالي!

عالية: هو إنّ مسمية براء الغالي يا روح؟

روح: أبداً. دي أول مرّة أقولها له.

عالية: وإنّ عادي بالنسبة لك إن روح تناديك بأي اسم مش اسمك وترد يا براء؟

براء: أنا مش قلتك مرايتي! لو ناديت عليّ بأي اسم هارد وهاعرف إنها بتنادي عليّ أنا، مش على حد ثاني!

عالية مبتسمة:

- ربنا يبارك فيكم ويحفظكم.

همست روح لنفسها بصوت لا يسمعه سواها: «أمين، ويبارك فيكم ويحفظ قلوبكم الطاهرة البيضاء».

جلس الثلاثة يشربون القهوة معاً، ويتجادبون أطراف الحديث في موضوعات مختلفة حتى منتصف الليل، ثم استأذنت عالية للمغادرة إلى بيتها. نهض براء للسلام عليها وهو لا يريد أن تغادر أبداً، فقد أصابه سحر العيون الفارسية بسهم الحب، وهي أيضاً وقعت أسيرة سحر الأسمر القادم من أقصى صعيد مصر ليخطف قلبها بهذه السرعة. مد يده للسلام على عالية قائلاً: - أنا بكرة هاعمل جولة مع روح في قونيا. عايزك معانا.

كانت عالية مندهشة بأسلوبه المباشر، فهذا هو أسلوبها في الحياة، ولكنها في الحب لم تكن تدري كيف سوف تتصرف. ابتسمت وردت عليه:

- نتقابل الساعة كام؟

روح: تعالي افطري معانا بكرة يا عالية ونمشي مع بعض.
عالية: خلاص يبقى أجيبلكم فطائر طازة من إيد أمي ونفطر سوا. الساعة تسعة كويس؟
براء: لا، خليها سبعة.

عالية: ياه! إنت بتصحى بدري كده؟!!

براء: لا ما باصحاش بدري خالص!

عالية: طب عاوزني آجي الساعة سبعة ليه؟!!

براء: عشان عاوز أفتح عيني على العيون اللي في طرفها حور!

شعرت عالية مرّة أخرى بالخجل والارتباك، فاستدارت سريعاً للسلام على روح في محاولة لإخفاء حمرة وجهها قائلة:

- تصبحي على خير يا روح.

احتضنتها روح قائلة:

- وإنت من أهل الخير.

كان العيد فعلاً هذه السنة عيداً لبراء، فقد جمعه الله على روحه بالفعل: روح الصديقة والأخت وتوأم الروح، وروح عالية التي شعر أنها الحب الذي وجده أخيراً.

*

على الرغم من فرحة روح برؤية براء، وفرحتها بشرارة الحب التي أحستها بينه وبين عالية، وقضائها أول يوم للعيد وسط عائلة عالية، وإحاطتهم لها بدفء العائلة الذي لم تحس به منذ فترة، فإنها عندما دخلت غرفتها تذكرت نور. شعرت كم تفتقده. ربما أحييت ذبذبات الحب بين براء وعالية مواجهها من جديد. زالت الابتسامة عن وجهها، ووضعت يدها على قلبها كأنها تربت عليه وتطمئنه. توجهت إلى نافذة غرفتها الواسعة ويدها ما زالت على قلبها. أغمضت عينيها، واستشعرت وجود نور في مكان ما يستقبل ذبذبات حبها المرسل، وربما كان بالقرب من نافذته أيضاً يفكر بها ويفتقدها في الوقت نفسه. وهمست لنفسها وكلها ثقة أنه يسمعها: «أنا باحبك يا نور، باحبك أوي. نفسي أصحى الصبح الأليك جنبي، والأقي كل ده حلم، وألمسك بإيدي وأقولك إنت حقيقي ولأ حلم. نفسي الحرمان هو اللي يطلع حلم والحقيقة تبقى وجودك جنبي. وغلاوتك عندي ما أغيب عنك، يوم ما تبقى حقيقي ومن حقي».

حضنت نفسها كما تعودت أن تفعل، وبكت وبكت، وظلت تبكي إلى أن جاءها ذلك الوارد في قلبها. أخذت دفترها وقلمها وبدأت تكتب:

قصيدة أنثى تعشق

أفتقدك وأنا لم أقترب منك

أشتاق إليك وأنا لم أقترب منك

أتلهف عليك وأنا لم أقترب منك

أموت كل لحظة وأحيا في بعدك وأنا لم أقترب منك

فما بالي لو اقتربت منك

فما بالي لو شممت عطرك

فما بالي لو لمست يدي يدك

فما بالي لو أغمضت عيني وارتميت في صدرك

فما بالي لو ضممني حضنك

أحتاج حضنك

أحتاج أن أشعر أنني وصلت إلى شطي وأماني وتذوقت طعم حبك

أحتاج أن أعطيك كل الدلال الحبيس بداخلي من أجلك سنين طويلة. حافظت عليه بكرًا من أجلك وحدك هناك أنثى تعشقك وحدك

استغربت روح مما كتبه! إن كتابتها بدت مختلفة عما اعتادت أن تكتب، إن كتاباتها دائمًا لها مذاق روحاني وفيه قدسية وتجريد من أي مشاعر دنيوية. كانت دائمًا تتمنى قرب نور، ولكن وارداتها وإلهاماتها كانت دائمًا تسير في مسار يرتقي فوق كل ما هو دنيوي! تساءلت بينها وبين نفسها: «تُرى هل طينيتي تغلبت على روحي وكتبتها برغباتها، أم أن الفراق زاد الاشتياق عندي، وروحي التعبه تهفو لأن تكون معه دون أي شيء آخر؟». لم تكن روح تستوعب بعدُ لماذا بدأت كتاباتها تختلف، لم تكن تستوعب بعدُ فكرة أنهما كما هما روح واحدة فإنهما أيضًا جسد واحد، وهذه الإلهامات هي حنين الجسد لأصله وليست طينيتها كما ظنت.

مسحت دموعها ووضعت رأسها على وسادتها لتنام. حدثت ربهها بقلبها كما تعودت. قالت له: «إنك تراني وتسمعني، وتشعر بمدى ضعفي، فلا أقوى على طلب غير قول يا مددي امددني بمدد يكون لي سدي، ويكون لي أمني، ويكون لي كلي ومنتهاي وغاية أمني، واحمني من ضعفي، ولا تفتنني بحبي، فأنت الأمر وأنت الناهي على قلبي، فيا ربي أشهدني تجليك في خلقك ولا تفتنني بهم عنك. أحبك يا ربي».

ثم أغمضت عينيها وصلّت على الحبيب: «اللهم صلّ على سيدنا محمد، أحب العباد لرب العباد، والحبيب المحب لقلوب العباد، عدد ما طُلب منك الوصل والإمداد، وعدد ما وصلت عبادًا ومددت عبادًا، وعدد ما سوف تصل عبادًا وتمد عبادًا، حتى نلقاك يا رب كل العباد، وعلى آله وأصحابه، آمين».

*

كان نور يقف بالفعل بالقرب من نافذة غرفة نومه، شيء ما همس في أذنه أن ينظر من نافذة الغرفة في ذلك الوقت. وقف يفكر في روح، واستشعر ذبذبات حبها المرسلّة من قونيا. نظر بعمق في ظلمة سماء مراكش، وأحس بصوتها وهي تهمس لنفسها بحبه. أغمض عينيها، وتخيل أنه يضمها بالفعل، ويمسح على شعرها، ويربت عليها ليطمئنّها أنها بالفعل في حضنه وبين ذراعيه. ليته يستطيع أن يفعل. يا ليت أمنيته ورجاءها يتحققان، ويستيقظان ليجدا كل هذا الحرمان حلمًا، والحقيقة هي وجودهما معًا.

كان نور أيضًا يشعر بنفس الاشتياق الملموس وليس الروحي فقط. بدأ يمتلكه أيضًا حنين الأصل إلى الفرع، ولكنه كان يعي ترجمة هذا الإحساس، كان يستوعب مقولة جلال الدين الرومي: «استمع إلى صوت الناي كيف يبيت آلام الحنين. يقول منذ قطعت من الغاب وأنا أحن إلى أصلي».

فطن نور إلى حقيقة أنه وروح ليسا فقط روحًا واحدة، بل أيضًا جسد واحد، واحد تمامًا كأبيه آدم وأمّه حواء، خلقت منه ومن روحه، روح الله.

كانت حياة مستمتعة بالعيد وسط أهلها وأصدقائها، ولكن الملل من حالة نور المزاجية ما زال يزعجها، فعلى الرغم من محاولاته لإسعادها والانسجام معها ومع أسرتها وأصدقائهم في أجواء العيد، فإنها كانت تشعر أنه ليس نور الذي اعتادته، وأن حالته المزاجية بدأت بالفعل لا تُحتمل. نهضت من السرير ونادته وهو في لحظات استقبال ذبذبات حب روح ورسائل حبها المرسلّة من قونيا.

حياة: نور.

نور: نعم يا حبيبتى.

حياة: أنا زهقانة أوي، وبجد لازم نساfer نغير جو!

نور: ما أنا قلتلك يا حبيبتى شوفي تحبي نروح فين وإنتِ ما قلتيش!

حياة: باريس. تعال نروح باريس.

نور: أيوه يا حياة بس إنت عارفة أنا مش باتبسف في باريس!

حياة: حبيبي، أنا باحب باريس، وعندي أصحاب كثير هناك. جرب المرّة دي يمكن تتبسف. هنخرج ونسهر مع أصحابي وهنتبسف صدقني. علشان خاطري يا نور. لو بتحبني!
نور مبتسمًا:

- طبعًا باحبك. حاضر.

ارتمت حياة في حضن نور بدلال وقالت:

- ميرسي يا حبيبي. أنا عارفة إنك بتحبني. إن شاء الله هنتبسف ونكسر الدنيا انبساط!

ابتسم نور، ومسح على شعرها، وقال:

- إن شاء الله يا حبيبتى.

ضم نور حياة في حضنه برفق، ومسح على رأسها. حضنه الذي تمنى أن يضم روح فيه ويمسح على شعرها ويتلمسه بأصابعه. لم تكن روح هي الأنثى التي في صدره وتقرب من قلبه، ولم تكن رائحة جوز الهند تفوح من حياة. لم يكذب نور حين قال لحياة إنه يحبها. إنه فعلاً يحبها، وحبها لها يحتل مساحة كبيرة من معاناته في حب روح. كان كثيرًا ما يتساءل كيف يحب روح كل هذا الحب الجارف وهو ما زال يحب حياة!

لم تكن باريس من المدن المفضلة لنور، فطبيعتها الصاخبة لا تتوافق مع طبيعته الهادئة، ولم تكن شوارعها المزدهمة ولا سهراتها حتى الصباح تستهويه. كان يفضل الذهاب إلى روما، والتجول في شوارعها الضيقة العتيقة، والذهاب إلى الفاتيكان والجلوس على مقاهيها بالساعات للقراءة والكتابة. ولكنه كان حريصًا على إسعاد حياة قدر المستطاع. كان متفهمًا تمامًا لطبيعتها الملولة، وكان يشعر بشفافيته العالية أنها ملت حالته المزاجية في الفترة الأخيرة، لذلك لم يكن ليرفض لها طلبًا، حتى وإن كان لن يجد فيه متعة شخصية له.

بدأت حياة في الإعداد لرحلة باريس للسفر بعد العيد فورًا. اتصلت بأصدقائها المقيمين هناك لتحضير برنامج مزدحم من السهرات والفسح. كانت متحمسة جدًا كعادتها للسفر والسهر والتواجد بين نوعية مختلفة من الأصدقاء. كانت هي باريس بشوارعها المزدهمة وبيوت أزيائها الفاخرة وسهراتها الصاخبة. حياة كانت هي بالفعل العاصمة التي لا تنام.

*

في قونيا استيقظ براء مبكرًا أو ربما لم ينم بالمرّة. كان يفكر في عالية، أو ليلي. كان يستعيد حديثهما معًا ونظرة عينيها وحضورها وقوة شخصيتها. كان يشعر أنه إذا استيقظ وبدأ يومه مبكرًا فسوف يراها أسرع. أخذ دشًا ساخنًا، وانتقى قميصًا بيج من الكتان وبنطلونًا كاكي باجي، ولف حول رقبته كوفية قطنية بيضاء. مرر يديه على شعره ليبدو مثل أبطال الروايات الرومانسية الإسبانية بشعره الطويل وملابسه الفضفاضة. خرج من غرفته وتوجه إلى روح.

براء: شكلي كويس كده ولأ ألبس حاجة ثانية؟

روح مبتسمة:

- زي القمر!

براء: طب أخليني بالكوفية ولأ أشيلها؟

روح ضاحكة:

- لا، خليها، حلوة.

براء: طب هيّ عالية ما جاتش ليه؟

روح ممزحة:

- الله! هيّ عالية ولأ ليلي؟!!

براء: هيّ ليلي الغالية!

روح مبتسمة:

- زمانها جاية. إحنا لسه بدري. اصبر شوية. أعملك حاجة تشربها لغاية ما عالية تيجي؟

براء: لا، إحنا اتفقنا هنفطر سوا.

روح: أيوه يا حبيبي أنا عارفة. أنا قصدي لو تحب أعملك شاي أو قهوة لغاية ما عالية تيجي ونفطر مع بعض يعني.

براء: لا يا حبيبي، ربنا يخليك ليّ، أنا مش عايز حاجة، شكرًا.

دق باب البيت، ودق معه قلب براء، ونظر إلى روح وقال:

- هيّ.

كانت عالية هي أيضًا تستعجل الوقت لتري براء، فجاءت مبكرة. فتح الباب، ووجد نفسه أمام العيون التي في طرفها حورّ.

براء: ليلي.

عالية بدلال وهي تحمل طبق الفطائر، وتتنظر في عيني براء:

- صباح الخير. أنا لقيت الفطائر سخنة قلت أجيها قبل ما تبرد.

براء: طبعًا. الفطائر لازم تتاكل سخنة وأنا جعان أوي.

ارتبكت عالية، وسألت عن روح. أخذ منها براء الطبق وأدخلها.

روح: صباح الأنوار يا حبيبي!

عالية: صباح الجمال كله. أنا جبنتكم الفطائر، تعالي نعمل الشاي.

تدخّل براء:

- لا، إنتو تقعدوا زي الهوانم وأنا اللي هاعملكم الشاي. الهوانم تحب أي حاجة ثانية غير الشاي؟

روح: لا يا حبيبي، تسلّم. هتلاقي كل حاجة عندك لو احتجت مساعدة نادي عليّ.

براء: عيب عليك. دي هتبقى أحلى كوباية شاي تشربها.
روح: ماشي يا غلباوي.

نظرت روح إلى عالية وضحكت، وقالت همساً:

- قال يعني أول مرّة يشربني شاي. ده أنا شربت شايه الصعيدي خمسميت مرّة، وكل مرّة أقوله سييني أعمل أنا الشاي، بس مش بيرضى. أصله بيعمل الشاي تقيل أوي وأنا باحبه خفيف. بس أعمل إيه باحبه، وأي حاجة منه حلوة حتى لو كانت الشاي الصعيدي.
لم تكن فكرة دخول الرجال إلى المطبخ معتادة بالنسبة لعالية، ففي عائلتها وطبقاً للتقاليد الإيرانية الموروثة وتاماً كالثقافة العربية، فإن الرجال لهم معاملة خاصة، والنساء يجب أن تقوم على خدمتهم، ولا يقومون هم على خدمة النساء حتى وإن كان مجرد إعداد كوب من الشاي.
جلس الثلاثة يتناولون الإفطار معاً. تعجبت روح من لون الشاي الذي أعده براء هذه المرّة، لم يكن ذلك الشاي الصعيدي الغامق القاتم كالحبر، كان أفنح لوناً، وشفافاً، وليس كما اعتاد براء أن يشربه دائماً.

عالية: الشاي حلو أوي يا براء، تسلم إيدك!

براء: يسلم قلبك.

روح: فعلاً يا براء، الشاي المرّة دي مختلف، مش صعيدي أوي!

براء: ما هو أنا قلت يمكن ليلي ما تحبش الشاي الصعيدي، فعملت شاي عادي.

شعرت عالية بزهو على الرغم من بساطة التصرف، وشعرت برقة براء، وابتسمت له وقالت:
- متشكرة!

براء: أنا اللي متشكر إنك جيت.

عالية: أبدأ، ما تشكرنيش. أنا بيتي في آخر الشارع يعني مش بعيد.

براء: أنا متشكر إنك جيت الدنيا!

ارتبكت عالية بشدة حتى اهتز كوب الشاي في يدها. شعرت روح بارتباك عالية فتدخلت في الحوار:

- طب أنا هاروح أجيب شنطتي علشان نمشي على طول بعد الفطار.

*

بدأ براء بزيارة ضريح مولانا جلال الدين الرومي. سلم عليه، واقترب من مقامه، وأغمض عينيه، ووقف في سكون ما يقرب من عشر دقائق. دعا ربه بما يكنه في قلبه، ثم قرأ الفاتحة وسلم على مولى الحب وانصرف.

كانت روح تنتظر براء في القاعة الملحقة بالمقام، في مكانها الذي اعتادت الجلوس به أرضاً. تصورت أنه قد يمكث وقتاً أطول مما مكث، فذهبت إلى مكانها كعادتها تتأمل الزائرين وترسم في دفتريها بالخط العربي إحدى العبارات أو الآيات التي تشعر بها في قلبها.

كعادتها التف حولها بعض المارة لشراء رسوماتها. دخل براء القاعة ونظر إلى هذا المشهد، وتجمد في مكانه. نظر إليها بفسنانها المزركش وشالها الأخضر وهي تجلس وحولها زوار مولانا من كل العالم. لم يكن يعلم ما الذي يحدث، وما سبب التفاف الناس حول روح.

انتبه براء من تأمله لروح على صوت عالية.

عالية: شكلها حلو أوي. تحسها لوحة مرسومة مش حقيقية.

براء: بالعكس، دي حقيقية جدًّا. هي دي روح.

عالية: إنت عارف زوار مولانا مسمينها إيه؟

براء: إيه؟

عالية: مسمينها روح مولانا، ومعتقدين إنها روحه فعلاً وبتزورنا، وإن كلامها ورسوماتها رسائل الرومي لزواره!

براء: القلوب ما بتكدبش. ما دام حسوا بكده يبقى فيه شيء من الصحة في كلامهم.

عالية: إنتو زي بعض إزاي كده؟! إنت كلامك شبه كلام روح!

براء مداعبًا عالية:

- لا، بس أنا باقول كلام أحلى من كلام روح بكتير، بس استني لما تسمعي!
عالية بدلال:

- سمعني وأنا أحكم!

براء متحدثًا:

- هاسمك يا ليلي!

اقترب براء وعالية من روح في هدوء، ووقفوا بالقرب منها حتى لا يشنتا تركيزها وهي ترسم في هدوء. وجدت روح نفسها تكتب: «استمع إلى صوت الناي كيف يبيت آلام الحنين. يقول منذ قُطعت من الغاب وأنا أحن إلى أصلي».

توقفت عن الرسم لحظة وضحكت. تنبّهت لمعنى المقولة، وفهمت الرسالة منها: إن الله أرسل إليها إجابة التساؤل الذي حيرها بالأمس. إن اختلاف كتاباتها لم يكن بسبب تغلب طينيتها على روحها كما ظننت، إنما هو حنين الناي إلى الغاب، حنين الفرع إلى الأصل، حنين الجسد الواحد لبعضه. كان الزوار ينظرون إليها باستغراب وهي تضحك. عالية أيضًا كانت تتساءل بينها وبين نفسها عن سبب الضحكة، ولكن براء كان يبتسم لروح. كان يعلم أنها تضحك لأنها بالتأكيد شعرت برسالة ما في قلبها تسببت في هذه الضحكة الواسعة.

لم تعط روح أحدًا هذه الرسمة، احتفظت بها لنفسها، لأنها بالفعل كتبت من أجلها هي.

تنبّهت لوجود براء بجانبها فابتسمت وقالت له:

- مش عايزني أرسلك حاجة؟

براء: أكيد عايز.

نظرت روح بعمق إلى عالية وبراء، ووجدت نفسها تكتب بخط أحمر كبير وجميل: «ما تبحث عنه يبحث عنك».

فهم براء رسالة روح، وابتسمت عالية لمقولة مولانا الرومي التي اختارتها روح، فقد بدأت تعتاد طريقته وكلماتها المحملة برسائل دائمًا. والرسالة كانت واضحة: مولى الحب يرشد كلًّا منهما إلى أن شرارة الحب اشتعلت في القلبين معًا.

أخذ براء الرسمة وقال لعالية:

- مش هاقدر أعزم عليكِ تاخديها لأنني لازم أخدها معايا مصر!

عالية: بس أنا كان نفسي أخليها معايا!

براء: أنا هاخدها علشان أفكر نفسي، لأنني هاسيب روحي معاك!

ارتبكت عالية، ولم تجد كلمات للرد على كلمات براء الجميلة التي تخترق دائماً قلبها وإحساسها بقوة وجمال.

اصطحبت عالية روح وبراء إلى المدينة في جولة شملت المساجد الأثرية والأسواق القديمة، ثم ذهبوا لتناول الغداء في أحد المطاعم التركية بالمدينة. تولت عالية مهمة اختيار الطعام لبراء الذي لم يكن معتاداً على أصناف الطعام التركية. وجلسوا جميعاً يتناولون الطعام ويتجادبون أطراف الحديث في موضوعات مختلفة.

وجه براء كلامه إلى روح:

- شكلك كان حلو أوي وإنّ قاعدة بترسمي. أنا شخصياً لو ما كنتش باحب، كنت وقعت في غرامك فوراً أول ما شفتك وإنّ بترسمي والناس حواليك!
ابتسمت عالية بدهاء ناظرة إليه ومكتفية بالصمت.

روح: يا حبيبي، تسلملي. وبعدين ما إنت بتحبني من زمان، ولأ إيه رأيك يا عالية؟
عالية مازحة:

- يمكن أجواء قونيا صحت جواه حب السنين يا روح!

براء مداعباً عالية:

- إنت بتقوللي فيها. فعلاً قونيا صحت جوايا حب السنين!

عالية: طب نجيب مأذون واثنين شهود؟

براء: يعني إنت موافقة خلاص؟ آجي أقابل بابا إمتي؟

ارتبكت عالية، وهربت من عيني براء سريعاً لإخفاء خجلها:

- أنا لازم أستأذن، معلش سامحوني، مش هينفع أفضل أكثر من كده!

براء: إنت اتضايقت مني ولأ إيه؟! طب خليك وأنا مش هاتكلم خالص، هافضل باصص عليك بس!

ابتسمت عالية وقالت:

- لا، ما اتضايقتش أكيد. أنا بس خدت إذن جدي إني أخرج الصبح وأغيب ساعتين، بس لازم أرجع علشان العيلة متجمعة وهنتعشى كلنا مع بعض، ولازم أساعد أمي وإخواتي وأضاييف العيلة.
روح: طبغاً ضروري تبقي معاهم. ولو إني كان نفسي تفضلي معانا لآخر اليوم، لكن أنا عارفة أهمية لمتكم مع بعض. ربنا يديمها نعمة عليكم ويزيد المحبة بينكم، أمين.

غادرت عالية وعينا براء ترقبانها، وعينا روح ترقبان براء بسعادة. استدار براء إلى روح بعد أن بعدت عالية عن الأنظار، فوجد روح تنظر إليه وعلى وجهها ابتسامة.

براء: إيه يعني؟! مش فاهم ليه تبقى إيرانية وعائشة في تركيا! ليه مش مصرية، ومش ساكنة في الشارع اللي ورايا مثلاً؟!!

روح: علشان مكتوب كده.

براء: لازم أتشحتف يعني؟

روح: أيوه. إنت بالذات كان لازم تتشحتف زي ما شحتفت قلوب وراك!

براء: تار يعني؟

روح مبتسمة:

- لا يا حبيبي، مش تار ولا حاجة، بس لو ما كنتش اتشحتت بالقوي كده، ما كنتش عمرك هتأكد
إن في حاجة مختلفة بينك وبين عالية، عن اللي بينك وبين أي بنت تانية.
براء: أنا حسيت بيها في قلبي من أول ما عيني بصت في عينيها.
روح: حسيت بايه يا حبيبي؟
براء: حسيتها جوايا! والله العظيم يا روح حسيتها جوايا!
روح: صادق من غير حلفان!

غادر نور وحية مراكش إلى باريس. كان نور يتمنى أن يتمكن من إسعاد حياة، كانت لديه النية ألا يرفض لها طلبًا، وأن يبذل قصارى جهده لجعل هذه الإجازة إجازة سعيدة. كان الشغف يملأ حياة. بدأت اتصالاتها بأصدقائها في باريس بمجرد أن وصلا إلى الفندق، وسريعًا ما اتفقت على الخروج لمقابلتهم. جلس الجميع على أحد مقاهي الشانزليزيه الشهيرة يتجادبون أطراف الحديث، وتعلو أصوات ضحكاتهم. كان نور يشاركهم الحديث، ولكن ضحكاته كانت هادئة كعادته. كان يحاول جاهدًا ألا تشعر حياة أنها وحيدة وسط أصدقائها، إلى أن وجهت سؤالها لجميلة صديقتها.

حياة: ها يا جميلة، حجزت لنا «مولان روج» إمتى؟

جميلة: بالعافية لقيت تذاكر بعد بكرة.

حياة: تسلميلي. أنا متهيألي إن أنا مش هيجيلي نوم في الأجازة دي من كتر الحاجات اللي عايزة أعملها.

جميلة: ومين سمعك. أجازة يعني أجازة.

صدم نور، وتفاجأ من رغبة حياة في الذهاب إلى ملهى ليلي من نوعية «مولان روج»، وبدون مناقشة الأمر معه. فبرغم اختلاف طبيعة شخصية حياة المزدهمة بالرغبات والمقابلة على ملذات الدنيا إلا أنها لم تكن تقصد تلك الأماكن من قبل، ومهما وصلت درجة الاختلاف بين الأماكن التي تفضلها حياة في باريس عن الأماكن التي قد يفضلها نور، إلا أنهم لم يصلوا في درجة الاختلاف إلى هذا الحد. لم يعلق نور على تلك المحادثة الجانبية، ولكنه قرر أن يناقش الأمر مع حياة عند العودة إلى الفندق.

حياة: طب أنا زهقت من القعدة، مين يحب يتمشى معايا شوية؟ ولأ حتى تعالوا نغير القعدة كلها لمكان تاني.

نور: لو تحبي نروح الأوتيل أنا معنديش مانع!

حياة: لا يا نور أوتيل إيه دلوقت؟ إحنا لسه في أول اليوم. لو تحب تروح إنت يا حبيبي خليك براحتك ونتقابل على العشا!

نور: فعلاً أنا حاسس إني محتاج أرتاح شوية قبل العشا.

نهض نور وقد تنفس الصعداء لأنه سيغادر هذه الجلسة الثقيلة على قلبه والتي يتحملها فقط من أجل حياة. ضم حياة إلى صدره، وسألها كأنه يريد أن يؤكد لنفسه أنه غير مقصر في حقها.

نور: حبيبتي متأكدة إنك هتتبي مبسوطه لوحديك ولأ تحبي أفضل معاك؟

حياة: حبيبي، أنا مش لوحدي! كل دول مش مكفينك؟!

نور مبتسمًا:

- أنا بس عايز أتأكد إنك مبسوطه.

حياة وهي تقبل نور قبلة سريعة على وجهه:

- مبسوطه يا حياتي. بس ارتاح إنت كويس علشان سهرة بالليل.

نور: حاضر.

ألقي نور التحية على أصدقاء حياة، واستأذن في المغادرة.

*

كان براء في قونيا يقضي وقته في التجول في الشوارع العريقة وزيارة المعالم التاريخية، وكل يوم يزيد تعلقه بعالية أكثر. أصبح يحمل عبء ذلك اليوم الذي سيغادر فيه إلى مصر ويتركها. ذلك الطفل الذي لم يحمل عبء شيء من قبل، أصبح يحمل عبئاً كبيراً، عبء الحب والحرمان من الحبيب، نفس العبء الذي تحمله روح في قلبها ويحمله نور في قلبه.

لم يعد وجودهما معاً مرتبطاً بوجود روح معهما، ولم يعد وجود عالية مع براء مبرراً بقيامها بدور المرشد السياحي، بل أصبحا يخططان كل يوم لبرنامج اليوم التالي معاً دون الارتباط بروح، حتى وإن كان هذا البرنامج هو الذهاب مع عالية إلى محل المجوهرات الخاص بالعائلة، والجلوس معها طوال اليوم حتى تفرغ من عملها، ومن ثم الذهاب لتناول ساندويتشات الشاورما وشرب الشاي في أيّ من المقاهي البسيطة. أما روح فكانت تقضي معهما وقتاً بسيطاً بعد روتينها المعتاد، وزيارة مولانا يومياً كل صباح وحتى صلاة العصر. إلى أن جاء ذلك اليوم الذي كانت تجلس في مكانها المعتاد، مفترشة فستانها وواضعة شالها على رأسها، وممسكة بسبحتها الخضراء تسبح وهي مغمضة عينيها في صمت لا يخترقه سوى همسات تسبيحاتها، حتى اخترق ذلك الصمت صوت.

الزائر: إنتِ فعلاً روح الرومي زي ما سمعت!

استفاقت روح من شرودها مع تسبيحاتها على هذا الصوت الذي لم تميز ما قاله، والتفتت إليه قائلة:

- أفندم؟

تدارك السائل اندفاعه، وشعر بحرج، ثم تحدث بالتركية معتذراً لها على اقتحامه خلوتها.

ردت روح بالإنجليزية معتذرة هي أيضاً، وهي تحاول شرح أنها لا تتحدث التركية.

ابتسم الزائر ثم تحدث بالعربية مرّة أخرى.

الزائر: إذن أنتِ هي وأنا لم أخطئ؟!!

روح: هيّ مين؟

الزائر: أنتِ روح. لقد ظننت أنك إحدى الزائرات التركيات عندما قلت «أفندم»!

ابتسمت روح بركة:

- نعم أنا روح، ولكن في بلدي نستعمل كلمة «أفندم» أيضاً كما تستعملونها هنا في تركيا.

الزائر: لقد سمعت كثيراً عنك. الناس في قونيا لا تكف عن الحديث عن الدرويشة المصرية روح

الرومي التي أنت لتزورنا.

روح مبتسمة:

- برغم أن هذه التسمية تبعث البهجة في قلبي، ولكني دوماً أؤكد أن روح مولانا بكل القلوب المحبة

في كل مكان، وليست حبيسة في قلب واحد. إن الحب ينتقل بين البشر بلا حسابات للمسافات أو

الأزمنة، وبلا شروط، سوى أن تكون القلوب مفتوحة ومستعدة للنور الذي يبحث عن متلقٍ،

وعندما يجد تلك القلوب يقتحمها بقوة ومن دون استئذان، ويملاها نوراً وجمالاً وحباً.

القلوب دي بتبقى زي ما تكون مربوطة ببعض في كل مكان بخيط، خيط من نور. الخيط صحيح

رقيق، لكنه قوي بقوة النور. هو صحيح خيط، لكنه واصل وموصول. القلوب دي سهل تتعرف

على أصحابها أول ما عينك تقع عليهم ولأ تشوفهم من بعيد. النور بيصح من جوههم زي بالظبط

القمر ليلة تمامه. في حد ما يشهدش نور القمر ليلة تمامه؟

الزائر بإعجاب:

- يبقى الناس ما كدبوش لما سموك الاسم ده. أنا دلوقتِ شايف النور ده في وشك، وحاسه في قلبك، وسامعه في كلامك. أنا دلوقتِ باشاهد القمر في ليلة تمامه!
ابتسمت روح برقة لكلمات الزائر الرقيقة ولم تتكلم.
مد الزائر يده مسلماً على روح، ومعرفاً نفسه إليها.
الزائر: أنا ضيف. أعتقد سمعت اسمي قبل كده!
روح مصافحة ضيف:

- طبعاً سمعت. لو ما كنتش غلطانة يبقى إنت أخو عالية، مش كده؟
ضيف: مطبوط. تشرفت بمقابلتك والكلام معك. فعلاً كان لازم آجي وأتعرّف عليك!
روح: أنا اللي الشرف حصلي بمقابلتك!
ضيف: تحبي تنمشي مع بعض في الساحة بره ونكمل كلام شوية؟
روح مبتسمة:

- طبعاً أحب. بس أسلم على مولانا ونمشي.
توجهت في سكون في اتجاه ضريح مولانا الرومي. أغمضت عينيها لحظات، وسلمت عليه بقلبها
كما تفعل دومًا، ثم استدارت في اتجاه ضيف للخروج معه إلى الساحة.
كان ضيف في أوائل الأربعينيات، ذا ملامح فارسية أصيلة. كان له تلك الجبهة العريضة، والأنف المدبب، وعظم الوجه البارز. كانت عيناه تحملان الكثير من السحر الفارسي، وكان له لحية قصيرة مهذبة تزيد هذا الوجه الفارسي وسامة وجاذبية. كانت له تلك الشخصية المقتحمة التي تُقدم على أي تصرف من دون حساب لردود أفعال الناس أو آرائهم. تلك الشخصية القوية التي اكتسبها من وجوده بجانب جده معظم الوقت، جده الشيخ بهاء الذي كان يحرص دائماً أن ينقل إليه ليس فقط عادات وتقاليد حضارة عريقة كالحضارة الفارسية، ولكن أيضاً كان حريصاً على أن ينشأ ضيف مكتسباً سمات رجال عائلة بندر من قوة الشخصية والصلابة، حتى لو كان يعيش بعيداً عن أرض وطنه إيران.

ضيف: ها، احكيلي بقى إيه اللي جابك قونيا؟

روح: ربنا!

ضيف: ونعم بالله. طبعاً ربنا كاتب كل حاجة، بس أنا قصدي ليه جيت هنا وسبت بلدك وحياتك كلها زي ما سمعت من عالية؟

روح: هتصدقني لو قنلتك إن أنا نفسي لسه ما عرفتش السبب اللي ربنا بعثني هنا عشانه؟
توقف ضيف عن السير، ونظر في عيني روح بمنتهى الثبات والجدية وقال:
- أكيد هاصدقك.

تبسمت روح وقالت:

- وأنا كمان أو عدك إنني لما أعرف السبب أقولهولك.

ضيف: وأنا باحلك من وعدك. حبيت تقولي وقتها قولي، ما حبتيش ما تقوليش.

نظرت روح بتعجب لضيف وقالت:

- افتكرتك عايز تعرف فعلاً!

ضيف: عايز طبعًا. بس اتعلمت من جدي إن الوعد عهد! بسم الله الرحمن الرحيم: «وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا».

يعني الأفضل إنني لو مش متأكد إنني هاقدر أوفي بالوعد ما اوعدش أحسن، وإنني من الناس اللي أنا متأكد إنهم ما بيخلفوش وعودهم. وما دام السبب لسه في علم الغيب يبقى ممكن جدًا وقتها تبقي عايزة تحتفظي بيه لنفسك. يبقى ساعتها هتعملي حاجة من الاتنين: إما هتخلفي وعدك، وإما هتقولني السبب، بس وإنني مضطرة ومتضايقه، وأنا ما أحبش إنك تكوني مضطرة على عمل أو قول أي شيء.

روح بإعجاب:

- متشكرة جدًا يا ضيف. أعتقد إن من هنا ورايح هاتبغ أسلوبك ومش هاوعد بحاجة لسه في علم ربي.

ضيف: العفو، ده مش أسلوبك ده أسلوب جدي. على فكرة إنني لو شفتيه هتحببني أوي. راجل عظيم!

روح: أنا حبيته بالفعل من قبل ما أشوفه. كلام عالية عنه خلاني متشوقة جدًا لمقابلة راجل بجمال الشيخ بهاء. إن شاء الله نتقابل قريب.

ضيف: تشرفينا.

بدا ضيف على درجة عالية من الاعتزاز والثقة بالنفس. كان يتحدث وهو يعلم جيدًا أن حديثه له جاذبية، كما كان يبدو عليه أنه مدرك لمدى وسامته. كان يدير دفة الحوار بكل قوة، هو الذي يوجه الأسئلة ويستفسر عن الإجابات. كان ينتقل برشاقة من منطقة إلى أخرى في الحديث، وينقل معه روح بمنتهى السلاسة. شعرت روح من أول لقاء مع ضيف بقوة شخصيته. لم تشعر بأي غربة وهي تتحدث معه، رغم أنها المرة الأولى في حياتها التي تقابل فيها شخصًا ذا خلفية ثقافية مختلفة عما تعودت في مصر، ولكنها تعودت ألا تضع الناس في قوالب أو انتماءات سواء كانت تلك الانتماءات جغرافية أو ثقافية أو دينية أو حتى عمرية. لقد تعودت أن ترى الناس جميعًا من منظار واحد، منظار القلب والروح. وهذا الضيف يبدو لها ذا قلب كبير وروح جميلة.

استشفت روح من أسلوب وشخصية ضيف أنه رجل له تجارب نسائية عديدة، يعلم جيدًا كيف يحاور النساء ويسحرهن، ويعلم جيدًا كيف يستعرض سحر شخصيته لإبهارهن.

كانت روح تحدث نفسها وهي تنظر إلى ضيف وهو يتحدث قائلة: «أه لو تعلم يا عزيزي أنك لست محتاجًا إلى كل هذا العرض لإبهاري. ليتني أستطيع أن أوفر عليك كل هذا المجهود وأجعلك أكثر راحة في الحديث معي، فقلبي لا ينبهر بغيره، وروحي لا تهيم بسواه. ربما سوف أخبرك لاحقًا عنه لترتاح من عبء المحاولة معي، كما تعودت كلما قابلت إحداهن، ولكني الآن لن أستطيع أن أفعل شيئًا سوى أن أستمع إلى مزيد من أحاديثك الممتعة، ولكن اعلم يا عزيزي ألا أمل لك أو لغيرك في مكان في قلبي، سوى الأماكن المتاحة لكل البشر وكل الأرواح، أما ذلك المكان الخاص والمميز جدًا فهو كله له وحده مهما قابلت من رجال».

قاطع ضيف حديث روح مع نفسها قائلاً:

- الحلق ده من عندنا. أنا عارفه كويس.

وضعت روح يديها على أذنيها متحسسة فصي الياقوت ومبتسمة.

روح: مذبوط. إنني عارف إن الحلق ده أول حاجة أشتريها من قونيا؟

ضيف: ليك حق طبعًا. أكيد ما قدرتيش تقاومي جماله؟
روح: هو فعلاً جميل، بس الحقيقة اللي شدني فيه مش جماله!
ضيف: أنا عارف إيه اللي شدك ليه.
استغربت روح تعليق ضيف، وقالت بتعجب:
- إيه؟

ضيف: هو شبهك.

روح: فعلاً، عندك حق. بسيط ومريح.

ضيف: بس أنا ما قصدتش كده، أنا قصدت إنه ياقوت نادر ومميز، تمام زيك. إنت ياقوته زي
الياقوتتين اللي في ودانك بالظبط، بس إنت أحلى شوية!
لم تهنز روح لكلمات ضيف، ظلت تنظر في عينيه وكلها إعجاب بجرأته. كانت عيناها تقولان له:
«يا لجرأتك وثقتك بنفسك أيها الضيف الفارسي الوسيم!».

شعر ضيف أنه اخترق الحاجز الأول تجاه روح. تعرف عليها بشكل غير مألوف. تبادل معها
حديثاً خفيفاً أظهر الملامح الأساسية لشخصيته. داعبها مداعبة غزلية رقيقة من دون تطاول أو
إسفاف، كنوع من جس النبض لرد فعلها، وها هي وقفت أمامه تنتظر إليه بإعجاب.
اعتبر ضيف أنه أنهى مهمة اليوم الأول مع روح بنجاح، ويجب أن ينتقل برقة إلى المهمة التالية،
رقة تتناسب مع رقة صاحبة التجربة الجديدة: الدرويشة المصرية.

في باريس عادت حياة إلى الفندق للاستعداد للعشاء ليلاً. كان نور يجلس بقرب النافذة يسبح في حالة من السكينة.

اقتربت منه حياة وقبّلته قبلة خاطفة وسألته:

- ها، ارتحت شوية؟

نور مبتسماً:

- ارتحت كثير. أنا فعلاً كنت محتاج أرجع الأوتيل شوية. وإنّ يا حبيبتى اتبسّطت؟

حياة: ياه يا نور لو تعرف، قابلت بالصدفة أصحاب من أيام الجامعة بقالي عشر سنين ما شفتمش!

نور: طب هايل. الواحد لما ببشوف حد بقاله كثير ما شافهوش بيتبسّط، وفي حاجات جواه بتتجدد كأنه رجع بالزمن لآخر مرّة قابلهم واتكلم معاهم.

حياة: مظبوط، عندك حق. ومش هتصدق قالولي إيه؟

نور: إيه؟

حياة: قالولي إن شكلي ولا كأن مر عليّ يوم واحد من آخر مرّة اتقابلنا. لا ده كمان احلويت أكثر من أيام الجامعة.

نور مبتسماً:

- طبعاً يا حبيبتى، إنّ اسم على مسمى، إنّ كلك حياة وجمال!

حياة: تسلملي يا عمري. ولسه لما أروح ميعادي بكرة مع جميلة لدكتور التجميل بتاعها، كل الناس هتتشاور عليك ويقولوا مين الراجل المحظوظ اللي ماشية معاه الست الجميلة دي!

نور مستفسراً:

- دكتور تجميل؟! ليه يا حياة هتروحي لدكتور تجميل؟!

حياة ضاحكة:

- مش تجميل زي ما انت فاهم، دي شوية تطبيقات كده الستات بتعملها في وشها، حاجات يعني تحافظ على نضارة وشي وتخليني أجمل!

نور: بس إنّ فعلاً جميلة ومش محتاجة أي حاجة! يبقى إيه لازمته؟

حياة بدلال:

- لازمته إني عاوزة كده، وأكد إنّ كمان هتتبسط لما تشوفني أجمل.

نور: يا حبيبتى إنّ جمال قلبك وروحك بيشح من وشك. الستات اللي بتعمل كده دي ستات سطحية مش فاهمة الحقيقة دي. بيجروا ورا أي حاجة، وأي حد يقولهم الحاجة دي هتخليكم أجمل،

وفي الآخر كلهم ببيقوا شبه بعض، ومفيش أي جمال في الموضوع. لكن إنّ فاهمة الجمال ببيجي منين، لازمته إيه عملي زيهم؟!

حياة بنبرة حادة:

- نور، سيني براحتي! أنا زهقانة ومحتاجة أعمل حاجات جديدة تخرجني من موود الزهق ده! ما تخلينيش أندم إني قلتك! كل الستات بتعمل كل حاجة من غير ما تعرّف إجازها. بس أنا اللي

تصورت إن إنّ مختلف وعلاقنا مختلفة!

نور: تندمي إنك قلتيلي؟! ليه؟ هو إنت كان ممكن تخبي عليّ؟ هو ده شكل العلاقة بينا يا حياة؟ من إمتي حد فينا بيخبي حاجة على الثاني؟!

حياة: ما تكبرش الموضوع يا نور! دي حاجة تافهة، وبعدين أنا قلتلك أصلاً وهو ده اللي عمل وجع الدماغ اللي إحنا فيه دلوقت، وانت عارف إن علاقتنا غير أي علاقة. أنا بنفسني قلت كده لجميلة لما قالتلي ما اجبيش سيرة ليك.

نور: لا، أنا مش مصدق اللي باسّمعه! إيه دحلّ صاحبتك في علاقتنا ببعض؟! من إمتي كانت الناس بتعرف حاجة عن حياتنا وعلاقتنا؟! جميلة دي بالذات أنا ما ارتحتلهاش، ودلوقت اتأكدت من إحساسي! بتنصحك تخبي عني؟! على أي أساس بتدي لنفسها الحق تتدخل بينا؟

حياة: خلاص يا نور، كفاية خناق. هي دي الأجازة اللي انت مطلعها لي علشان تبسطني؟! شكرًا أوي!

نور: فعلاً واضح جداً إنك طالعة الأجازة دي علشان تتبسطي، ومش مهم عندك أي حاجة تانية! عادة كنا بنسافر علشان نتبسط سوا مش عشان حد واحد يتبسط!

حياة: بصراحة كان نفسي نتبسط سوا، بس مش مشكلتي إنك ما بفتش بتسمح لحاجة تبسطك، وعلى طول شارد وسارح في ملكوتك. ما بيجيش في بالك إني ممكن أزهدق، أمل، أحس زي أي ست إني عايزة جوزي معايا نعمل حاجات مجنونة سوا! ليه لازم أنا اللي دايمًا أستحمل وأضحى؟! نور باستغراب:

- تضحى؟! تضحى بإيه بالظبط؟! وكويس أوي إنك جبت سيرة الحاجات المجنونة. إيه حكاية «مولان روج» دي كمان؟

حياة: ماله الـ«مولان روج»؟ مضايك في إيه؟ مكان من أهم الأماكن في العالم اللي بيتقدم فيه أكبر عروض الاستعراض، والناس بتجيله من كل العالم.

نور: مش باحب نوعية الاستعراض اللي بتتقدم فيه يا حياة! وإنت عارفة كويس كده، وعارفة إن مش دي الحاجات اللي بتبسطنا. يبقى إيه لازمتها تطلبي من صاحبتك تحجزلنا تذاكر وتحضري كل حاجة حتى من غير ما ترجعيلي؟!

حياة: أنا مش شايفة أي حاجة خالص في إن إحنا نروح أماكن جديدة، ونجرب نتبسط بطرق ما اتعودناش عليها قبل كده! ومن إمتي وأنا لازم أرجعلك في كل حاجة؟ إنت عارف كويس يا نور إن أكثر حاجة مريحانا إحنا الاتنين في جوازنا هي عدم وجود قيود من أي حد فينا على الثاني، فبلاش تيجي دلوقت وعايز تحط قيود بدون أي لازمة!

نور: فعلاً، إحنا ما كناش محتاجين أي قيود في علاقتنا لأننا بنكمل بعض في كل حاجة. لكن نشط عن بعض بالشكل ده، أهو ده اللي مش ممكن أقبله! وأعتقد إني قبلت وضحيت، على حد تعبيرك، بحاجات ما اطنش إن رجالة كثير ممكن يقبلوا بيها!

حياة: إحنا ناقشنا موضوع الخلفة أكثر من مرّة، وأنا وضحتك إني لسه مش جاهزة أبقى أم، وإني لما أحس برغبة في الأولاد هاقولك وانت ما عارضتتش، لازمته إيه دلوقت تلمح إنك مضحي؟

نور: الأمومة غريزة مش رغبة، وأنا كنت متفهم قلقك على حريتك، وإحساسك إن الأمومة مسؤولية هتقيدك، ووافقتك على أمل إن غريزتك تحركك بدون ضغط مني، وكل فترة كنت بافتح الموضوع على أمل إنك تحني لطفل، لكن للأسف ما حصلش! عايزاني أفضل متجاهل أبوتي لغاية

إمتى؟! أنا بقى عندي ٤٢ سنة وإنت عندك ٣٥! عايزة تخلفي إمتى؟! عايزاني أعيش مع ابني كام سنة يا حياة؟!!

حياة: أنا شايفة إن الموضوع كبر بدون داعي، وأنا معنديش استعداد أقضي أجازتي في جدال ملوش لازمة ومش هيغير حاجة! قرار الأمومة لسه بالنسبة لي متأجل. أوعدك يا نور إني هابتدي أفكر جدياً فيه. بصراحة أنا ما كنتش فاكراه واخذ الحجم ده عندك!
نور: واخذ يا حياة الحجم ده وأكثر!
حياة في محاولة لإنهاء الجدل:

- خلينا دلوقتٍ نخرج ونتبسط، وأوعدك لما ترجع مصر وأنا أرجع مراکش أفكر على رواقه.
نور: حاضر يا حياة، هنخرج وهنتبسطي وهاديك فرصة تفكري في الحمل لما ترجعي، بس مفيش سهر في الـ«مولان روج»!
حياة منفعة:

- يعني إيه مفيش سهر في الـ«مولان روج»؟! يعني أنا أروح أقول لصاحبتي أنا جوزي قالي ما تسهريش وأنا ما اقدرش أراجع في كلمة؟! هوّ ده الشكل اللي انت تحب تظهرني بيه؟! ست مقهورة جوزها بيحكم ويتحكم فيها وهيّ لا حول لها ولا قوة؟!
نور: لا طبعاً. إنت كل اللي هامك شكلك أدام صاحبتك؟! لو دي مشكلتك فانت ممكن تقوليها: اكتشفت إن جوزي مش هيتبسط في مكان زي ده، وأنا وهو متعودين نريح بعض، فهنسه في مكان نتبسط فيه إحنا الاتنين!

حياة: لو ده حقيقي يبقى إنت كمان ممكن تيجي معايا علشان تريحني وتبسطني، لأن أنا عايزة أسهر هناك، وده من حقي!

نور: أسف! مش هاقدر أجي معاك مكان زي ده، ولا أسمحك تروحي، وده كمان من حقي!

حياة: أنا كمان أسفة! مش هاقبل الطريقة دي في المعاملة! أنا مش جارية!

نور: مضبوط. إنت حرة. علشان كده أنا هاسيبك تاخدي حريتك على الآخر، وهارجع مصر فوراً!
ترك نور حياة في باريس بعد هذا الجدل الطويل الذي لم يسفر عن شيء سوى انفجار كمّ من مشاعر الضجر التي تحملتها وكتمتها حياة في الفترة الأخيرة. نشأت فجوة بين نور وحياة لأول مرّة بعد سنين طويلة من التفاهم والانسجام. هل يا ترى حرمان نور من التصريح لروح بحبه أزعج بداخله تعطشه للأبوة، واحتياجه لتفريغ كم الحب المخزون في قلبه لطفل؟ هل حرمانه من رؤية روح جعل قدرته على استيعاب شخصية حياة الملولة ليست بنفس قدر استيعابه لها من قبل، أم أن حياة هي التي تعدت الحدود هذه المرّة وخرجت عن المألوف؟

*

في الوقت الذي بدأ فيه نور يشعر بمشاعر الأبوة تستيقظ في داخله، بدأت روح أيضاً تشعر بمشاعر كانت قد أهملتها وغطتها بغطاء القدسية سنوات طويلة: مشاعر الأنوثة.

عادت روح إلى بيتها مختلفة في هذا اليوم. كان في عينيها بريق مختلف، بريق الأنوثة. كانت قد نسيت تماماً كل تلك الأحاسيس، بل كانت تُستغفر كلما أحست بنظرات إعجاب أو ذبذبات حب من أي رجل غير نور. شيء في داخلها كان يعترض ويقول: «كيف تتجراً؟ ألا تعلم أن قلبي أسير هذا النور المتلألئ؟». ولكن ذلك الضيف استدعى هذه الأحاسيس المهملة، وفتح لها طريقاً للظهور، متخلية عن الغلاف الروحاني والمسحة القدسية بها. ربما لأنه نوعية مختلفة عن نوعية الرجال

الذين التقت بهم في القاهرة؟ لم تكن لضيف ميول صوفية مثل أغلب الرجال الذين كانت تلتقي بهم روح في القاهرة، فلم يشعر بقدسية روحها، ويلتزم بحدود الرجل الصوفي، مهذب الخلق والمتحكم في تصرفاته وردود أفعاله. كانت جرأته في الحديث والإقدام، وتجاربه السابقة، قد أضفت عليه سحرًا مختلفًا عن الرجال الذين استحوذ حب الله على قلوبهم، ورأوا فيها سحر رابعة العدوية، وبراءة مريم العذراء، فلم يتجرأوا على الاقتراب بهذه الجرأة كما فعل ضيف، واكتفوا بالتلميح البسيط والنظرات المعبرة احترامًا لطبيعتها الرقيقة، وتأدبًا قدر المستطاع. لمح براء ذلك الاختلاف فيها، ورأى بريق عينيها الذي لم يره من قبل.

براء: إنتِ فيكِ حاجة متغيرة النهارده!

روح: عندك حق.

براء: طب مش عايزة تحكيلي على حاجة؟

روح: مفيش حاجة أصلًا علشان تتحكي!

براء: أمال إيه سر لمعة عينيك يا روح الروح؟!

روح بخجل:

- لمعة عينيّ أنا؟

براء: لا، لمعة عين خالتي! يلاً بقى يا روح احكي. إنت من إمتى بتخبي عليّ حاجة؟!

روح: أديك قلت بعضمة لسانك أهو. لو في حاجة كنت جريت عليك حكيتلك من غير ما تسأل.

إنت عارف إن إنت حبيبي!

براء: بس أنا شايف فيكِ حاجة متغيرة النهارده، وقلبي بيقولي إنها شرارة حب. أنا باحس بيكِ يا

روح!

روح: تسلملي ويسعدك. هيّ فعلاً حاجة شبه كده، بس مش كده.

براء: عروستي؟ مش فاهم!

روح: يعني كلمتين حلوين من واحد حلوية زي حالاتك كده، سمعتهم بقلبي، عملوا اللي إنت شايفه

ده، وبس!

براء: وبس إزاي؟! ما دام عملوا حاجة يبقى الموضوع له كماله. مش باقولك شرارة!

روح مبتسمة:

- لا يا قلبي، ملوش كماله، هو وقف عند كده وبس. ما ينفعش يروح أبعد من كده!

براء: ليه بس يا روح؟ إنت لازم تدي فرصة لقلبك يحب. مش كل الرجالة طارق، وإنتِ أكثر

واحدة عارفة كده. ليه بتصدي أي حد يقربلك؟!

روح: خالص وحياتك. أنا مش باصد حد. الحكاية وما فيها إني ماشية ورا قلبي: يقول شمال أروح

شمال، يقول يمين أروح يمين. وبعدين موضوع طارق ده أنا مش بافتكره ولا ببيجي على بالي

أصلًا. دي محطة في حياتي عديتها وخلصت.

براء: يا ستي ربنا بيعتلك اللي يحرك قلبك وراه ويجرجه كمان!

روح ضاحكة:

- بتدعي عليّ يا حلوية إنت يا اللي متجرر على بوزك في الحب؟!

براء: بادعيلك مش بادعي عليك. نفسي أشوفك متجررة زي كده مع راجل ياخذك جوه قلبه

ويوريك السعادة كلها، زي ما أنا شايف وحاسس دلوقت!

روح: يا حبيبي يبعثك الهنا كله. ربنا يسعدك ويهنيك إنت وعالية. أنا باتبسط أوي كل ما باشوفكم مع بعض. ربنا يجمعكم ولا يفرقكم أبداً، آمين.

براء: آمين يا حبيبي. بس برضو مش هتعرفي تضحكي عليّ. لازم أعرف مين اللي عمل كده في العينين السود وخلاهم يلمعوا اللمعة دي.

روح مبتسمة ومسترجعة أسلوب ضيف معها:

- اللي عمل كده ضيف. ضيف عدّي. زار وخفف. بس دخل نسمة هوا رطبت على القلب. ومع إنها كانت ساعة صلاة العصر والشمس مش زي شمس الضهر، بس فكرني بنور أحلى من نور عز الضهر. نور جميل ودافي بيطن القلب. حاجة منه قالتلي كلها كام ساعة والمغرب يهل والحر يمشي، وما يفضلش غير حبة طراوة يرطبوا على القلب. ولما المغرب يهل ما تخافيش من الضلمة، النور هيفضل برضو بس هيبقى قمر مش شمس، أصله على طول منور ملوش دعوة بالقمر ولا بالشمس. النور منور جوه في القلب!

براء: مدد يا ستنا. إيه النور ده؟

روح مبتسمة:

- هو فعلاً نور. واصل وموصول.

براء: ربنا يوصلك يا حبيبي دائماً ولا يقطعك أبداً!

روح: ويفتح عليك ويمدك بمدد منه يا حبيبي!

كان براء معتاداً على أسلوب روح عندما تشرّد وتبدأ في كلامها بالرموز. كان يستوعب تماماً أنها في حال تجلّ، ولا يستفسر أبداً عما تعني الكلمات. ولكنه كان يشعر بتلك البرودة في صدره عندما تتحدث بتلك الكلمات غير الموزونة المليئة بالرموز. كان يستشف أنها لحظات فتح تنتابها، وتحوطها في أثنائها الملائكة، تلهمها بها وتهمس بها في أذنها ولا تغادرها إلا عندما تنتهي من سرد الكلمات. كان يعتبر نفسه محظوظاً بوجوده بجوارها في كثير من هذه اللحظات، اللحظات الثمينة التي لا تقدر بثمن.

*

رن هاتف روح. كانت المكالمة من عالية. ولكن شيئاً ما بداخلها حدثها أن تأخذ الهاتف وتبتعد قليلاً عن براء. أحست أنها لا تريده أن يعلم أن عالية هي المتصل. روح: يا عالية.

عالية بصوت حزين:

- روح، من فضلك ما تعرفيش براء إن أنا اللي باتصل!

روح: حسيت.

عالية: حسيت بايه؟

روح: مش مهم يا حبيبي. ما تقلقيش أنا بعيد. خير يا عالية؟

عالية: أنا قلبي موجوع يا روح ومش قادرة!

روح: سلامة قلبك! احكيلي، وإن شاء الله ربنا هيريح قلبك!

عالية: مش هينفع في التلفون، ومش هينفع أجيلك علشان مش عايزة براء يبقى حواليّ. ينفع تيجي إنت عندي البيت دلوقت؟

روح: طبعاً ينفع. أنا ما اقدرش أتأخر على العالية!

عالية: تسلميلي.

روح: ربع ساعة إن شاء الله وأكون عندك.

عالية: مستنياك.

عادت روح إلى براء وهو جالس في الحديقة يحتسي القهوة، ويدندن في عذوبة لابن الفارض:

أدر نكر من أهوى ولو بلاممي	فإن أحاديث الحبيب مدامي
ليشهد سمعي من أحب وإن نأى	بطيف ملام لا بطيف منامي
كأن عذولي بالوصال مبشري	وإن كنت لم أطمع برد سلامي
بروحي من أتلفت روحي بحبها	فحان حمامي قبل يوم حمامي

قاطعته روح:

- الله على الحب!

براء: ده مش حب يا ست الكل، ده عشق!

روح مبتسمة:

- يا سيدي! طب ينفع أستأذن منك ساعة، وأسيبك إنت وعشقتك وأروح مشوار صغير؟

براء: طبعًا. أنا أصلًا مش هنا خالص. خدي راحتك وما تشيليش همي، ساعة ساعتين. أنا طائر!

أمسكت روح بيد براء وهي مبتسمة وربتت عليها:

- طير براحتك يا حبيبي. ربنا يسعدك!

خرجت روح متجهة إلى عالية وهي قلقة. شيء ما كان يحدثها بأن السعادة التي ترى براء يعيشها

لأول مرّة، هي سعادة مهددة.

تُرى، ما الشيء الذي تريد عالية أن تحدث فيه روح وشعرت أنه يهدد سعادة براء؟

في القاهرة وصل نور. دخل غرفته وتوجه إلى النافذة الواسعة بها. كانت السماء يكتنفها الكثير من السحب الكبيرة المتناثرة. وقف يتأمل قطع السحاب وابتسم. تذكر روح عندما كانت تصفها بأنها قطع من حلوى غزل البنات، وأنها تحلم أن تجلس فوق إحداها يوماً ما وتتذوقها. زادت الابتسامة عمقاً، وبدأ يحدثها وقلبه يتمنى أن تصل كلماته إليها، وتسمعه.

تحدث نور قائلاً: «اعلمي يا روح جيداً أنه إذا كان العشق بالعشق والشوق بالشوق، فإن الحنين قصاص، وأنا حنيني لك الآن لا يُقاس. لا توجد على الأرض له بعد وحدات قياس. إنها فقط عند ربي خالق العشق والأعلم بحجمه في جميع الأكوان. لماذا البعد وعدم الاقتراب؟ اخلعي نعليك حبيبتي، ففي روضة العشاق لا توجد أشواك. اقتربي مني وكفاك بُعداً فقد زاد الاشتياق». أغمض عينيه وأنصت في هدوء كأنه ينتظر الرد منها.

فسمعها تقول: «مولاي، أطمئن قلبي وتتوعد؟! كيف أخلع نعليّ في روضة عشقك وأمضي حافية القدمين مطمئنة بأنه لا توجد أشواك وأنت تنتظرني لتنفذ بي القصاص؟ أهنالك قصاص في رياض العشق والعشاق؟!».

قال لها: «مولاتي، إنها ليست أشواك، وإنما هي الكثير من الأشواق. نعم أتوعدك القصاص. سأقتص لشوق قلبي من قلبك بكل لحظات الحنين إليك. سأدعو ربي أن يبقي طيفي حولك، وألاً أغادرك نوماً ولا يقظة، ليلاً أو نهاراً، إلى أن نجتمع فأقتص منك بنفسي. أنظر بعمق إلى عينيك وأطيل النظر. لا أعبأ بزمن أو بشر، ولا أنت تهربين بعينيك من عيني. تلك ليست أشواك حبيبتي، إنها أشواق قلبي الذي اعتصره الحنين والاحتياج والحرمان. لا تلتفتي وأقبلني، اسجدي واقتربي، اسجدي في محراب عشقي، واقتربي من جنان قلبي، وتذوقي فاكهة الحب، فإنها من ثمار الجنة التي لا تثمر إلا في أعلى الجنان».

قالت: «لا أستطيع أن أقطف ثمار جنتك، ولا أن أتذوق فاكهة حبك».

قال: «إذن، فهزي إليك بجذع قلبي يساقط عليك رطباً طرياً، فكلي واشربي وقرى عيناً». قالت: «ولكني نذرت للرحمن صوماً، فإما أن تساعدني أن أوفي نذوري وتنتظر حتى يأتي موعد إطعمامي، وإما أن تتركني أوفي نذوري وتذهب، فإني أبداً لن أخالف ما وعدت ربي، وأجلس حزيناً أقول يا ليتني كنت نسياً منسياً».

قال: «أبداً لن تكوني نسياً منسياً. إنك في قلبي وروحي، ونذورك نذوري سنوفيهامعاً، وعندما ينتهي صومنا سأجني لك كل ثمار جناني، وأطعمك فاكهة حبي بيدي، وما عليك إلا أن تغمضي عينيك وتذوقي طعمها. تتذوقينها وتتذوقين طعم التسليم في الحب، فهو روضة العشاق التي سوف أصحبك فيها حافية القدمين تتحسسين أشواق قلبي ولا تلمسين فيها أي أشواك».

قالت: «إذن أنت مُطعمي؟».

قال: «وخالع نعليك في الحب».

تلاقت روحاهما مجدداً، وعزفتا مرة أخرى أنشودة حب كما حدث من قبل. لم يكن هناك تفسير منطقي لتلك الأحاديث المتبادلة بينهما على الرغم من بُعد المسافات، سوى أن رحمة الله تغمدتهما، وغمرت قلبيهما المطيعين المنفذين لأوامر الله كرامة، عطية، هبة. لم تشغل روح نفسها بالمسمى، ولا نور أيضاً، فقط فرحا بها وشكرا ربهما كثيراً.

سجد نور سجدة شكر لله بعينين دامتين فرحًا، وطامعًا في المزيد.

*

وصلت روح إلى عالية وهي في حالة من النشوة بعد حديث الأرواح مع نور، إلا أنها استفاقت منها سريعًا بعد أن رأت وجه عالية المنزعج، وعينيها اللتين يبدو عليهما آثار البكاء. سألتها بقلق:
- خير يا عالية؟ فيك إيه؟
ردت عالية:

- تعالي في أوضتي وأنا أقولك!
دخلنا الغرفة، وأغلقت عالية الباب بإحكام، وأجلست روح وجلست أمامها ونظرت في عينيها، وقالت:

- روح، أنا باحب براء!
وضعت روح كفيها على وجنتي عالية، وابتسمت بسعادة وقالت:
- يا حبيبتي، يا ألف بركة. هو في أحلى من الحب؟ ما هو براء الغالي اللي مقامه عالي. عرفت بقى إنك فعلاً غالية؟ إنت حبيبة الغالي!
عالية: يا روح سيبك من الكلام ده دلوقت! غالية إيه وعالي إيه؟! ده عندنا في العيلة يبقى مصيبة!
روح مستغربة:

- هي إيه اللي مصيبة؟! الحب مصيبة؟! لسه في حد بيفكر كده؟!
عالية: لا، الحب مش مصيبة. المصيبة إنني لو حبيت لازم أحب حد من أصولنا. بنات عيلة بندر لازم تتجوز من نفس العيلة، أو على أسوأ الظروف من عيلة إيرانية سنية. أي حد تاني مرفوض من قبل ما يتقدم!

روح: بس عمي علي متجوز من تركية، ولأ الموضوع بيختلف مع رجالة العيلة؟
عالية: بالطبع، الرجالة ممكن يتجاوزوا الشروط دي، لو مفيش ست عجبته تنطبق عليها الشروط. يعني في أضيق الظروف.
روح: أنا فهمت دلوقت إنت بتعيطي ليه. إنت زعلانة علشان خايفة ما تقدريش في يوم تتجوزي براء، صح؟

عالية: لا طبعًا مش صح. أنا باعيط لأنني ما كانش المفروض أصلًا أحب براء! أنا غلظت يوم ما سمحت لقلبي يحب حد، أنا عارفة كويس جدًا إنني مش ممكن أتجوزه! أنا كان لازم أبعد أول ما أحس إنني هاحبه. كان لازم ما اشوفهوش خالص، مش أفضل طول النهار والليل معاه وأعلق نفسي بيه زيادة؟! وأهو راجع مصر بعد كام يوم ومش هينوبني غير وجع القلب! أنا غبية، أنا غبية!

ضحكت روح ضحكة بصوت واضح ولم تتكلم. فقط ظلت تنظر إلى عالية في عينيها.

عالية: في إيه يضحك بالطبط بقى!؟

روح: كل كلامك بيضحك. إنت مش غبية ولا حاجة، إنت بس مش فاهمة. هو إنت اللي خليت قلبك يحب براء؟ هو إنت ليك أصلًا أمر على قلبك يحب مين أو ما يحبش مين؟ إنت مش عارفة إن الحب ده نور ربنا بيقدفه في القلوب بأمره هو بس، وإحنا لا حول لنا ولا قوة؟ لا يُسأل عما يفعل يا حبيبتي. ما تعذيبش نفسك على حاجة إنت ملكيش يد فيها. في حد بيكي وهو بيحب وحبيبه جنبه؟! ابكي لو محرومة منه، واطلبي من ربك يردده لقلبك. لكن دلوقت وهو جنبك افردي

جناحاتك وطيري بعيد وياه. أنا سايباه في البيت طابر. قاعد يغنيك وانتِ هنا شايلة الهم! قومي روحيله وغنوا سوا!

عالية: يا روح، أغني وأتبسط إزاي وأنا عارفة إن حبي ده ملوش نهاية؟!
روح: شوفت ربك حطها على لسانك إزاي؟ سبحانه الودود. افهمي الرسالة. «حبي ده ملوش نهاية»، يعني إنتو لبعض يا حبيبة قلبي، وإن شاء الله يا رب تفضلوا في الحب العمر كله!
عالية: يعني إيه يا روح الرسالة اللي ربنا بعتهالي؟ يعني قصدك إن ربنا بيظمني؟
روح: طبعًا بيظمنك. إنت بتسيئي الظن في ربك إنه هيفرقكم، وهو الرحيم بيقولك لا يا عالية مش هافرق قلوبكم ما دام جمعتهما. كفاية نكد بقى وقومي روعي للطاير اللي هناك ده وما تضيعيش دقيقة بعيد عنه. بكرة لما يرجع مصر تشتهي دقيقة جنبه.

ضمت روح عالية وقبّلتها، فوضعت رأسها فوق صدرها، وأغمضت عينيها، وقالت:

- ريحت قلبي ربنا يريح قلبك!

تنهدت روح وقالت:

- آمين.

خرجت عالية وروح من الغرفة، وتفاجأتا بضيف يمر من أمام الغرفة. توقف ضيف وابتسم لروح. ضيف: وأنا باقول في حاجة في البيت حلوة ممشياني وراها أدور عليها لغاية لما جابنتي عند أوضة عالية ولقيتها!

ابتسمت روح برقة وقالت:

- هو فعلاً البيت عندكم فيه حاجات حلوة مش حاجة واحدة، وعندك حق في حكاية إن أوضة عالية فيها حاجة حلوة مش في أي حطة في البيت!

عالية مرتبكة ومغيرة مجرى الحديث:

- أيوه طبعًا. فيها إنت!

ضيف: ما جبنتش حاجة من عندي!

روح بمسحة خجل:

- طيب أنا عايزة آخذ حضن من الخالة قسمت قبل ما أمشي. تسمحي أستأذن؟

ضيف: لأ طبعًا ما اسمحش!

استغربت روح من رد ضيف ولم تُعلق.

استطرد ضيف قائلاً:

- النهارده ابتدت احتفالات «شب عروس»، وأنا عازمك على أول ليلة في الاحتفال.

روح: إيه «شب عروس»، مش فاهمة؟!
عالية ضاحكة:

- يعني ليلة العرس يا روح.

روح باستغراب:

- عرس مين؟ إنت مش قلت فرح شاهيناز في العيد الكبير؟!
ضيف ضاحكًا:

- لا ده مش عرس شاهيناز. دي احتفالات ذكرى انتقال مولانا جلال الدين الرومي، وسميت

بـ«ليلة العرس» لأنه التقى فيها بحبيبه الله.

روح: الله!
ضيف: شوفت بقى الجمال؟ ولسه لما تحضري الاحتفالات ورقص الدراويش والإنشاد، وتشوفي الناس اللي جاية من كل أنحاء العالم، والثقافات المختلفة بتدوب في بعض مغلفة مولانا.
روح بلهفة:

- شوقتنى يا ضيف! طيب قولى بسرعة فين؟ والساعة كام؟
ضيف: فين؟ في مركز مولانا الثقافي. والساعة كام؟ الساعة ثمانية.
روح: طيب أقابلك هناك إن شاء الله.
ضيف: أعتقد إنى بافهم شوية صغيرين في الإتيكيت. أنا هاعدي عليك في البيت الساعة سبعة، واعملى حسابك بعد السهرة هنتعشى سوا.
كانت جراً ضيف هي السمة الأساسية لكلامه دائماً، وكانت روح تحاول دائماً السيطرة على ردود أفعالها، وتحمي نفسها من الكشف.
روح: أنا طبعاً معنديش مانع، بس أنا أفضل أرجع البيت بعد السهرة علشان عندي ضيف من مصر ومش هاحب أتأخر عليه.
تدخلت عالية سريعاً واقتحمت الحديث:

- أيوه صحيح، إنت كنت ناسية براء. هو ضروري هيجب يحضر الاحتفال، خصوصاً إنه قرب يسافر، ومش ممكن يفوت فرصة زي دي. وبعدين هو مغني صوفي، إزاي ما نعزموش على سهرة احتفالات مولانا؟! ما يصحش يا ضيف لازم تعزمه!
ضيف وهو يخفي امتعاضه من عالية التي أفسدت عليه خطته لأول سهرة مع روح:
- طبعاً ضروري. ضيوف روح ضيوفنا. أي حد تحبي يحضر السهرة الليلة أهلاً بيه.

روح:
- متشكرة أوي يا ضيف. هو براء بس، مفيش ضيوف غيره عندي.
ضيف: أهلاً بيه.

روح موجهة كلامها لعالية:
- إنت طبعاً جاية معانا، مش كده؟
عالية ووجهها تعلوه ابتسامة عريضة:
- أكيد!

روح: خلاص. هاستناكم الساعة سبعة بإذن الله.
ضيف: بإذن الله.

*

مضت روح في طريقها إلى منزلها، ونظرات ضيف وكلماته لم تغادرها. تحاول بشدة ألا تجعلها تخترق الغلاف الذي غلفت به نفسها منذ أحببت نور: هو الوحيد صاحب الحق في أن تخترق كلماته هذا الغلاف وتصل إلى قلبها، هو الوحيد الذي تشعر بنظراته وتترجمها لكلمات، هو الوحيد صاحب كل الحقوق وليس لغيره أي حق أو أمل في أن يقترب من غلاف النور، غلافه هو، لفها به في يوم لا تعلم تاريخه لتحتفل به، لفها به قبل أن يوضع التقويم وتؤرخ الأيام، لفها به يوم خلقت منه.

شعرت روح بهاتف يحادثها. إنه ضيف. شعرت بذبذبات إعجابه تحوم حولها وتبحث عن مدخل لتخترقها.

كان يهمس قائلاً: «انذني لي بالاقتراب، فقلبي يميل إلى قلبك. فهل لي أن أدنو وأحظى بالوصول؟».

تلبست روح حالة من حالات التواصل الروحي التي تنتابها مع نور. هذه المرّة انتابتها لأول مرّة مع ضيف. انفصلت بتقويم الأجساد للحظة عن الواقع، ولكنها لم تعلم كم تساوي تلك اللحظة في عالم الأرواح.

أشارت إلى قلبها وحدثته روحها: «إن هذا القلب مشغول منذ خُلق. في وصلٍ دائمٍ بصاحبه. هو الواصل وأنا الموصول».

أجابها ضيف بثباته المعتاد، وقال: «ولكني أراك وحيدة!».

أجابته هي أيضاً بنفس الثبات، وقالت: «نعم، إن حُكم قلب حبيبي عليّ أن أنتظر، فأطعته بلا ضجر، بل وأقسمت على قلبي قسماً».

تساءل ضيف متعجباً: «وما القسم؟».

قالت روح وهي هائمة: «قسم البنول أم عيسى، مريم العذراء، سيدة الصابرات العابدات الواثقات بربهن. وضعت يدي على قلبي عندما عشقته وقلت له: يا أيها القلب، اعلم أنني نذرت للرحمن صوماً في العشق، ولن أسكن فيك غير حبيبي إنسيّاً، إلى أن يأتي ويهز بجذع قلبه، ويساقط عليك رطباً طريّاً، فنأكل ونشرب معاً ونقر عيناً».

زاد تعجب ضيف، وسألها: «أتبقين وحيدة من أجل وهم؟!».

قالت بثبات: «لا والله، بل يقين».

قال متحديّاً: «وما دليلك؟».

قالت بحب: «أتى حبيبي ذات ليلة وأخذ روحي رهينة، وهأنا أحيا جسداً بلا روح إلى أن يأتي ويرد روحي إليّ، ويجتمع الفرع على الأصل».

بخيبة أمل قال ضيف: «كنت أخشى أن يكون أحدهم قد سرق قلبك، ولكني الآن أرى أن أحدهم سرق عقلك. مسكينة أنت. أراك جُننت!».

تبسمت بسعادة وقالت: «بالطبع جُننت. هو قال لي ذات يوم إنني جُننت، وأنا أصدقه في كل ما يقول، فحبيبي لا يكذب».

نظر إليها بتحدٍ وقال: «دعي المسافر في بُعد، والمهاجر حتى يعود. عندئذ سأخبره أن القلوب لا يحُكم عليها بالهجر، ولا يُقسم عليها بالصيام. ما تُرك قد تُرك، وما أخذته أنا فقد أخذته، ولن يأخذه مني أحد».

وضعت يدها على قلبها وقالت بغضب: «ولكنك لم تأخذه!».

قال بقوة وثبات: «إذا قلت إنني سأخذه فإنني سأخذه. أنا أيضاً لا أكذب يا صغيرتي!».

استفاقت روح من حالة الوصل مع ضيف وتبسمت. تذكرت نور عندما كان يطلق عليها اسم الدرويشة مداعباً. تذكرت وصفه لها بالجنون عندما كان يرى الصور التي تلتقطها بكاميرتها، أو عندما تخبره بقراراتها المفاجئة بالسفر، أو عندما يتفحص لوحاتها في مرسومها. كان يضحك ويقول لها: «أنت مجنونة»، وعيناه كلها إعجاب بها، كأنه يقول لها: «إن تلك التركيبة لا تجتمع في عقل لأنها لن تنسجم، ولكنها انسجمت بك، فغزلت درويشة هائمة في ملك الله. ذهب عقلها

يلهث خلف تجليات ربها في خلقه وملكوته بجنون العاشق اللاهث خلف عشقه، لا يُحْكَم عقلاً، ولا يعبأ ببشر، ولا يشعر بزمن».

*

كان القديس العاشق يجلس في شرفة منزله بالزمالك يقرأ، عندما شعر بذبذبات السعادة التي غمرت روح في تلك الأثناء. ابتسم ونظر إلى النيل وتحدث إليها متسائلاً: «حبيبتي، إنت مبسوفة؟ أنا حسيت بيك. يا رب دائماً تتبسطي، وربنا يسعدك ويطمئن قلبي عليك».

عاود نور القراءة وهو في حال أفضل، وقد شعر أن روح سعيدة بعد فترة طويلة من المعاناة منذ أن تركت مصر وذهبت إلى قونيا. لم يفكر في سبب سعادتها، أو من المسبب، ولم يخطر بباله أن يكون هناك من يحاول أن يتقرب منها، فهذا هو المحب في الله، لا يشعر بغيرة أو حب امتلاك، فقط يريد لحبيبته أن تسعد حتى لو كانت بعيدة عنه، وحتى إن كان غيره هو مسبب هذه السعادة، فحبه لها يتعدى كل هذه المعاني الدنيوية الأنانية، هو فقط يريد سعادتها، وقد اطمأن أنها سعيدة.

رن هاتف نور ليخرجه من هيامه بروح. كانت حياة هي المتصل.

نور: ألو.

حياة: إزيك حبيبي؟

نور: الحمد لله يا حياة. إنت إزيك؟ مبسوفة؟

حياة: أوي يا نور. أخيراً خرجت من المود اللي كنت فيه. إنت معندكش فكرة أصحابي عاملين إيه علشان يبسطوني، وكمية السهرات والخروجات اللي خدوني فيها. مش عايزة أرجع مراكش خالص!

نور: طب كويس. إنت كان بقالك فترة محتاجة تغيير.

حياة: بالظبط. كان نفسي تبقى معايا وتتبسطن إنت كمان!

نور مبتسماً:

- إحنا مش اتكلمنا في الحكاية دي، واتفقنا إن الحاجات دي ما كانتش هتبسطني؟

حياة: مين قالك يا نور؟ كان لازم تجرب. إزاي تحكم على حاجة ما جربتهاش؟!

نور: قلبي بيدلني يا حياة على الحاجات اللي بتبسطني، وأنا بامشي وراه. زي ما دلني عليك في يوم واتجوزتك وعشت سعيد معاك!

حياة: أنا كمان سعيدة معاك، وباحمد ربنا على الصدفة اللي جمعتنا في يوم من الأيام وربطتنا ببعض وكانت سبب أحلى حاجة في حياتي، إنت!

نور: مفيش صدف، كل حاجة مكتوبة. إحنا مقسومين لبعض، وربنا هو اللي جمعنا علشان يبقى عندي أجمل زوجة في الدنيا!

حياة: يعني إنت خلاص مش زعلان من اللي حصل لما كنت في باريس؟

نور: أنا مش زعلان يا حياة. بس ده ما يمنعش إن اتفاقنا ما زال قائم!

حياة: مش فاهماك! إزاي مش زعلان وإزاي اتفاقنا ما زال قائم؟!

نور: يعني أنا سيبنتك تتبسطي زي ما إنت عايزة، لكن لازم نتكلم وناقش الحاجات اللي كل واحد مش مرتاح فيها، علشان نقدر نكمل حياتنا بانسجام زي ما اتعودنا.

حياة: يا نور إيه لازمة المناهدة؟! مش إنت عملت اللي إنت عاوزه؟ وأنا مش زعلانة إنك مشيت وسبنتي، يبقى خلاص خالصين!

نور: لما ترجعي يا حياة نتكلم. هترجعي إمتي؟
حياة: هتزعل.

نور: هازعل من إيه؟

حياة: أصل أنا مش هارجع على مصر.

نور: أمال هترجعي على فين؟

حياة: أنا أصلي عزمت جميلة وفؤاد عندي في مراكش. تصور يا نور بقالهم خمس سنين ما راحوش المغرب؟ ودي طبعا أقل حاجة ممكن أعملها معاهم بعد اللي عملوه معايا هنا، وكمية الفسح اللي فسحوهالي، فلازم أرجع مراكش لغاية ما يقضوا أجازتهم، وبعدين أجيلك إن شاء الله على طول.

نور متعجبا:

- أزعل؟! وهو كلامك ده فيه حاجة تزعل؟! ومين يا ترى فؤاد؟

حياة: مش فاكركه؟ ده اللي كان قاعد معانا على الكافيه، الطويل الأسمر اللي دايمًا بيلبس «سورتيت» على شعره.

نور: أيوه فاكركه. مين يعني هو؟ جوز جميلة، ولأ صاحبها، ولأ إيه بالظبط؟!

حياة: لا لا خالص، ده زميلنا من أيام الجامعة، ومفيش حاجة بينه وبين جميلة. جميلة أصلا ما تملاش عينه. ده أجمل منها وأصغر منها، بيتحدفوا عليه وهو ما بيعجبوش حد!

نور: ليه إن شاء الله؟! مش واخد بالي فيه إيه زيادة؟!

حياة: شخصيته. أولًا هو مصمم أزياء مهم وكبير جدًا، وكل زبائنه مشاهير وأميرات ونجوم مجتمع. جميلة مين اللي تملا عينه؟! وبعدين ده فنان، مثقف جدًا ومبدع. إنت عارف يا نور إنك خسرت كتير أوي إنك ما اتكلمتش معاه. ضروري كنت هتنبهر بشخصيته. عنده كاريزما وذوق راقى جدًا. باقولك إيه ما تيجي إنت مراكش؟ وأهي فرصة تتعرف عليه كويس. أنا متأكدة إنك هتنبهر بيه!

نور بسخرية:

- أنبهر؟! لا متشكر. أنا منبهر في مصر من كلامك أصلا، وأخاف آجي المغرب يجرا لي حاجة وما اتحملش انبهار زيادة!

حياة: إنت بنتريق، صح؟

نور: طبعا باتريق!

حياة: زي ما تحب يا نور. ما تجيش مراكش، بس خليك فاكرك إن أنا حاولت معاك، وإنت اللي قلبت الموضوع تريقة! أنا بجد مستغرباك! دي عمرها ما كانت طريقتك!

نور: نفس الإحساس بالظبط. أنا برضو مستغربك! قضي أجازتك براحتك، وخلصي عزومة أصحابك برضو براحتك، ولما تحسي إنك فاضية خالص ومفيش وراك أي حاجة تعالي مصر علشان لازم نتكلم!

حياة: إنت برنامجك إيه الفترة اللي جاية؟

نور: العادي، مذاكرة وقراءة وكتابة.

حياة: مش مسافر قريب؟

نور: فيه حفل إصدار كتاب مهم في لندن لكاتب صديق، بس لسه ما قررتش هاسافر ولا لأ. كنت متخيل إنك راجعة في نفس الوقت، بس دلوقتٍ أعتقد إنني هافكر أسافر.
حياة: أكيد لازم تسافر. إنت برضو محتاج تغيير جو، وإنت بتحب لندن.
نور: عندك حق. عامةً خلي بالك على نفسك!
حياة: حاضر يا حبيبي. باحبك.
نور: وأنا كمان باحبك.

أنهى نور المكالمة وهو في حالة انزعاج. لقد بدأ يشعر بتغيير في مشاعره تجاه حياة. ما زال يحبها بالطبع، ولكن ليس ذلك الحب نفسه الذي كان يشعر به تجاهها دائماً. بدأ يطرح على نفسه الأسئلة: هل يا ترى ذلك التغيير طارئٌ وسوف يمر، أم أن مشاعره تجاه حياة دخلت في منعطف جديد؟ هل ذلك التغيير له علاقة باشتعال حب روح بداخله واشتياقه إليها بعد هجرها له، أم أن التغيير الذي تمر به شخصية حياة أثار حفيظة نور، ولم يعد يشعر بالارتياح تجاهه؟ هل انتقاده لطفل يفرغ به كم الحب المخزون بداخله لروح بدأ يؤرقه بالفعل ويُشعره بنقص كبير في حياته، أم ماذا؟ ربما كانت كل تلك الأسباب، وربما كان بعضها، وربما تلاشى ذلك الشعور وصححت علاقة نور وحياة مسارها، وعادت كما كانت من قبل ولم تكمل المضي في المنعطف الذي دخلت فيه. هذا ما ستكشفه الأيام.

*

وصلت روح إلى منزلها، وأخبرت براء عن السهرة مع عالية وضيف. ابتسم براء ابتسامة عريضة وغمز لروح وقال:
- مدد يا مولانا الرومي مدد.

روح: مدد بلا عدد يا رب. بس لأ، قلتك لأ.

براء: بتعندي في الحب يا روح. أول مرّة أشوفك عاندة. الله يمسيك بالخير يا نور. فاكرة لما كان يقولك قلبك ده أخضر وبيطرح حب بس مين اللي يلاحق على الطرح؟ ما تدي لضيف فرصة يمكن يلاحق على الطرح!

شيء بداخل روح ذاب عند ذكر اسم نور، فعلى الرغم من حضوره معها ووجوده بداخلها طول الوقت، فإن ذكر اسمه يذيب قلبها وروحها. استجمعت نفسها وردت على براء.

روح: الله يصبحه ويمسيه ويحييه في الخير. أنا مش عاندة يا براء. أنا بس عارفة إن ده مش الحب اللي قلبي هيشاور عليه.

براء: اسمعيني يا روح، الحب اللي إنتِ دايماً بتتكلمي عليه جميل، جميل أوي كمان، بس ممكن تقابليه وممكن لأ. يا رب تقابليه. أنا أكثر واحد نفسي أشوفك فيه. بس برضو يا حبيبتني أنا نفسي أحس إنك مبسوفة مع حد بيحبك وعايز يسعدك. من كلامك أنا حاسس إن ضيف إنسان لطيف. اديله فرصة وادي لنفسك فرصة. مش يمكن تحبيه؟ مش ضروري يا ستي تدوبي دوبان في الحب، كفاية تتبسطي وتبقي سعيدة فيه.

ابتسمت روح، وأمسكت بيد براء وقالت:

- يا حبيبي أنا عارفة إنك نفسك تظمن عليّ. والله أنا سعيدة ومبسوفة. دا كفاية قعدتي أنا ومولانا كل يوم، حاجة تشرح القلب والله!

براء: ولغاية ما تلاقي الحب ده هتفضلي كده لوحداك؟

وبعينيهِ. كان حواليّ طول الوقت، وأنا كنت جواه. كنت سامعة صوت نَفْسِه ودقات قلبه بتعزف كمنجة وتطمني عليه. بدمتك شفت قبل كده قلب بيعزف كمنجة علشان يطمن حبيبه إنه موجود حواليه؟

براء: لا حول ولا قوة إلا بالله! والأعراض دي بتشتكي منها من زمان يا بنتي، ولأ لسه حاجة جديدة؟!

روح ضاحكة:

- اتريق اتريق. مش هاحكيلك حاجة.

براء: تحكي إيه؟ بدمتك هو في حاجة كده؟ ده اسمه جنان!

روح: ما هو من جمالها مش ممكن تتصدق. وحكايتي معاه ما اقدرش أقدملك عليها دلائل ولا براهين غير اليقين.

براء: يقين بإيه يا روح؟ إنت بتتكلمي جد؟!

روح: وحياة سيدنا النبي ده إحساسي بيه. ده بالظبط اللي ربي حاطه في قلبي ليه. حب! حب إيه؟! دا كلمة الحب قليلة على اللي جوايا ليه. وهو من إمتي الكلام والأسامي كانت مهمة، ولأ ممكن توصف حالي معاه ولأ حبي ليه؟

براء: طب إيه؟! ليه مش باشوفه معاك؟ وإمتي هتعرفيني عليه؟

روح: مش هاقدر أعرفك عليه. فيه حاجات تمنعنا نبقى مع بعض!

براء: حاجات زي إيه؟ هو مش بيحبك؟!

روح: يا ابني باقولك اتخلقت منه، تقولي بيحبك؟! حب إيه اللي انت جاي تقول عليه، على رأي الست!

براء: طب معلش خديني على أد عقلي زي ما طول عمرك بتعملي معايا. لما إنتو بتحبوا بعض بالشكل الفطيع اللي إنت بتوصفيه ده، يبقى إزاي إنتو مش مع بعض؟! وإيه المانع أصلاً؟!

روح: بص يا سيد الناس، لا بلاش سيد الناس دي علشان هو سيد الناس.

براء: يا روح، إنت عايزة تطلعي زرابيني عليك؟!

روح ضاحكة:

- خلاص خلاص، مش هينفع أقولك أي تفاصيل لأن زي ما قلتك لسه الإذن ما جاش. أنا بس حبيت أطمئنك عليّ إني باحب، ومش أي حب كمان، علشان إنت كنت قلقان وما حبتش ترجع مصر وإنت قلبك واكلك عليّ.

براء: لا، الحقيقة إنت كده طمنتيني على الآخر! هو فين؟ شبح يعني ولأ عفريت ولأ ملاك ولأ إيه بالظبط؟

روح: أجمل من كل الملائكة. هو جندي من جنود الله. عارف لما بابصله قلبي بيقولي إيه؟ قلبي بيقولي: خافي عليّ أتحرق من نور عينيه، إنت بتبصيله ومش عارفة أنا بيحصلي إيه؟ أقوله: بيحصلك إيه؟ يقولي: بادوب من عينيه، هما صحيح سود بلون الليل، بس منورين زي نور الشمس لما يحرق اللي يطول النظر إليه. ساعتها بابتعد عينيّ بسرعة عن عينيه، مش خوف على قلبي، ده خوف عليه. ما هو أصلاً ساكن جوا قلبي، علشان كده باخاف عليه. باخاف يدوب مع قلبي اللي بيدوب من نظرة عينيه. قول اسم الله عليه، لا تحسده ولا تحسد قلبي عليه.

براء: اسم الله عليه، واسم الله عليك وعلى قلبك اللي بيحب حد بالشكل ده!

روح: حد برضو؟!

براء: آسف آسف. اسم الله على قلبك اللي بيحب سيد الناس بالشكل ده!

روح: وباحبك وباحب الدنيا كلها علشان هو فيها، وباحمد ربنا كل يوم إنه حط حبه في قلبي بالشكل ده. يا رب كل الناس تحب كده.

براء: يا رب يا حبيبتي ربنا يسعدك. ما قلتيش هتجوزوا إمتي؟

روح: لا، دا انت ما بتفهمش! نتجوز إيه يا ابني بعد كل اللي قلتهولك ده؟

براء: مش فاهم قصدك!

روح: يا حبيبي إحنا لسه ما اتأذنش لنا بالقرب. ربنا لسه مش رايد. هنتجمع إمتي؟ الله أعلم. ادعيلي وادعي لقلبه.

براء: يعني إنت مش بتشوفيه ولا بنتكلمي معاه؟

ابتسمت روح:

- هتفهمني وتصدقني؟

براء: هاصدقك، بس ما اقدرش أوعدك إني أفهمك، لأنك بصراحة بتقولي حاجات صعب على أمثالي فهمها!

روح مبتسمة:

- وحياتك أنا زيك ما كنتش مصدقة ولا فاهمة، بس ربك فضل بيعتلي اليقين، وأنا أملك إيه غير إني أقول آمين؟

براء: ولا نملك أي حاجة غير آمين.

روح: أنا وسيدي زي ما قلتك مش متجمعين، بس برضو مش منفرقين. تقدر تقول موصولين. فيه بيني وبينه وصل من فوق، من عند رب العالمين.

براء: يعني إنت بتحبي حد مش موجود في الدنيا يا روح؟!

روح: لأ طبعاً موجود، بس حبنا هو اللي مش موجود زيه في الدنيا ولا الوجود. حب كده زي حب الملائكة حتى ما اتحكاش عنه قبل كده في الحواديت.

براء: يعني بتشوفيه وتقابليه؟

روح: وكمان باتكلم معاه.

براء: بس إنتو متفقين إنكم تأجلوا موضوع الارتباط شوية، صح كده؟ فهمتك صح؟

روح ضاحكة:

- مش بالظبط. إحنا بنتكلم لغة غير كل اللغات اللي كل الناس بتتكلّمها، أنا وهو بس اللي بنفهمها. باستحضر روحه وأكلمه بقلبي، وهو كمان بيسمعني ويبعتلي الرد من قلبه، بينادي عليّ وباسمعه، أقول حاضر على طول.

براء: خيال يعني يا روح!

روح: سميه خيال، بس هو حقيقة مختلفة عن الحقايق اللي إحنا متعودين عليها. بنحس ببعض إزاي كده؟ الله أعلم. موصولين إزاي؟ الله أعلم. فيه ناس غيرنا كده؟ الله أعلم. مُلك لا يعلمه إلا سيده.

براء: سبحان الله! ومش بتشوفيه حقيقة خالص؟

روح: لأ طبعًا باشوفه، بس لا باقدر أقوله يا حبيبي، ولا هوّ يقدر يقولي يا روعي زي لما بيحب ينادي وأرد عليه.

براء: وبتحسي بايه وإنت بتشوفيه وبيشوفك ومش عارفين تعبروا لبعض عن اللي بتحسوا بيه؟
ابتسمت روح ابتسامة تشوبها مسحة ألم:

- باحس إن أنا نفسي فيه. نفسي بس أفضل جنبه وأبص في عينيه. بس تصدق ما باقدرش أبص في عينيه. عينيه بتلمع لمعة مختلفة لما باحس بيه جنبي ولأ باسمع صوته بجد، مش صوت قلبه اللي متعودة عليه. باقعد أدأمة بالساعات أسمعته وهوّ بيتكلم وما احسش بالزمن غير لما الأقي اليوم خلص بيّ وببيه. منهيألي لما بنتجمع في الحقيقة الزمن الحقيقي ما بنحسش بيه. إحنا لينا زمن تاني، أنا وهو بس اللي بنبقى فيه. مهما كان في ناس حوالينا، الدنيا بتبقى أنا وهو بس، وأي حد تاني ما بنحسش بيه.

براء: هو معاك في الطريق؟

روح: طبعًا. دا هوّ النور اللي على الطريق!

براء: ياااااه؟ مريد من زمان ولأ إنت اللي دلتيه على الطريق؟

روح: دلتيه مين يا براء على الطريق؟! باقولك دا هوّ النور اللي على الطريق، دا هوّ اللي بيدل الناس وينور ليهم الطريق!

براء: شيخ يعني زي نور؟

روح وهي مبتسمة برقّة:

- أيوه شيخ زي نور!

براء: وكلامه حلو كده زي نور؟

روح بنفس الابتسامة:

- كلامه حلو زي كلام نور!

براء: يعني إنت لما بتسمعيه بتحسي بنفس الإحساس اللي بنحسه لما بنسمع نور؟

روح بابتسامة أكبر:

- أقولك على كلامه بس إيه! دا أنا كل ما كنت أسمعته كنت الأقي قلبي بيقول وراه أمين. كان بيشوفها في عينيه وبيسمعها بقلبه وبيتسملني من بعيد لبعيد. وأنا كنت باقوله قول كمان. كل ما هتقول أنا وراك هافضل أقول أمين. ما هو أصله من نور النبي يبقى إزاي ما يتقلوش أمين؟ باضحك في سري كتير وأداري الضحكة عن كل اللي حوالني ومش فاهمين. باقول لروحي لو شافوا اللي أنا شايفاه لقطعن أيديهن كما قطع عواذل زليخة في يوسف أيديهن فيه. ولنظرت إليهن نظرة المنتصرة بالحب، وقلت لهم بعزة المعشوقة: فذلكن الذي لمتنني فيه.

براء: يا حبيبتني! أد كده ربنا فاتح عليه؟

روح: أكثر من كده، بس هو متداري. ولسه ربك هيفتح كمان وكمان عليه.

براء: بعد اللي قلتيه ده ما اقدرش أقولك حاجة غير ربنا يسعدك يا حبيبة قلبي، ومش هسألك عن أي حاجة تاني خلاص. لو إنت عايزة تقولي حاجة قولها، مش عايزة تقولي براحتك. بس خليك فاكرة إن أنا موجود عشانك زي ما طول عمرنا موجودين لبعض. أي وقت محتاجاني كلميني تلاقيني طيران عندك.

روح: تسلمني ويحميك.

براء: طب إيه، أحضرلك حاجة خفيفة تاكليها ولأ أكلت بره؟

روح: يخليك ليّ. أنا شبعت من الكلام عليه!

براء: يا سيدي على الحب! ماشي يا ست الكل. أنا هادخل أنا كمان أشبع شوية حب من عالية.
عايزة حاجة مني؟

روح: أعوزك طيب!

أحست روح بحالة من الارتياح لم تشعر بها منذ فترة طويلة. أخيراً تكلمت عن حبها، وباحت به لبراء بعد أن مرت بفترة من الكتمان مجددًا منذ انقطعت علاقتها برشا، فلم تعد تمتلك رفاهية الفضضة عن حبها. ولكن الآن أطلقت أحاسيسها الحبيسة لبراء. وعلى الرغم من أنها لم تفصح عن شخصية حبيبها، ولا تفاصيل قصة حبهما الأسطورية الغريبة، لكنها لأول مرة تتكلم عن نور بحرية. نور الرجل كما تراه، وليس نور القديس العاشق الذي تشعر بمسؤولية تجاه صورته أمام الآخرين، فتلتزم الحذر وهي تتكلم عنه حبًا وخوفًا وحمايةً له.

لم تكن روح تستوعب من قبل بشكل كامل سر إحساسها بالارتباط الشديد بنور، فهي تتعامل مع الأمور بقلبيها تمامًا، ولم تكن لتبحث عن تفسير منطقي لهذا الحب الجارف، فأحساسها بأنهما روح واحدة، والرؤى التي كانت تراها، كانا كافيين لها في ذلك الوقت، إلى أن جاءها واردة جديد في إحدى الرؤى، عندما رأت نفسها ذات ليلة في طريق طويل، وكان الطريق مظلمًا، ولكن كان في السماء قمر منير. كانت تخشى أن تمشي وحيدة، ولكن فجأة سمعت صوتًا هامسًا يأتي من السماء يقول: «روح».

نظرت إلى القمر، فوجدت وجه نور. ابتسم لها ابتسامته الساحرة وقال بهدوء: «سيرى يا روى ولا تخافي ولا تحزني، فأنا أنير لك الطريق».

قالت: «ولكنك بعيد!».

قال: «أنا البعيد القريب. أنا أمسك بقلبك وأحملك كلك بقلبي، ولكني لا أستطيع الاقتراب أو الظهور. أنت الشمس ونورك نار تحرق المقتربين. إن اقتربت احترقت يا شمس الشمس».

قالت: «هل هذا مصيرنا؟ هل نحن كالشمس والقمر إخوة؟ لن نلتقي، كلٌّ في فلكٍ يسبحون؟».

قال: «أنت الشمس وأنا القمر، ونحن إخوة من نور».

قالت بخيبة أمل: «إذن دعني وقلبي، فالإخوة إن اقتربوا احترقوا، والشمس لا ينبغي لها أن تدرك القمر، وتلك هي قوانين الفلك والملكوت».

قال: «ولكن حبيبتى القمر يستطيع أن يدرك الشمس، وهابيل قتل قابيل من أجل أخت!».

قالت: «ذاك كان من قبل».

قال: «ألم تكن أنا وأنتِ هنالك من قبل؟ ألم تُخلقي مني ذات يوم؟ أنتِ حوائي أنا بالأخص. أنتِ أختي وأمي وابنتي وحبيبتى وكل نساء السماوات والأرض. أما زلتِ تتشككين بعد؟».

ابتسمت للقمر وقالت: «كنت أشعر أنك سيدي ومولاى منذ أبصرت ضياء عينيك، والآن أعطيتني الدليل على شعور الفرع بالأصل».

عندما استيقظت روح من هذه الرؤيا كانت سعيدة خفيفة، تريد أن تركض حافية القدمين مفتوحة الذراعين، تحتضن الهواء والفضاء وتلمس الندى. إنها تتذكر تلك الليلة جيدًا. استيقظت واتجهت بالفعل إلى باب البيت، ثم تنبهت أنها ترتدي أحد أرويتها البيضاء القطنية القصيرة التي ترتديها للنوم. الأردنية التي تبدو فيها مثل الأطفال في براءتهم، وتشبه الملائكة. ملاك حر. كل شيء بها حر. شعرها حر. قدمها حافيتان حرتان. لا ينقصها سوى جناحين لتطير بهما كما تطير الملائكة.

نظرت إلى نفسها وضحكت بصوت عالٍ، وأخذت ترقص كأنها في الدنيا بمفردها ولا أحد يراها أو يسمعا. تضحك وتدور حول نفسها فاتحة ذراعها، ترقص كما الدراويش وتردد: «أنتِ حوائي أنا بالأخص».

*

دخلت روح مرحلة جديدة من الارتقاء الروحي منذ نفذت أمر الهجر واستقرت في قونيا. كانت مدرسة مولانا الرومي في تدريب روحها لتسبح في ملكوت الله، مرحلة مكملة لما أتمته مع نور. لقد أوصلها نور إلى بداية الطريق. علمها كيف تخرج خارج الأحداث وتراها بمنظور الله وتفهم مراد الله من كل موقف. علمها أن الله يحبنا ويعلمنا ويربينا، وأنا مرسلون إلى الأرض لنرى الله

في الأشياء ونتعرف على صفاته من خلالها، لا لنعيش من دون تفكّر. يجب أن نتأمل ونتفكر طوال الوقت، ونكون في حضرة دائمة مع الله، فنفهم دروسنا ونستسلم له. يجب ألا نقاوم. يجب أن نؤمن بأن الله حكمة في الأمور، قد لا نستوعبها في حينها، ولكن يجب أن نكون على ثقة من أن الله جميل يحب الجمال، وأن من يحب الجمال لا يفعل شيئاً إلا بجمال.

وباستقرار هذه الفلسفة في قلبها أصبحت روح على أعتاب المرحلة الجديدة، فكلما وصل السالك في طريقه إلى الله إلى مقام قلبي، انتقل إلى مقام أعلى روحانية وأدنى آدمية. كما لو كانت بشرية المرید تُنقى، فيرتفع الماء ويتسبب الطين.

أدركت روح بعد تكرار مناقشاتها الخيالية مع مولانا الرومي، أن هذه المناقشات ليست صدفاً أو من نسج خيالها، ولكنها شكل مختلف للتربية على يد شيخ أو معلم مختلف عن الذي تعودت عليه مع نور في السنوات الخمس الماضية. فهمت أن الرؤيا لم تكن فقط مجرد تفسير لعلاقتها بنور، وإنما أيضاً لتستوعب أن تفاسير الأمور لا تأتي مرة واحدة، ولكن يجب أن يزيد وعي السالك ليستوعب التفسير الكامل للشيء. ففي البداية يُلهم الله المرید معنى على قدر طاقته واستيعابه، فيعتقد المرید أنه فهم الحكمة من الأمر، ثم عندما تنمو قدرته على الاستيعاب يُلهمه الله معنى أوضح فيستوعب أكثر، وهكذا إلى أن يصل إلى الحقيقة كاملة، ويستقر بقلبه اليقين الكامل الذي لا تشوبه شائبة.

أمسكت الأبياد، وبدأت في الكتابة:

العلامة الثالثة

كلما تصورت أنك قد وصلت إلى نهاية،
فكُن على يقين أنها بداية لطريق أكبر وأوسع.

كانت هذه الروح الواحدة، والجسد الواحد المنفصل عن بعضه، في ترقق في نفس الوقت. كان نور في القاهرة أيضًا على أعتاب مرحلة جديدة وترقق أعلى كشيخ مربب. كان الاتصال الروحي بينه وبين روح بمثابة تدريب له للتواصل مع أرواح أعلى مقامًا وعلماً، يتلقى العلم اللدني عن طريقهم، وينقله إلى مريديه والسالكين في طريق الله.

كانت حياة أيضًا أمام مفترق طرق مهم في حياتها وفي الطريق. لم تكن تلك المريدة المتفكرة أو عالمة، ولكنها كانت من النوع المحب الذي يرى نفسه في علاقة خاصة مع الله بعيدة عن العلم والعلماء. كانت ترى الله في كل الأشياء التي تحبها: الملابس، المجوهرات، السهرات. كل الأشياء الدنيوية كانت تتعامل معها كما وصفها الله في كتابه العزيز بإيجاز وإعجاز بأنها زينة الحياة الدنيا، تتزين بها فقط، ولكن لا تتعلق بها أو تحبها هي، إنها تحب صاحب الأشياء والمهدي لها كل هذه الهبات والزينة، الله.

قضت حياة إجازتها في باريس مع جميلة وفؤاد وأصدقائهم الفرنسيين تمامًا، كما كانت تريد أن تقضيها، نوعية مختلفة من الأصدقاء والسهرات وحتى الأحاديث. أشعرها هذا التغيير بسعادة وتجديد في مزاجها بعد الفترة الملولة التي عاشتها. عادت إلى مراكش مع جميلة وفؤاد وكلها طاقة إيجابية لتستكمل تلك الإجازة المختلفة بإجازة أخرى، تصطحب فيها جميلة وفؤاد إلى مدن أخرى في المغرب غير مراكش. كان فؤاد قد وضع برنامجًا لجولة سياحية في المغرب يبدأها من مراكش ثم يتوجه إلى الرباط وكازابلانكا وفاس وطنجة ومكناس.

اصطحبت حياة جميلة وفؤاد إلى منزل عائلتها العتيق الذي يقع في أرقى مناطق مراكش، وأوصلت كلاً منهما إلى غرفته، وطلبت منهما التصرف بكل حرية كأنهما في منزليهما. جميلة: أنا محتاجة أرتاح ساعة واحدة بس، وبعدين هاخذ دُش وأبقى جاهزة لسهرة الليلة. حياة بارتباك:

- طيب إيه رأيك نسهر النهارده في البيت مع أهلي، وتنعشى عشا بيتي جميل؟ إنت أكيد وحشك الأكل البيتي، لا ومش أي أكل، ده من إيد أمي. وعندي كمان مجموعة سيديوهات لأم كلثوم. نسع ونتسلطن. ولأ إيه رأيك يا فؤاد؟

فؤاد: أنا شخصيًا مليش في سهرات البيوت خالص ولا أم كلثوم، بس لو إنت مش عايزة تخرجي ممكن نسهر في البيت سوا، بس بلاش موضوع أم كلثوم ده! حياة: مش مشكلة خالص. ممكن نسع أي مزيكا تختاروها! جميلة: يعني إيه؟ خلاص اتفقتوا إن مش هنخرج النهارده؟!

حياة: معلش يا جميلة، أصل أنا مش هاقدر أسيب أمي وأخرج النهارده وأنا لسه راجعة من السفر! جميلة: لا يا حبيبتي طبعًا، خليك براحتك، أنا عارفة الأمهات لما بتكبر بيزعلوا من كل حاجة! ما تنجي نخرج أنا وإنت يا فؤاد وخلي حياة براحتها!

فؤاد: أنا بأقول خلينا مع حياة النهارده ما دامت ليلة واحدة مش حكاية، وبكرة نسهر براحتنا. حياة: ميرسي فؤاد! أوعدك هنتبسط النهارده على الآخر، ويمكن بكرة كمان تحب تنعشى من إيد أمي تاني وما تحبش تخرج!

فؤاد: لا، مش للدرجة دي يا حياة! إنت لسه ما تعرفنيش. دا أنا ممكن أسهر في مكانين مختلفين في ليلة واحدة، تقوليلي أسهر في بيت ليلتين ورا بعض؟! مش ممكن!
امتعضت جميلة بعض الشيء من تفضيل فؤاد التواجد مع حياة على التواجد معها، فهي تعرف طبيعة فؤاد تمام المعرفة، وتعلم كم يجب الخروج والسهر، ولكنها حرصت على ألا تُظهر أي رد فعل يكشف عن غيرتها من حياة في ذلك الموقف، فهي تريد أن تستمتع بالرحلة إلى أقصى حد ومن دون مشاكل، وكيف يحدث ذلك وحياة هي المضيئة لهما والإقامة في منزلها؟
ذهب كلُّ منهما إلى غرفته للاستجمام والاستعداد للسهر والتعرف على عائلة حياة، وذهبت حياة للسلام على أمها وإخبارها بوجود ضيوف في المنزل، وطلب الاستعدادات اللازمة لقضاء ليلة مغربية أصيلة.

*

كانت روح تستعد للسهر للاحتفال بـ«شب عروس»، أو بذكرى انتقال مولانا الرومي. كانت تشعر أنها بالفعل ذاهبة لليلة عرس. كانت تشعر بخفة وبرودة في صدرها. كانت تنظر في خزانها، وتبحث بين فساتينها عن شيء يشدها لترتيده في هذا اليوم المميز. شد عينيها وقلبها بقوة ذلك الفستان التافته الأحمر الداكن بلون النبيذ. ذلك اللون الذي أرشدها مولانا الرومي لدخوله في حياتها منذ اللقاء الأول. ذلك اللون يمثل بالفعل ما يدرّب الرومي روح عليه: الجرأة والشجاعة. بعد أن درّبها نور على رؤية الأمور مغلفة بشيلانها الخضراء، وغطى اللون الأخضر رأسها وأفكارها، وغلفها بغلاف روحاني محب، وصبغ نظرتها للحياة والبشر والأحداث بنظرة متصالحة محبة مفعمة بسلام داخلي مستمد من الله الجميل.
ارتدت الفستان التافته الأحمر. كان بسيطاً وليس به الكثير من التفاصيل، ولكنه كان أنيقاً وأثوياً جداً. كان الفستان يبرز جمال جسد روح الضئيل أكثر من فساتينها المعتادة التي ترتديها طوال الوقت. اللون الأحمر الداكن، مع بشرتها الخمرية، وشعرها الأسود المسترسل بتموجاته الطبيعية بحرية على كتفيها، وعيناها السوداوان اللتان اكتسبتا نظرة جريئة ما كانت تمتلكها من قبل، كانت تركيبية متضادة تتناغم معاً لتعزف شكل روح الجديد. رقتها المعهودة مع الأنثى المتمردة التي كانت تسكنها في صمت، الآن ظهرت تلك الأنثى المتمردة بوضوح وجمال معلنة عن نفسها بلمعة تشد الناظر إليها في حيرة من هذا التضاد الجميل والغريب. خرجت من غرفتها وهي تعلم أن مظهرها مختلف. ليس شكلاً فقط، ولكنه بالطبع مختلف موضوعاً بشكل كبير.
نظر إليها براء بسعادة، فهكذا كان يراها دائماً، حرة تماماً مثله، متمردة تماماً مثله، محبة تماماً مثله. تلك هي النقاط المشتركة التي جمعت بين قلبه الأبيض النقي وقلبها الأخضر النوراني.
روح مازحة:

- إيه؟ مش عاجبك شكلي؟ أدخل ألبس حاجة ثانية؟

براء: مش عاجبني شكلك؟! هو مين المجنون اللي ممكن ما يعجبوش القمر ده؟!
روح: أولاً أنا مش قمر. هو القمر. أنا شمس. هو قال كده.

براء: يا سلام على الحب! ماشي يا ست شمس. بس بجد أنا مستغرب! معقول الحب يعمل فيك كل ده؟ إنتِ هو إنتِ، شكلك، شعرك، لبسك، كل حاجة هيّ هيّ بس كأنها مش هيّ! حتى عينيك متغيرة، فيها لمعة غريبة. الحب يعمل كل ده؟!
روح: الحب يعمل أكثر من كده، بس لما يكون حب بجد، وأنا حبيت بجد.

براء: ربنا يسعدك يا حبيبة قلبي. أنا كده هارجع مصر فعلاً وأنا مطمئن عليك.

روح: ربنا يطمئن قلبك دائماً ويسعدك يا حبيبي.

دق جرس الباب، فتوجهت روح بسرعة لتفتح الباب لعالية متشوقة للذهاب إلى مركز مولانا الثقافي، والاستمتاع برقص الدراويش.

فتحت الباب فوجدت ضيف أمامها.

نظر ضيف إلى روح نظرة متفحصة مليئة بالجرأة. لم يكن قد سبق له أن رآها على تلك الهيئة. كان حسه الداخلي وخبرته الرجولية تعلم بوجود تلك الأنثى المتمردة بمكانٍ ما داخل الأنثى الرقيقة الناعمة، وهذا ما كان يجذبه إليها: الجمع بين الأنثيين في كيان واحد.

كانت الأنثى البريئة الخجول تقبع أيضاً في مكانٍ ما داخل روح، تماماً كفتاة لم تتعدَّ السابعة عشرة، مقبلة على الحياة بشغف، ولكنها تقف خجلة محمرة الوجنتين أمام أي نظرة من أي رجل. كانت تشعر بالخجل والارتباك، فكيف ينظر إليها رجل تلك النظرة وهي ملك لرجل آخر؟ هي ملك لنور، وهو فقط صاحب الحق في هذه النظرة، وصاحب الحق لم يستخدم حقه وغض البصر والقلب، فكيف يستخدم حقه غيره من الرجال؟! قطع خجلها وارتباكها تعليق ضيف:

- هو أنا عارف إن إنت جميلة طبعاً من أول مرّة شفتك، بس دلوقتِ عرفت إن إنت جميلة جداً جداً جداً!

ابتسمت روح برقة لضيف، مجتهدة في تثبيت عينيها في اتجاه عينيها، محاولة تغيير ردة فعلها المعتادة في مثل هذه المواقف بالهرب من النظر إليه وتغيير مجرى الحديث. نظرت في عينيها بثبات وقالت: - وأنا كمان كنت عارفة من أول مرّة شفتك إنك مجامل جداً، بس دلوقتِ عرفت إنك ثلاثة جداً مش جداً واحدة!

التفتت سريعاً إلى براء في محاولة لإخفاء ارتباكها قائلة:

- يلاً يا حبيبي علشان ما نتأخرش.

عرّفت روح ضيف وبراء قائلة:

- براء، ضيف. ضيف، براء. براء صاحبي وأخويا وحبيبي وكل حاجة حلوة في الدنيا. ضيف أخو عالية الكبير، وأهم حد عندهم في البيت وفي العيلة بوجه عام.

براء مصافحاً ضيف:

- تشرفنا.

ضيف: الشرف لينا.

اصطحب ضيف روح وبراء ومعهم عالية التي كانت منتظرة بالسيارة إلى مركز مولانا الثقافي. كان المسرح كبيراً ومبهراً، لم يكن مسرحاً مثل أغلب المسارح، لم تكن خشبة المسرح عالية عن الجمهور، والجمهور يجلس في صفوف متراصة أمام المسرح.

كان المسرح في المنتصف، وتلفه المقاعد في شكل دائري متدرج يبدأ مع المسرح ويرتفع تدريجياً. كان المسرح منخفضاً كأنه يعطي رسالة لكل زائر بأن لا تعلق بنفسك عن الأرض، وتواضع مهما كانت أهميتك ومهما بلغ ما وصلت إليه من علم، واجعل روحك هي التي تعلق بعيداً عن الأرض لتكون الرؤية أوضح في حالة البعد. كان التفاف المقاعد حول المسرح أيضاً يعطي رسالة واضحة لكل زائر زاوية مختلفة له وحده، يرى بها الأمور ويشعر بها بشكل يخصه وحده،

فلا يوجد اثنان يجلسان على نفس المقعد. تمامًا كما نحن في الحياة، لكل منا طريقه الخاص به إلى الله، ولا يمكن أن يسير أحد في طريق الآخر.

وقفت روح تتأمل هذا المشهد المبهر للمسرح وأضوائه، مستشعرة المعاني التي أحستها بقلبها كما لو كان مولانا الرومي يرشدها لذلك المعنى، ويذكرها بحكمته المشهورة: «إنه طريقك وحدك، قد يرافقتك فيه أحدهم لفترة من الوقت، لكن لن يكمله أحد غيرك».

نظرت روح إلى المسرح والمقاعد تلفه من كل اتجاه، وتمنت لو أن نور معها في هذا المكان الجميل، تمننت أن ترى عيناه هذا الجمال ويستشعره قلبه، تمامًا كما كانوا يذهبون معًا إلى حفلات براء، لا يتبادلان أي كلمات، ولكن، كل منهما كان يشعر بالآخر، ويستشعر جمال الإنشاد بقلبه، وكيفيهما فقط أن يجمعهما نفس المكان والزمان، ويغلفهما نفس الغلاف الروحاني الرقيق.

تذكرت روح أول مرّة اصطحبها نور مع براء لمشاهدة عرض رقص الدراويش في القاهرة، وهو يشرح لها في السيارة فلسفة مولانا الرومي في المولوية، وكيف أنها ليست مجرد حركات دائرية تصحبها موسيقى صوفية فحسب. استدعت كلماته كأنها سمعتها بالأمس. تذكرت شرحه لرمزية الملابس وحركة اليدين والقدمين والرأس ودوران الراقصين عكس عقارب الساعة تعبيرًا عن تبادل الليل والنهار. كان يصف الرقصة كما لو كان يلقتها درسًا، وهي تنصت بكل اهتمام. كان يصف دخول الراقصين إلى المسرح بالعباءة البنية بلون التراب رمزًا للأرض، ورئيس الفرقة يرتدي عباءة سوداء فوق رداء أبيض فضفاض رمزًا لكفن الموتى، ويضع طربوشًا طويلًا من اللباد الخشن يسمى «القلب» يرمز إلى «شاهد القبر».

يخلع الدراويش عباءتهم البنية ببطء، ويمرون على شيخهم ويُقَبِّلون يده، فيقبّل رؤوسهم، ثم يخلعون العباءة كأنهم يتجردون من الحياة ذاتها في طريق الخلاص، فتبدو تحتها ثيابهم البيضاء الواسعة وهي الكفن استعدادًا للموت. يدور الشيخ بحركات دائرية واسعة، كأنه يدور حول مركز الكون، بينما يدور الراقصون حوله كأنهم يرمزون إلى حركة الكون. يرقصون بدورات بطيئة في البداية حول شيخهم، ويكون الدوران بثبات القدم اليسرى التي تدور في مكانها على الكعب، بينما تلتف القدم اليمنى على أطراف الأصابع حولها في تتابع سريع، ترمز القدم الثابتة للشريعة (الثابتة) والقدم المتحركة هي الدنيا وما يستجد فيها. وفي كل لفة يذكر اسم الجلالة الذي يشكلونه بحركة أيديهم وأجسامهم، للاستعانة به لحفظ الشريعة أمام هول وسرعة تعاقب الأيام والذنوب. الدوران يتسارع حتى يبلغ الذروة، ويشترط أثناء الدوران ألا تلامس أيديهم ثيابهم بأي حال، كف اليد اليمنى المرفوعة إلى أعلى تعني التوجه إلى السماء وطلب الرحمة والمدد، واليسرى تتجه إلى أسفل وتدل على الأرض وما فيها من خطايا. فهو يتلقى الرحمة من الله تعالى ويحاول أن يتوجه بها إلى البشر على الأرض أملًا في تخطي ذنوبه. ويبدأ الإنشاد مع ارتفاع صوت الموسيقى بالتدريج على الناي في حب الله ورسوله، وتتردد كلمة «الحي» ليختتم وصلة الدوران بعبارة: الله الله الله.

علمها نور أن تترك نفسها تغوص في المعنى ولا تنتشغل بأي شيء حتى لو كان الرقص نفسه حتى تشعر بهذه الرموز، وأنها إذا شعرت فعلاً بهذه المعاني بقلبها، فإنها هكذا تصل إلى فلسفة وجودية مهمة بنهاية الرقصة، الفلسفة هي: الإنسان حي يرجو رحمة الله، بينما هو مشدود إلى الأرض والتراب والذنوب، وعليه أن يكون على استعداد للموت دائمًا بلبس كفنه وخلع الدنيا من

قلبه بالتسليم لله، ولكي يكون راضيًا سعيدًا عليه أن يذكر الله ويعبده بإخلاص بينما يقوم على خدمة عباده في الدنيا ليرحل سعيدًا في النهاية إلى الخالق، فالحياة رحلة بين الولادة والموت.

كانت رؤية روح لتلك الفلسفة أمامها مجسمة، تسمعها وتراها في بلد مولانا، وعلى بُعد خطوات من مقامه بمثابة الدخول إلى أسطورة من الأساطير التي كثيرًا ما قرأت عنها وعاشتها في خيالها فقط، وها هي اليوم تتحقق. جلس الجميع مستمتعين بالعرض، مستمعين إلى سرد قصة لقاء مولانا الرومي بشيخه مولانا شمس التبريزي ورحلته معه، بشكل مسرحي مبهر، ثم بعد ذلك بدأ المنشدون بإنشاد عدد من الأغاني الصوفية بمنتهى الجمال والرقى.

أدخلت أجواء الاحتفال روح وبراء في حالة من السمو الروحاني التي كانا يصلان إليها في مجالس الذكر وحفلات براء الغنائية وجلسات الإنشاد والمديح. كان ضيف ينظر إلى روح بتعجب لحالة السكون التي كستها، فهو لم يرها هكذا قط، كانت بالنسبة له أنثى جميلة ومختلفة وصعبة فقط. كان يعلم أن هناك جانبًا روحانيًا يغلفها، ولكن لم يكن يتخيل قط أن تكون بهذه الدرجة من السمو الروحي. أما عالية فكانت تنظر إلى براء وعيناها يملأهما الإعجاب. كان لسان حالها يقول: «أريد أن أكون هكذا. أريد أن أشعر بما تشعر به. بالتأكيد هو شيء جميل، ذلك الذي أنساك وجودي بجانبك وجعلك تائها في عالم آخر. إنه بالتأكيد عالم أجمل».

انتهى الاحتفال، واصطحب ضيف روح وعالية وبراء لتناول الكباب في أحد المطاعم العتيقة بقونيا في جو من الألفة والبهجة، بعد أن استمتع الجميع بالسهرة المميزة. شكرت روح ضيف على السهرة الممتعة والكباب الشهى، وكذلك فعل براء. كان يحاول أن يزيل أي حواجز في علاقته بضيف، ليتقرب أكثر من عالية وأسرتها. ضيف لم يكن يرغب أن تنتهي السهرة من دون أن يقضي وقتًا بمفرده مع روح، فالأحاديث كلها كانت في موضوعات عامة، ويشترك فيها الجميع، وهو يريد أن يختلي بروح، ويسدد المزيد من الأهداف في قلبها، ويحرز تقدمًا أكثر في القرب منها (من وجهة نظره). علق ضيف بأن الجو لطيف، وسأل روح أن تتجول معه قبل العودة إلى المنزل لاستنشاق الهواء النقي. وافقت روح من باب الذوق، ورغبةً منها أيضًا في أن يقضي براء بعض الوقت مع عالية، فلم يتبق له في قونيا سوى ليلتين وسيعود إلى القاهرة.

ضيف: أقولك على حاجة غريبة شوية؟

روح: قول.

ضيف: أنا كل مرة باشوفك، باحس إنى باشوفك لأول مرة!

ابتسمت روح ابتسامة ناعمة وقالت:

- إزاي؟! -

ضيف: يعني كل مرة باحس إن إحساسي بيك بيختلف. وكمان شكلك، باحس إنه بيختلف مع إن ملامحك ومظهرك ما بتختلفش، وباحس إنى عايز أتعرف عليك من أول وجديد، كأنك واحدة أول مرة أشوفها! عارفة الإحساس ده، لما تقابلي حد ويشدك من أول مقابلة؟ أنا بابقى كده كل مرة باشوفك! مش غريبة شوية دي؟!!

توقفت روح عن السير، ونظرت في عيني ضيف بثبات وقالت:

- أبدًا مش غريبة خالص!

ضيف: إزاي؟!!

روح: لأن أنا كمان حصلي كده مرة في حياتي. مرة واحدة ومع شخص واحد بس.

ضيف بنبرة تشوبها شكوك وغيره:

- وبعدين؟ إيه اللي حصل؟

روح وهي تُكمل السير:

- ما حصلش حاجة خالص. أحاسيس حلوة كنت باحس بيها كل ما أشوفه هو بس، باستمتع بيها، وباحس ساعتها إن الدنيا كلها بتحلو، وبتطلع من جوايا حاجات حلوة أرسمها ولأ أكتبها وأقول ديمها نعمة عليّ يا رب. أغمض عينيّ وأنا فيها أو هيّ اللي فيّ مش عارفة بالظبط، بس باقى متأكدة إن أنا وهو بنغمض في نفس الوقت، وبنحس بنفس الحاجة مع بعض!

ضيف: بس؟

روح: بس.

ضيف: يعني إنتِ مش مرتبطة بالشخص ده؟

روح: مرتبطة إزاي؟!

ضيف: يعني مخطوبة مثلاً؟

ابتسمت روح وسألت ضيف:

- هو ليه لازم كل العلاقات الإنسانية تتحط جوه إطار يحددها ويرسم ملامح ليها، في حين إن كل الحاجات الجميلة اللي ربنا خلقها حوالينا حرة بدون أي قيد يحد من جمالها؟!

ضيف: إنتِ بنتكلمي كأنك مش عايشة على الأرض! إحنا عايشين وسط ناس، وإحنا نفسنا بني آدمين! إزاي نعيش بدون ثوابت واضحة وملامح للعلاقات؟ إحنا مش في غابة اللي علوز حاجة ياخذها!

روح: مش مطبوط!

ضيف: أفندم؟

كانت روح في حالة من النشوة بعد رقص الدراويش، ونظرات ضيف استدعت الأنثى الجامحة للانطلاق والحديث، كانت تشعر بحرية في الكلام، ولا تعباً بما قد يفهمه ضيف من كلامها.
روح: طبغاً مش مطبوط. ربنا ما قالش كده. السما الكبيرة دي ملهاش أول ولا آخر ولا متحددة بحدود. البحر الواسع الكبير ملوش قرار ولا نعرف حدود عمقه أد إيه. الهوا اللي بنشمه، تعرف تقيسه ولأ تقول حجمه ولأ وزنه أد إيه؟!

توقف ضيف عن السير، وأمسك بذراع روح، ونظر في عينيها بحدة، وقال:

- ده السما والبحر والهوا. إنتِ بني آدم، فاهمة؟ قوانين الطبيعة ما تنطبقش عليك!

سحبت روح ذراعها من يد ضيف بقوة وعنف، وقالت له وهي تنظر في عينيها بغضب:

- ما تقوليش إيه اللي أعمله وإيه اللي ما اعملوش! وما تمسكنيش تاني بالطريقة اللي مسكتني بيها! ولو عايز تناقشني في أفكارني ناقشني من غير ما تفرض عليّ رأيك! اعرض وجهة نظرك بالطريقة اللي تعجبك، بس إياك تهاجم أفكارني وأسلوب حياتي، لأنك لو عملت كده مش هادافع عن نفسي وتفكيرني علشان أرضيك، هاسيبك وأمشي ومش هابص تاني عليك!

ثم أشارت بإصبعها محذرة إياه قائلة:

- إياك!

ضيف مترجعاً عن موقفه:

- أنا آسف! ما كانش قصدي خالص أضايقك، ولا خطر على بالي أبدًا إني أهاجمك! بالعكس، أنا معجب بيك جدًّا، وباعتذر لو كنت أسأت التعبير عن نفسي! أنا بس لقيت إني أدام كلام عادةً بينقال من ناس مختلفة عنك، وبتعيش في الدنيا بشكل بوهيمي، وأنا عارف إن إنت مش كده. يمكن استغرابي خلاني أتصرف بطريقة مش مقبولة. أنا آسف تاني! وأرجوك سامحيني إني مسكتك بطريقة ضايقتك!

هدأت روح من نفسها، وتنفست بعمق وهي مغمضة عينيها، بينما وضعت يدها اليمنى على قلبها.
روح: خلاص يا ضيف، الموضوع انتهى!

ضيف: بس إنت شكلك لسه زعلانة مني!

روح: أنا هابقى كويسة دلوقت. أنا بس بقالي كتير ما انفلتتس، وبقالي زمن ما اتكلمتس مع الناس اللي متعودة تهاجم وخلاص!

ضيف: أنا مصدقك، وعارف إنك ما بتكذبيش، بس بجد أنا اتضايقت إني خليتك تتوتري بالشكل ده. فيه حاجة أقدر أعملها، لو تسمحي يعني؟ أنا لا باضغط ولا باهاجم أهوه. لو مش عايزة بلاش. ابتسمت روح وقالت:

- إنت حسستني إني خوفتك، ودي أول مرة في حياتي أخوف حد!

توقف ضيف عن السير، ونظر في عينيها وقال:

- فيه فرق كبير بين إني أخاف منك، وإني أخاف إني أكون سبب لزعلك. أنا خفت فعلاً إني أكون زعلتك.

روح: طيب، عفونا عنك خلاص.

ضيف مبتسمًا:

- طيب مولاتنا تسمح تفهمني بالراحة وجهة نظرها وفلسفتها الرقيقة زيها، يمكن العبد الفقير يفهم ويبطل يزعج مولاته بجعله.

ابتسمت روح ابتسامة ناعمة، ونظرت إلى القمر الذي كان بدرًا في سماء قونيا. نظرت إلى نور أو إلى القمر، وتذكرت عندما كانت تتبادل معه تلك المناقشات الفلسفية، وتساله وتناديه بمولانا، فيرد عليها بنظرة إعجاب بشغفها للعلم والتعلم وهو يدللها بنفس الكلمة التي ناداها بها ضيف: مولاتنا.

استفاقت على نداء ضيف لها وهي هائمة في جمال القمر ونورها.

روح: طبعًا أكيد ممكن أشرحلك، بس من فضلك ما تتاديليش تاني بمولاتنا!

ضيف: ممكن أعرف ليه؟

روح: لا مش ممكن!

ضيف: شفت أنا مؤدب إزاي، ومش هاسأل ليه مش ممكن!

ابتسمت روح ووصفت تصفيقة رقيقة ناظرة إلى ضيف نظرة بها بريق الأنثى المسيطرة قائلة:

- برافو. تقدم كبير. كده ينفع أشرحلك. صلّ على النبي.

ضيف: اللهم صلّ وسلم وبارك على سيدنا محمد وآله.

روح: عليه أفضل الصلاة والسلام. السما والبحر والهوا حاجات جميلة حرة، ملهاش قيد، ما تقدرش تجيب أولها ولا آخرها بعينيك. قس على كده أي حاجة حلوة تحس بيها. إنت ممكن تقيس حبك لحد؟ يعني ينفع تقول أنا باحب فلانة مثلاً طن أو عشرة طن وباحب فلان ثلاثة طن وفلان

كيلو ولأ انتنين؟ لا طبعًا، لأن الحب ده جواك، والأحاسيس ملهاش وحدة قياس. حتى الناس لما بتقول بحبك أد الدنيا ولا أد البحر، هما نفسهم ما يعرفوش الدنيا أد إيه ولا البحر عمقه كام. ضيف: طبعًا كلامك مضبوط وجميل. مختلف صحيح بس مضبوط. وعلى فكرة أنا مش باقول كده علشان أرضيك، أنا فعلاً موافكك، بس الأحاسيس والمشاعر دي لازم تتحط في أطر معينة علشان المجتمع يقبلها. يعني ينفع واحد وواحدة يحبوا بعض ويعيشوا مع بعض بدون زواج مثلاً؟ هما ممكن يبقوا مبسوطين، بس دي حاجة المجتمع ما يقبلهاش بسهولة. روح: طبعًا ما ينفعش! بس أنا باختلاف معاك في حاجة مهمة، المجتمع يقبلها أو ما يقبلهاش دي مش قضيتي. أنا قضيتي ربي. ربي راضي؟ أعملها فورًا. مش راضي عنها؟ يبقى ما أفكرش فيها أصلًا.

ضيف: جميل. انفتنا. يبقى إزاي مشاعر حب وأحاسيس بين راجل وست ممكن تبقى بدون قيد مجتمعي، وفي نفس الوقت ما بتغضبش ربنا؟

روح: لما يكون الحب في القلب، بس. مش هيخرج منه، ومش هيطلع عليه غير اللي خلقه وسواه في القلب. ما هو الحب ده زيي وزيك. خلقه الرحمن من نطفة، بس ما وضعهاش في الرحم، وضعها في القلب. حنة من روحه على حنة من روعي اتجمعوا على بعض، نفخ فيها ربي من روحه وما كساهاش طين ولا فيها ولا حنة صغيرة عضم، كلها شفافة ونقية وجميلة. نفخة بس من الرب. كساها النور من نوره فبقت نور جوه في القلب. مخلوق اتخلق بملامح رسمها الرب. ملامح كل حب زيها زي ملامح أصحاب الروح اللي اتجمعت على بعض. تمام زي أي مولود يشبه أبوه وأمه في الشكل والطبع. أهو الحب اللي رابط كل روحين يشبههم هما بس، ما يشبهش أي انتنين غيرهم في الكون، ولا يمكن حد يحس بجماله غير هو وهي والرب. سر في القلب. تقول إيه عليه غير الله. تخيل إنك لما تحب بيبقى الله جوه في القلب؟ متخيل جمال الحب أد إيه؟ جماله من جمال الرب. نور. نور في القلب.

نظر ضيف إلى روح بإعجاب شديد، وقال لها:

- إيه الكلام الحلو اللي إنتِ قلتيه دلوقتِ ده يا روح؟ دي أول مرّة أسمع حد بيوصف الحب بالجمال ده!

أمسكت روح بيدي ضيف ونظرت إلى عينيه مبتسمة، وقالت:

- علشان هو جميل كده يا ضيف. ولما تبقى حاجة بالجمال ده مش ممكن تنقيد. اللي بيحب كده وظروف الحياة بتبقى مناسبة لتتويج المشاعر دي بالجواز، بيبقى الجواز ساعتها مش قيد، بيبقى مباركة، تاج يعني زي اللي بيحطه أبونا القسيس في الكنيسة لما بيجوز روحين. بيقول: بالتاج ده إنتم دلوقتِ تقدرنا تقربوا من بعض بمباركة الرب، إنتم ملوك والمملكة قلوبكم والناس شاهدة عليكم وربنا يسعدكم ويحميكم الرب.

لكن لو هيفضل في القلب من غير ما يقربوا من بعض يبقى إيه الداعي لتاج يتحط على الراس يقول القلب ده بتاع القلب ده؟ ملوش أي لازمة إن كان ربنا حط التيجان والمملكة جوه في القلب وخباه عن عيون الناس لغاية ما يبجي الأوان والإذن. ضيف: ممكن أقولك حاجة؟

روح بنبرة كلها أنوثة، ونظرة بها الكثير من الدلال:

- لا، مش ممكن!

التفتت روح سريعاً، وفتحت عينيها وذراعيها، وسارت بسرعة بعيداً عن ضيف، ثم التفتت إليه وهي بعيدة عنه، وقالت بصوت مرتفع:

- يلاً امشي بسرعة شوية. إيه؟ مش قادر تحصلني؟ أنا هاسبقك وهاوصل قبلك لبراء وعالية. أسرع ضيف ووصل إليها ووقف أمامها ناظراً في عينيها السوداوين قائلاً:
- حصلتاك.

ابتسمت روح، وهزت رأسها نافية وقالت:

- إنت فاكِر إنك حصلتني، بس إنت ما تقدرش تحصلني!
ضيف متحدياً ومعجباً:

- دا إنت اللي فاكِرَة إنني ما اقدرش أحصلك، بس أنا عارف نفسي وهاحصلك!
روح وهي تمشي بظهرها مشيرة بإصبعها لضيف علامة على النفي:
- أنا أصلاً مش هنا خالص. أنا فووووووق. بعبيبيبيبي.
ضيف ضاحكاً ومقبلاً على روح:

- تعالي بس، اعقلي وبلاش تمشي بضهرك لتقعي تتعوري!
روح مكلمة السير بظهرها:

- وفيها إيه لو وقعت؟ هاقوم وأكمل مشي تاني!
وصل ضيف إليها، وأمسك ذراعها بركة:

- تسمحيلني أمسك المرّة دي؟ مش علشان أمنعك أو أقيدك، علشان أبقى قريب منك وألحقك فما تقعّيش ولا تتعوري!

كانت روح قد توقفت عن السير. نظرات ضيف وقبضته وكلماته الرقيقة أربكتها. تحمل مغزى أنه فهم طبيعتها، وأنه سيحترم تلك الطبيعة المختلفة الجامعة، ولكنه يريد أن يبقى بجانبها من أجل حمايتها لا من أجل تقييدها. أربكها المعنى والنظرات. أرجعت خصلات شعرها خلف أذنيها كما تفعل كلما شعرت بخجل أو ارتباك، ونظرت في اتجاه آخر، هاربة من نظراته الجريئة والحانية في نفس الوقت، قائلة: - أنا باقول كفاية تمشية كده. يلاً نرجع.
ضيف: زي ما تحبي.

أوصل ضيف روح وبراء بسيارته إلى منزلها، وقبل أن تخرج روح من السيارة كررت الشكر لضيف على السهرة المميزة والعشاء الرائع، ثم وجهت دعوة إلى ضيف وعالية للعشاء معها ومع براء في المنزل في اليوم التالي، موضحة أنه عشاء على شرف براء قبل أن يغادر إلى القاهرة.

علق ضيف: بس ده واجب علينا إحنا!
التقطت عالية الفكرة، وأكملت:

- أيوه طبعاً. دي ماما تزعل جدّاً لو عرفت إن إنتِ ضيفك مسافر من غير ما تعزمه وتسلم عليه!
روح: أنا مش عارفة أقولكم إيه؟ بس بجد إنتو عملتوا حاجات كثير معايا. خلوني المرّة دي أعمل العشا لبراء في البيت عندي!

ضيف: وهوّ إيه البيت عندك والبيت عندنا؟ إحنا واحد. إنتِ تيجي بكرة زي الأميرات معززة مكرمة، وبراء طبعاً يشرفنا، ويا ريت لو يسمعنا حاجة بعد العشا بصوته الجميل. أنا متأكد إن جدي هيتبسط لما يسمعه بينشد.

روح: لا، إذا كان الشيخ بهاء هيبقى موجود بكرة أنا ما اقدرش أقول حاجة، دا أنا نفسي أشوفه أوي!

عالية: يبقى خلاص اتفقنا. بكرة الساعة 7.

براء مصافحاً ضيف:

- أنا متشكر على السهرة والعشا والعزومة وكل حاجة! بجد إنت ما تعرفش إنتو كده ريحتوني أد إيه! أنا كده هارجع مصر مطمئن على روح إنها فعلاً بين عيلة تانية ليها. أشكرك!
ضيف: ما يصحش أبداً تشكرنا على الأصول. روح دي بقت واحدة من العيلة فعلاً مش كلام،
وواحدة عزيزة وغالية كمان!

روح مداعبة عالية:

- لا، هو مفيش غير غالية واحدة!

ضيف: مش فاهم!

روح مداعبة ضيف:

- بكرة أقولك. تصبحوا على خير.

ضيف: وإنتِ من أهل الخير يا روح خانو!

في القاهرة كانت الأيام تمر على نور ثقيلة وصعبة. اعتاد المحيطون به، سواء كانوا مريدين أو مشايخ أو علماء يلتقي بهم في مجالس العلم والذكر، أن يروه قويًا، سعيدًا، متماسكًا دائمًا. كانت هذه الطبيعة تفرض عليه مجهودًا مضاعفًا للظهور وممارسة حياته المعتادة.

كان تمامًا مثلما وصفته روح لبراء: جنديًا من جنود الله، جلدًا، أبدًا لا يشتكي ولا يبوح بألمه، دائم الابتسام في وجه الجميع، ولكن آلامه تكاد أن تُسمع بين الضلوع تنوح.

لم تكن مشاعر نور المتأججة في تلك الفترة سببًا في ارتقائه روحانيًا فقط، وإنما كانت أيضًا مصدر إلهام قوي له للكتابة. فكما يقال إن الإبداع يولد دائمًا من رحم المعاناة. كان نور يكتب كثيرًا، ولا يعرف ماذا سيفعل بتلك الكتابات. كان يكتب ولا يفكر. لم تكن خواطر أو تدوينات عادية. فبالإضافة إلى كتاباته التأملية وأشعاره الصوفية في حب الله، كانت هناك نوعية جديدة من الكتابات والإلهامات تنتابه ولم يكن معتادًا عليها. كانت تبدو كحوار بين روحين ذابا عشقًا وهما لم يقتربا. كانت الحوارات تنبض بنوعية مختلفة من العشق، عشق يدور في فلك روحاني نوراني، تمامًا كقصة حبه مع روح. نعم هذا هو وصفها أو توصيفها. توصيف لم يرد من قبل، ولم يسبقه إليه أي من الشعراء أو الكتاب من قبل. وكيف يسبقه أحد إلى هذه النوعية من الكتابة وهي جزء من علاقة لم يسبقه غيره إليها. فكل الشعراء الذين كتبوا في الحب والعشق امتزج حبه مع شهواتهم الدنيوية، أما هو وروح فحبهما كان أرقى من كل الشهوات، كان نورًا في نور وجمالًا في جمال. لم يكن يشعر أن ما يكتبه شعر. كان يشعر أنه نورانيات تُلّفه وتنقله إلى مكان أسمى يجد فيه هذه الحوارات تسترسل بداخله. هذا ما كان يشعر به وهكذا أسماها: «نورانيات عاشق».

أخذ قلمه، وفتح دفترًا جديدًا وكتب بسم الله الرحمن الرحيم، ثم بدأ يكتب:

سَمِعْتُ: واهجرهم هجرًا جميلًا.

أجابت: وأفوض أمري إلى الله إن الله بصير بالعباد.

قال: إني ذاهب إلى ربي سيهدين.

قالت: ربي إني نذرت لك ما في قلبي محررًا فتقبل مني إنك أنت السميع العليم.

قال: فصبر جميل والله المستعان.

سألت: وكيف تصبر على ما لم تُحط به خبرًا؟

أجاب: ما ظنك باتنين الله ثالثهما؟

دعت: ربي إني مسني الضر وأنت أرحم الراحمين.

قيل: «أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ (1) وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ (2) الَّذِي أَنْقَضَ ظَهْرَكَ (3) وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ (4) فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا (5) إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا (6) فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ (7) وَإِلَى رَبِّكَ فَارْغَبْ».

دعا: لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين.

قيل: «قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا».

كتب القديس العاشق أول حوار نوراني في دفتره. كان يشعر بقوة أن هذه الحوارات تدور بينه وبين روح. كيف؟ لا يدري. أين؟ لا يدري أيضًا. حقيقة أم خيال؟ لا يمكنه أن يجزم بكونها حقيقة، ولكنه كان على يقين أنها حقيقة، ولكن حقيقة مختلفة لا تخضع للقوانين البشرية المعتادة التي تحكم البشر في الدنيا. قوانين مختلفة لعالم آخر. عالم الأرواح الذي كان يجمع بينه وبين حبيبته. عالم النورانيات والجمال.

إن ما يشعر به نور مع روح هو نوع من التخاطر عن بُعد. تواصل بين الأذهان من خلال تأثير عاطفي من دون الاتصال بالحواس، ويشمل الأفكار والأحاسيس والمشاعر والتخيلات الذهنية.

كان نور يشعر بالكثير من هذه الحوارات تدور بينه وبين روح. كان يعتبر تلك الحوارات رحمة من رحمات الله به وبروح في البعد، فعلى الرغم من أنها لا تدور على أرض الواقع، فإنه بعد كل حوار كان يشعر بسعادة، كأنه تقابل بالفعل مع روح وتكلما معًا. كان على الرغم من ألمه ووجعه وحرمانه وحيرته يشعر بالامتنان لكرم الله له بهذه الهبة والعطية، وما قطع دعائه الذي تعود أن يدعو به ربه أبدًا. كان نور يدعو قائلاً: «رب هب لي من لُدُنك رحمة، وهبي لنا من أمرنا رَشْدًا».

وعلى الرغم من تلمس القديس العاشق لرحمات ربه واحدة تلو الأخرى، وعلى الرغم من يقينه باستجابة دعائه، فإنه لم يكن يفتن إلى كيفية التصرف تجاه قصته مع روح، كان يشعر أن عليه فقط الانتظار والصبر.

في المغرب كانت حياة تقضي الليلة في أجواء مغربية أسرية مع فؤاد وجميلة. كانت تنتظر إلى فؤاد وعيناها يملأهما الإعجاب. كان يتحدث عن الأميرات والمشاهير كأنه يتحدث عن شخصيات عادية، ويصف رحلاتهم البحرية، ويخوتهم الباهظة، وسهراتهم، وحفلاتهم ببساطة واسترسال، بينما تستمع هي بانبهار شديد. وكانت جميلة تفهم طريقة فؤاد الاستعراضية «المعتادة» في الحديث، وتراقب نظرات حياة اللاهثة لتلك النوعية من الحكايات. كانت تراقبهما في هدوء وهي ترسم ابتسامة مصطنعة على وجهها، وتحدث نفسها قائلة: «يا ترى إيه اللي بيدور في مخك يا فؤاد؟!».

اصطحبت حياة فؤاد وجميلة في جولة سياحية زاروا فيها مقامات سبعة من أولياء الله الصالحين. حياة: ده بقي مقام سيدي الجزولي. أنا ما اقدرش أتأخر على سيدي الجزولي أبدًا. أنا بس أغيب عنه شوية ألاقي رجلي جاياني لوحدي، أعرف إنه عاوزني وأنا اللي وحشة وانشغلت عنه، أزوره وأرجع البيت، لازم أشوفه في رؤيا ليلتها على طول، وحتى لو ما قاليش حاجة، أشوف وشه زي البدر ليلة التمام بيتسم ويبصلي، بس أنا بافهم إنه بيعاتبني ويقول ما تخليش الدنيا تاخذك يا حياة. بس أعمل إيه بتاخذني غصب عني، وكل مرة أتأخر عليه يجيلي ويعاتبني. فؤاد ساخرًا:

- وبرضو مفيش فايدة فيك، بتروحي باريس تتفسحي، والدنيا تاخذك وتبعدي عن سيدك، ما بتسمعيش الكلام ليه يا حياة، وتسيبك من الدنيا وتلبسي جلابية وتعلقني في رقبتك سبحة وتقعدني جنب سيدك؟! حياة: إنت بتتريق يا فؤاد؟! فؤاد: أكيد باتتريق طبعًا. هوّ اللي إنت بتقوليه ده كلام ممكن يتقال قصاد حد، وما يتريقش عليه؟! جميلة: لا طبعًا يا حياة، فؤاد بيهزر مش بيتتريق!

حياة: لا، هو قال إنه بيتتريق، وأعتقد إن فؤاد مش طفل صغير علشان يحتاج حد ينبهه يقول إيه وما يقولش إيه يا جميلة، هو عارف هو بيقول إيه كويس! فؤاد: أكيد طبعًا عارف باقول إيه. إنت بدمتك مقتنعة باللي بتقوليه؟ اقنعيني طيب وأنا هافهمك، بس ما تكلمنيش عن حاجة عقلي ما يستوعبهاش وتقوليلي ما تتريقش! أنا أعرف مشاهير العالم، وقريت كتب أد شعر راسي، يعني كلامك ده ما يوزنش عقلي! حياة بتحدّ:

- أكيد ما يوزنش عقلك، لأنه ما بيتوزنش بالعقل أصلًا.

أشارت إلى قلبها واستطردت:

- ده كلام يتوزن بالقلب، فاهمني يا فؤاد؟ الأمور الروحانية أمور قلبية مش عقلية! فؤاد: أوه! إنت بتتكلمي عن الروحانيات؟ طب مش توضحي كلامك! طبعًا أنا قرئت كتير لبوذا، وفي كتير من أصدقائي المشاهير اعتنقوا مبداه، وأنا أحترم كل الاتجاهات طبعًا، بس أنا شخصيًا ما انجذبنيش للمبادئ بتاعته كعقيدة وأسلوب حياة، هي مبادئ عظيمة بس مبالغ فيها! حياة: أبدًا خالص، مش مبالغ فيها بالمرّة. إنت بس قلبك يتفتح، وتهتس بكل الأمور الروحانية بالتدريج بدون أي مجهود.

فؤاد: أبوه، بس أنا مش فاهم برضو إيه علاقة بوذا والروحانيات بالقبر اللي إحنا مضيعين اليوم عنده، وصاحبه اللي بتحلمي بيه، والسبحة اللي معلقها في رقبتك، والإيشارب اللي لبستيه قبل ما ندخل هنا؟! إيه علاقة ده كله بالروحانيات؟!
جميلة: خلاص يا فؤاد بقي!

حياة: خليه براحته يا جميلة. أنا مش باتضايق. أقولك ده إيه علاقته ببعضه. أولاً تعاليم بوذا أو حتى أي فيلسوف اتكلم أو وضع قواعد للسمو بالروح فيما يسمى بالروحانيات، كلهم تقريباً قالوا نفس تعاليم الإسلام، بس طبعاً مع نظرتهم الخاصة بيهم. عندنا في الإسلام السمو الروحي يُسمى بالصوفية، وهي إنك تصفي قلبك من متعلقات كتير أوي دنيوية تشغلك عن علاقتك بربنا، اللي هي أسمى علاقة في الوجود. وصاحب المقام اللي إحنا ربنا كرمنا بزيارته كان عالم، وكان يدعو الله بالحال والسلوك أكثر من الدعوة بالوعظ والكلام، وكان متمسك بالكتاب والسنة، وكان رضي الله عنه ولي من أولياء الله الصالحين، وله العديد من الكرامات، ومؤلفاته عظيمة أشهرها كتاب دلائل الخيرات. أما عن الإيشارب والسبحة، فالإيشارب أصلاً المفروض أكون لابساه على طول حسب تعاليم ديني، وبما إني لسه مش قادرة أعمل كده، فعلى الأقل وأنا داخلة بيت من بيوت الله، وأكد هاصلي بيقي لازم أعطي شعري تنفيذاً لأمر الله. والسبحة يا سيدي علشان أنا باحب أذكر ربنا عليها، ملهاش دعوة بالمكان خالص، أنا بالبسها طول الوقت. ها عندك أسئلة تانية؟
فؤاد: إنت معتنقة الصوفية بقي؟!
حياة ضاحكة:

- الصوفية مش ديانة يا فؤاد. الصوفية منهج حياة. الديانة هي الإسلام. إنت إيه يا ابني ما فهمتش ولا كلمة من اللي قلتها؟!
فؤاد: لا فهمت، بس الحقيقة شايفك بتلبسي آخر موضه، وراكبة عربية فاخرة، وساكنة في بيت ثلاث أدوار، وعندك خدم أد كده. فين الصوفية في كل ده؟ بوذا كان أمير وساب قصره وهجر كل مظاهر الرفاهية والراحة وتكشف. إنت فين من كل ده؟!
جميلة: مش ممكن يا فؤاد، كفاية بجد إنت زودتها!
حياة ضاحكة:

- بالعكس، خليه يقول كل اللي هو عايزه. أنا مش متضايقة خالص. بالعكس أنا مبسوفة إنه هيفهم مضبوط، لأن فيه ناس كتير فاكرة الصوفية زي الرهبة في الدين المسيحي.
فؤاد: تمام. البوذية بتشبه جداً الرهبة في المسيحية. إيه فرق الصوفية في الإسلام عنهم بقي؟
حياة: تاني يا فؤاد؟ الصوفية مش اعتناق، الصوفية اتجاه. لما تتجه لربنا بقلبك بتبتدي يحصلك تحول في علاقتك بربنا. التحول ده ببساطة بيقوم على الحب. كل حاجة في علاقتك بربنا، وفي حياتك بوجه عام تمر من خلال قلبك. يعني تقدر تلبس وتتفصح وتعمل كل حاجة في الدنيا، لأن ربنا ما أمرناش في الإسلام بالتكشف ولا الرهبة، بالعكس ده قال إن كل الحاجات دي من متع الدنيا وزينتها الموجودة علشان نستمتع بيها. بس لما بتتعامل معاها بنظرة صوفية بتلاقي نفسك بتستعملها من غير ما تستعبدك. يعني موجودة خير وبركة ونحمد ربنا عليها وما تشغلناش عنه، مش موجودة برضو خير وبركة، وبرضو نحمد ربنا وما نزعش إنها راحت منا. يعني بمعنى أصح ما نعلقش قلبنا بالزينة، نعلق قلبنا بخالق الزينة. إنت تحب حد يدريك هدية وتردهاله وتقوله مش عاوزها؟ لكن ممكن تقوله شكراً، كل حاجة منك حلوة، تجيب هدية أو ما تجيبش أنا باحبك

إنت والهدية، باحبها علشان هي منك مش علشانها هي. دي بالظبط الطريقة اللي أنا باتعامل بيها مع البيوت والعربيات واللبس والمجوهرات. فهمتني يا فؤاد؟
فؤاد معجباً:

- هدايا ظريفة جداً. لطيفة الصوفية دي!

حياة مبتسمة:

- لطيفة أوي.

جميلة: طيب لسه عايزة تعملي حاجة تاني هنا ولأ نمشي يا حياة؟

حياة: لا يا حبيبتني. ممكن تسبقوني على العربية لو مش حابين تستنوا، وأنا هاصلي ركعتين وأسلم على سيدي الجزولي وأجيلكم على العربية.

صارح ضيف نفسه بأن انجذابه لروح مختلف عن انجذابه لكل النساء اللاتي ربطت بينه وبينهن علاقات من قبل. لم يجد تفسيرًا لإحساسه، فهي مختلفة شكلاً وموضوعاً، ولم يكن يتخيل نفسه سينجذب لامرأة ذات نزعة دينية، فهو كان يرتبط بعلاقات حرة خارج حدود العرف والشرع، مساحة الحرية بها أكبر بكثير مما قد تسمح به روح. إنه لا ينجذب لفتاة للحديث معها أو حتى الخروج والسهر، وإنما تتسع مساحة الحرية في العلاقة لأبعد من ذلك بكثير، وهذا بالطبع آخر ما قد تسمح به روح في علاقتها معه. وكان أيضاً آخر ما يبحث عنه ضيف هو امرأة تكلمه عن حب الله واستشعار تجليه والحضور معه وحضرته.

مع ذلك لا يستطيع أن يصرف نفسه عنها، ولا أن يفكر في أي امرأة بديلة لها في تلك الفترة ليصرف تفكيره عنها. روح، وهي بالفعل روح تلبسته.

وكما تلبست روح ضيف، تلبس براء عالية. كانت عالية تبكيه ليلاً. كانت لا تعلم كيف ستستقوي على فراق براء بعد كل هذا القرب وبكل هذا الحب. كانت تفكر كثيراً وتتساءل بينها وبين نفسها: «تُرى هل سوف ينساني عندما يعود إلى القاهرة ويبعد عني؟ تُرى عندما يعود إلى صديقاته الكثيرات التي أخبرتني عنهن روح، هل سينسى ضحكاتنا وهمساتنا أمام دلالهن؟».

كان قلبها يعترضه الحب والقلق والغيرة. تتوقف برهة. تتذكر كلمات روح بأن تكون على ثقة أن الله سيجمعهما، فتبتسم، وتبلل الدموع وجهها، ثم تعود لتتشكك مرةً أخرى في مصير هذا الحب الجميل، فتبكي وتبكي، إلى أن أحست أنها تريد أن تشكو ما في قلبها لمن هو أكبر من روح ومن براء، ومن نفسها التي أرهقتها بالتفكير والبكاء.

توضأت عالية، ووقفت تصلي لله وتقرأ القرآن، وتجهش في البكاء كلما قرأت في الفاتحة «الرحمن الرحيم»، كأنها تتوسل لله بأسماء رحمته أن يرحم قلبها ويطمئنها.

فرغت من الصلاة، ووجدت نفسها لأول مرةً في حياتها تتحدث مع الله بلغتها البسيطة العادية. تحدثت إليه كما تتحدث مع روح. وكيف لا وهو ربها ورب روح ورب الجميع! شكت له ما في قلبها وحيرتها، وطلبت منه أن يعينها على تحمل فراق براء، وأن يجمعهما قريباً بأمره ومشينته، وأن يصلهما ولا يقطعهما.

أنهت مناجاتها مع الله وكلها رجاء وأمل في استجابة الله، ثم نامت عالية نومًا عميقًا على عكس الليالي السابقة التي كانت تبكي فيها على فراق براء، ولكن الليلة عرفت طريقها للراحة والسكينة. رمت ما بقلبها من حيرة وقلق لله الواحد الأحد، فأنزل على قلبها الراحة والسكينة، ونامت مثل طفل متعب من اللهو طوال اليوم وراح في سبات عميق.

*

استيقظ الجميع صباحًا، وبدا المنزل مثل خلية نحل، بعد أن أخبر ضيف أمه بالاهتمام بإقامة عشاء على شرف براء قبل سفره إلى القاهرة. أما ضيف فقد استأذن جده للحديث معه على انفراد بعيدًا عن ضوضاء المنزل وصخب أخواته البنات. جلسا معًا في غرفة المكتب. كان مكتب الشيخ بهاء له طابع يشبهه. كان يبدو كأنه قطعة مستقطعة من موطنه الأصلي إيران. كان الأثاث من الخشب البني الغامق العتيق، والأرض مغطاة بسجادة كبيرة إيرانية الصنع يغلب على نقوشها اللون الأحمر القاني، وتتدلى من منتصف الغرفة نجفة كبيرة من النحاس المذهب المزين بمصاييح من

الزجاج المحفور به كتابات باللغة الفارسية بشكل فني جميل. أما المكتبة فكانت تعج بالكتب النادرة والمخطوطات القديمة التي قد لا يوجد بالعالم كله إلا نسخ قليلة منها. كان الشيخ بهاء أحد القليلين في العالم الذين لديهم من الكتب النادرة نسخة في مكتبته الشخصية التي لا تُقدر بثمن، وقد أخبر ضيف أن هذه المكتبة الثمينة خاصة به وحده، وهي إرثه من جده بعد انتقاله، وأنه لا يريد أن تورث هذه المكتبة مثلها مثل باقي الثروة، وإنما هي هدية لن يشاركه أي من أبنائه أو أحفاده فيها. كانت الجلسة الأرضية في غرفة المكتب هي المكان المفضل لدى الشيخ بهاء وضيوفه. يجلس متكئاً، ناظرًا إلى الكتب ومستنشقا روائح العبقة العتيقة التي تملأ الغرفة ممتزجة برائحة البخور الإيراني والزعفران، ومستحضرا جلوسه في الماضي في نفس الجلسة الأرضية في بيته في طهران.

الشيخ بهاء: إنت فيك إيه متغير يا حبيب؟

ضيف: بتسألني وأنا اللي جاي أسألك؟!

الشيخ بهاء: الله الله! ما دام مش عارف فيك إيه، يبقى مفيش غير حال واحد.

ضيف: حال إيه يا جدي؟

الشيخ بهاء: حال الحيارى!

ضيف: ومين همّ الحيارى؟

الشيخ بهاء: الحيارى همّ الولهانين في الحب. بتحب وباين في عينيك من أول ما بصيتك!

ضيف مستفسرا:

- يعني إيه باين عليّ يا جدي؟! يعني أي حد يشوفني يعرف حالي؟!

الشيخ بهاء بحزم:

- عيب على الرجال. إنت بندر. ما بيانش عليك ولا حد يعرف إيه اللي جواك. أنا بس اللي عارفك

وبابصلك زي ما بابص لنفسي في المراية. مش عاوزني أعرفك من نفسك ونظرة عينيك؟! والله

الواحد الأحد، حتى أبوك ما يعرفك زي ما أنا أعرفك.

أمسك الشيخ بهاء وجه ضيف وابتسم له واستطرد وقال:

- إنت الحبيب. إنت أنا. أنا باشوف نفسي فيك.

أخذ ضيف يد جده وقبّلها بامتنان وقال:

- إنت كبيرنا وعلى راسنا. ربنا يديمك لينا ويرضيك عنا!

الشيخ بهاء: ويديمك يا حبيب القلب. ها، احكي لي، مين هي؟

ضيف: روح.

الشيخ بهاء: اسمها روح، ولأ تقصد إن روحها خدتك؟

ضيف: إنت قلت خلاص يا جدي كل حاجة. هي فعلا اسمها روح وروحها خدتني ومش عارف

أرجع منها!

الشيخ بهاء: يا ولي العشاق يا الله! بنت مين يا ابني وتركية ولأ مننا؟ إوعى تقولي إنجليزية عرفتها

في لندن!

ضيف نافيا:

- لا يا جدي ما تخافش مش إنجليزية، بس هي كمان مش مننا ولا حتى تركية. روح من مصر يا

جدي، وهي فعلا روح مصرية!

لمعت عينا الشيخ بهاء وابتسم:
- الله! مصرية كمان! وعايز ترجع منها؟! مش هترجع و حياة جدك يا غالي. خلاص. المصريات
اللي بيروح فيهم ما بيرجعش!
ضيف: والله عندك حق يا جدي. أنا قابلت وعرفت ستات كثير، لكن زي روح ما شفتش، وما
اعتقدش إني هاشوف.
الشيخ بهاء: ودي قابلتها فين؟ في لندن؟
ضيف: لا يا جدي، هيّ عايشة هنا. دي حتى جارتنا وصاحبة عالية أوي، وكل إخواتي يعرفوها،
وأبويا وأمي كمان بيحبوها أوي.
الشيخ بهاء باستغراب:
- جارتنا؟! والبيت كله يعرفها؟! وإزاي أنا ما اعرفهاش؟!
ضيف: علشان هيّ لسه ساكنة جديد، وحضرتك كنت مشغول في العيد مع العيلة.
الشيخ بهاء: وأديني فضيت. هاشوفها إمتى؟!
ضيف: النهارده.
الشيخ بهاء ضاحكًا:
- دا انت ولهان وهيمان كمان! على طول كده؟!
ضيف: والله لو أقدر دلوقتٍ أوريهالك كنت وريتهالك، بس همّ معزومين على العشا عندنا النهارده.
الشيخ بهاء: هيّ وعيلتها هيتعشوا معانا؟ أبوك ما قاليش إزاي؟!
ضيف: لا يا جدي، دي مش غلطة الشيخ علي خالص، دي غلطة العبد لله. أنا عزمتهم إمبراح
فجأة وما لحقتش أستاذك، علشان كده جيت أقولك دلوقتٍ. معلش سامحني، بس وراسك الموضوع
كله جه فجأة ولقيت إن الأصول إني لازم أعزمهم! تقبل إني ما اعملش الأصول؟
الشيخ بهاء: لا طبعًا. إنت كبير ابن أكابر ولازم تراعي الأصول. من عيلة مين في مصر حبيبتك
يا غالي؟
ضيف: ما اعرفش يا جدي.
الشيخ بهاء: ما تعرفش إزاي؟ فيه حد يتجوز واحدة ما يعرفش أصلها؟!
ضيف ضاحكًا:
- أتجوز إيه يا جدي! مين جاب سيرة الجواز دلوقتٍ؟!
الشيخ بهاء: أمال إنت عازمها وأهلها النهارده ليه؟! مش علشان أتعرف عليهم وأبارك؟!
ضيف: أكيد طبعًا يا جدي أنا أتمنى إنك تبارك، بس الحقيقة العزومة بسبب تاني. وأهل روح
أصلًا متوفيين وهي عايشة لوحدها!
الشيخ بهاء: لوحدها إزاي يا ابني؟!
ضيف: النهارده لما تشوفها هتفهم كل حاجة يا جدي.
الشيخ بهاء: نشوف النهارده ونفهم. حلوة؟
ضيف: أجمل من القمر في ليلة تمامه!
الشيخ بهاء ضاحكًا:
- والله عشت وشفيت اليوم اللي كنت باتمناه. خدتك المصرية خلاص زي ما زمان خدت جدك
مصرية ومش عارف يرجع منها حتى بعد ما شاب وبقى عنده أحفاد بيعشقوا وبهيموا. الله يسعدك

يا غالي!
قَبْلَ ضيف يد جدہ في تبجيل وابتسم وقال:
- ويديمك لينا!

كانت روح في هذه الفترة تتلقى الكثير من مولانا الرومي. كانت تكتب كثيرًا وترسم قليلاً. كانت كثيرة التأمل والتفكير. كانت تتساءل عن حكمة الله في انصرافها عن الرسم في تلك الفترة. فهمت أن الله يريد لها أن تصبح أكثر تعبيرًا عن الجمال الموجود في قلبها بعبارات مقروءة يستطيع كل من يقرأها أن يشعر بها في قلبه بوضوح، على عكس لوحاتها الصامتة التي لا يفهمها سواها. فهمت أن الله يريد لها أن يرببها على الجرأة والتعبير في هذه المرحلة من حياتها. فهمت أن دروس مولانا الرومي، وانجذابها للون الأحمر في ملابسها، وقرطها الياقوت، وحتى ضيف ومشاعره تجاهها وكلماته المقتحمة الجريئة، هي جزء من هذه التربية. كل ذلك لم يكن صدفة. لا توجد صدفة في ملك الله. كل شيء أداة يستعملها الله كسبب للوصول إلى النتيجة وتلقي الدرس. هل الدرس هو أن تتكلم وتعبر عما بداخلها؟ ألا تكون روح التي تنظر فقط إلى نور في صمت، بل تكون خليطًا من الأنثى الجامحة التي تحضر في وجود ضيف، والقديسة المحرمة الملتزمة الصمت والمستسلمة لله في حب نور؟ أتكون نفسها كما خلقها ولا تحجب الجمال وتنتقي منه البعض وتغطي البعض؟ هكذا خلقت، فهل هكذا يجب أن يراها الجميع؟

هل هي أيضًا أداة تُستعمل لتربية نور؟ ربما كان درسه هو الصبر، فهو لم يمر بأي تجارب تتطلب منه الصبر. كل ما سعى إليه في حياته وصل إليه، سواء بالوهدب أو بالكسب. هذه الكأس المرة كان يجب أن يتجرع منها نور، ويتجلى له اسم الله الصبور من خلالها، فالعارف يجب أن يتعرف على الله وأسمائه وصفاته، أسماء الجلال والجمال. أحست بالعلامة الرابعة، وكتبت:

العلامة الرابعة

**قد يستعملك ليربي غيرك على معنى بك.
ليس بالضرورة أن تكون أنت المعنى بالحال
بقدر ما تكون سببًا. كلنا أسباب.**

استقر المعنى في قلبها، وأحست بالكلمات تدخلها في إحدى حالات التجلي. أخرجت دفترًا من خزانتها، ثم فتحت أول صفحة وكتبت فيها العنوان: «درويشة عشق».

ستجمع ما كتبت في قونيا في ديوان كما نصحتها المحكمون ليلة الأمسية الشعرية، والنصوص التي كتبتها كلما عصف بها حب نور وشعرت باحتياج له في الدنيا، وكل المشاعر التي كانت تتزاحم في قلبها وتطيح بها وتغيبها، تمامًا كما يغيب الدراويش عن الدنيا ويصبحون فلا يرون شيئًا في الوجود إلا الله، هي أيضًا كانت تغيب عن كل شيء مثلهم حتى نور. كانت ترى حبها له هو تجلّي لله. وكيف لا وهو الذي دلها على طريق الحب، وعلمها كيف ترى الله في كل شيء، فرأته فيه بجمال. نور هو نور الله. والآن سوف تخرج هذا النور من محبسه ليظهر وينير كما خلقه الله بقوته وجماله بلا حدود، حتى لو كانت الحدود هي قلبها.

خطت روح في الصفحة التالية أول مناجاة كتبتها عند وصولها إلى قونيا وألم الفراق يعترض قلبها:

كما المسيح هواك

حبيبي. كما المسيح هواك. رفعك الله حيًا بداخلي ولم تمت. نعم، أنت حيّ داخل قلبي محل النور. تنبض وتنفس معي لحظة بلحظة ونفسًا بنفس. أحيا بصير أيوب، وحب زليخة، وقوة مريم، وخوف أم موسى، وبكاء يعقوب. نعم، أحيا بهم كلهم، وأحمل عذاباتهم

مجمعة. أتعلم لم؟ لأنني أحبك! ولأن ربي أخبرني أن يومًا ما ستخرج للنور مجددًا ويراك الجميع تمامًا كعودة المسيح إلى الأرض! السلام على حبننا يوم وُلد ويوم يُبعث حيًّا، والذي لن يموت أبدًا. اسكن قليلاً داخل قلبي وانتظر. فقط أعطني عهدًا. عاهدني ألا تكف عن التسبيح، فصاحب الحوت كان مثلك حبيسًا، لم يفك أسرهِ سوى أنه كان من المسبحين. سبح الله كثيرًا، ولا تكف عن الذكر. لا تكف عن قول «لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ».

الاتصالات بين نور وحية لم تنقطع في هذه الفترة الحرجة، ولكنها كانت مكالمات سطحية بشكل كبير. لم يتعمقا في الموضوعات التي اتفقا على تأجيل الحديث فيها حتى تعود حياة إلى القاهرة. وعلى الرغم من انشغال نور بالكتابة والمذاكرة في تلك الفترة، وازدحام المشاعر بداخله ما بين لهيب عشقه لروح وارتباك علاقته بحياة، فإنه كان يرتب كل تلك المشاعر بداخله ولم يكتمها أو ينكرها. كان حين يختلي بنفسه يستدعي روح بداخله، ويعيش كل أحاسيس الحب والاحتياج والحرمان، ويناجيها ويكتب فيها أجمل النورانيات. وحين يحدث حياة يكون الزوج المحب. ووقت تحصيل العلم يكون الطالب الدؤوب. ووقت مباشرة المریدين يكون العالم والشيخ المرابي الذي يلقن كل مرید على قدره. كان أكثر الأطراف تألماً ومعاناة، كان يعلم أن حياة لا ذنب لها في ذلك الحب، ويجب عليه القيام بواجباته كاملة تجاهها من رعاية وحب واهتمام، كما أنه ما زال يحبها حتى لو كان حبه لها يختلف شكلاً وموضوعاً عن حبه لروح.

*

دقت الساعة السابعة في منزل عائلة بندر، ووصل روح وبراء. أحضر براء معه هدية ذات طابع إسلامي، وكانت عبارة عن لوحة خشبية بها سورة «يس» محفورة حفراً يدوياً. قدمها إلى السيدة قسمت التي شكرته كثيراً معربة عن أن وجوده بينهم هو أجمل هدية، ولكن براء أخبرها أنه يحب أن يترك ذكرى منه في منزلهم حتى يتذكروه دائماً، وأنه وجد أن أجمل ذكرى هي سورة «يس» التي وصفها سيد الخلق بأنها قلب القرآن، وما وجد هدية أجمل. كان براء يقول ذلك ملمحاً لعالية أنه ترك قلبه وقلبها في حراسة قلب القرآن «يس». سلم براء على الأخوات، وانحنى مقبلاً يد السيد علي بندر وعرفه بنفسه.

طلب براء من روح أن ترتدي نفس الفستان الأحمر الذي ارتدته في الليلة السابقة عندما ذهبوا للاحتفال بذكرى انتقال مولانا الرومي. قال لها إنه يريد أن يرجع إلى القاهرة ومظهرها وهينتها بهذا الفستان يعلقان برأسه، كي يظل متذكراً إياها في صورة جميلة، براقية، جامحة، وجريئة لا يقلق عليها ولا ينشغل باله بها. أبت روح لبراء رغبته، فبدت بين عائلة بندر كزهرة تيوليب، رشيقة بلون النبيذ، يعود أخضر حي ليس به شوكة واحدة. هكذا بدت، وهكذا شعر ضيف تجاهها. كان يريد أن يقطف زهرة التيوليب الجميلة بسرعة، قبل أن يدركها غيره ويقطفها.

سلمت روح على السيدة قسمت وقبّلت يدها، وقبّلت يد السيد علي وسلمت على البنات. وما إن رفعت عينيها حتى رأت رجلاً بهي الطلعة نوره يسبقه، كانت لحيته البيضاء تلمع في عينيها مثل جدائل فضة براقية، وعيناه الثاقبتان كانتا ترمقانهما من بعيد بنظرة كنظرة الأسود، نظرة واثقة متألمة فاحصة في هدوء وثبات.

وقفت مكانها تنتظر إليه في إعجاب، كأنه لا يوجد حولها أي من أفراد الأسرة. هو أيضاً كان لا يرى أحداً سواها. كان ضيف ينظر إليهما وينتظر أن تنتهي نظرة جده المتفحصة فيقترب أو تقترب روح منه.

اقترب الشيخ بهاء بندر بخطى ثابتة في اتجاه روح، ووقف أمامها ينظر إلى عينيها عن قرب. انحنى روح لتقبل يد الشيخ بهاء ذي اللحية الفضية، ورفعت رأسها لتتنظر في عينيها الزرقاوين

وهي تبتسم لتجاويد وجهه الجميل. احتضن الشيخ وجه روح الضئيل بين كفيه الكبيرتين وهو ينظر في عينيها بحب، وحدث ضيف بالفارسية.
الشيخ بهاء: كنت أعتقد أنني صنعت منك صانع مجوهرات ماهراً، ولكن يبدو أنك لم تستوعب أهم الدروس التي لقيتها لك في مهنتنا ولا في الحياة!
ضيف: أنا؟! أنا لم أستوعب دروسك لي؟! وأنت الذي تقول لي دائماً إنني أمهر صانع مجوهرات، وإنني أصبحت أمهر منك؟!
الشيخ بهاء: نعم. ما كنت أتصور أن تترك ياقوتة مثل التي بين يديّ دون أن تخطفها سريعاً لنفسك!

كانت عينا روح تتحركان زائغتين بين الشيخ بهاء وضيف، وهي تستمع إلى كلامهما بالفارسية ولا تفهم حرفاً مما يقولان، ولكنها كانت على يقين أن الشيخ بهاء يتحدث عنها. كان وجهها مكسوراً بحمرة الخجل، والشيخ الكبير ممسك بوجهها ولا يتركه، ويتحدث إلى ضيف وهو ينظر في عينيها كأنه يمارس عمله ويتفحص جوهرة نادرة ويتأكد من جمالها ونقاؤها وخلوها من الشوائب. جذب الشيخ بهاء رأس روح إليه برقة، وقبّل جبينها، وربت على خدها الأيمن ذي الغمازة الواحدة، مبتسماً لها بحب وحنان.

روح: ضيف ممكن تقول لجدك إنني حبيته أوي؟
ضيف: هوّ ممكن طبعاً أقوله، بس لو قلتيله إنت هيتبسط أكثر!
روح: بس أنا ما باعرفش أتكلم فارسي!
الشيخ بهاء: بس أنا باتكلم عربي.
روح باستغراب:
- معقولة حضرتك بنتكلم عربي؟!
الشيخ بهاء يضحك لاستغراب روح:
- أنا دارس شريعة في الأزهر في مصر، وباقرأ القرآن بقراءات مختلفة وكنت باعلمها في طهران زمان، يبقى إزاي مش هاتكلم عربي؟!
روح: الله! ده حضرتك بنتكلم عربي واضح!
الشيخ بهاء: طبعاً. أنا مفيش ست سمعتني باتكلم عربي إلا وحبنتي!
ابتسمت روح لخفة ظل الشيخ وقالت:
- بس أنا حبيتك لما سمعتك بنتكلم فارسي!
الشيخ ممازحاً روح:
- علشان إنت غير كل البنات والستات!
ابتسمت روح للشيخ، وانحنت وقبّلت يده ثانية، وقالت وهي ما زالت ممسكة بيده:
- أنا حبيتك أوي! تسملي أقعد معاك شوية، ولأ فيه حد هيغير عليك لو قعدنا مع بعض لوحدنا؟!
الشيخ بهاء: يا ضيف، أنا عايز أقعد مع الياقوتة دي وبس، مش عايز دوشة!
ضيف: عيوني يا جدي.
اصطحب الشيخ بهاء روح إلى غرفة المكتب قائلاً:
- تعالي يا ياقوتة.

رأى الشيخ بهاء روح كما يراها نور. رأى النور فيها. هي أيضاً رأت النور فيه. علمت منذ وقعت عيناها عليه أنه ولي من أولياء الله المخفيين. رأت هالته النورانية كما كانت ترى هالة نور. كم اشتاقت لرؤية تلك الهالة وصاحبها. تحدثنا طويلاً. ما يقرب من الساعة من الحديث المتواصل من دون انقطاع. سألتها عن سبب وجودها في قونيا وعن أهلها، وعرف عنها كل ما كان يريد أن يعرف، هو أيضاً أخبرها بالكثير من الحكايات عن نفسه. كانا يتحدثان كثيراً وكان كلاً منهما كان يبحث عن الآخر. سألتها عن حال مصر والمصريين. أخبرها كيف أنه يفتقد زيارته إلى مولانا الحسين. دمعت عيناه وبكى وهو ينطق اسمه. أخبرها كيف كان يقضي الساعات منتقلاً بين مقامات أولياء الله الصالحين في المقطم، ولا يشعر بمرور الوقت إلا عندما يخيم الليل عليه فيعود حزيناً إلى بيته في جاردن سيتي، حزيناً على فراق الأحبة وعدم قضاء المزيد من الوقت معهم. كانت روح تنصت إليه باستمتاع كأنها ترتوي بعد فرقتها لأحبائها من آل البيت وأولياء الله الصالحين. كان يحكي ويحرك بداخلها ذكريات اصطحاب نور لها في تلك الزيارات في المقطم. كيف كانت تزور معه مسجد ومقام سيدنا ابن عطاء الله السكندري وخلوة السيدة نفيسة ومسجد ومقامات السادة الوفائية.

قاطع خيالها الشيخ بهاء وهي هائمة تسترجع ذكرياتها مع نور وإحساسها بحضرة أولياء الله الصالحين في قلبها، قاطعها قائلاً:

- إنتِ عارفة حاجة يا نور...

تجمدت روح في مجلسها، ودق قلبها سريعاً من نداء الشيخ بهاء لها، كأنها خشيت أن يكون قد قرأ أفكارها أو ربما رآها. نعم هذا هو ما قفز إلى رأسها فوراً، أن نور كان حاضرًا معها بروحه والشيخ بهاء رآه فيها.

قالت بارتباك:

- نعم سيدي. هوّ حضرتك قتلتي يا نور؟!

الشيخ بهاء: أيوه، أنا ناديتك بنور.

روح: ليه سيدي؟ حضرتك عارف إن أنا اسمي روح مش كده؟!

الشيخ بهاء: عارف. بس إنتِ نور من النور، إنتِ نور الروح!

أمسكت روح يد الشيخ بهاء وقبّلتها بامتنان، وقالت له وعيناها تلمعان:

- هوّ أنا إزاي حبيتك أوي كده يا سيدي من أول نظرة زي ما بيقولوا في الأفلام؟!

ابتسم الشيخ بهاء لروح بدفء، وربت على رأسها مداعباً خصلات شعرها قائلاً:

- وهوّ إنتِ تعرفي ما تحبيش؟! دا إنتِ كلك على بعضك حب في حب!

ابتسمت روح للشيخ بهاء وقالت له:

- كنت عايز تقولي حاجة سيدي؟

الشيخ بهاء: كنت عايز أحكيك على كرامة لسيدي ابن الفارض، حصلت معايا أيام ما كنت بادرس في مصر.

روح بشغف:

- الله! احك سيدي. سامعاك.

الشيخ بهاء: أنا كنت عايش في مصر وبادرس، وكل حياتي في مصر، حتى أجازاتي كنت أروح طهران تخاطيف وأرجع القاهرة جري. ما كنتش أقدر أبعد عن القاهرة. أبعد إزاي وأنا كنت

باسيب قلبي فيها وأنا مسافر. أول ما أبعد عن شيخي وحببتي كنت أحس إن روعي مفارقاني!
روح برقة:

- شيخك؟ هو إنتم كان لكم شيخ في مصر سيدي؟
قال الشيخ بهاء:

- فضل ونعمة. كان سيدي وتاج راسي. وهي كمان كانت سيدتي وتاج راسي. ما كانش حب، لا طبعًا مش حب. كان عشق. الحب ده للعوام. أما العشق فده للقلوب اللي الودود اختارها للنعمة. نعمة دوقتها ولسه عايش عليها لغاية دلوقت. كنت باحبها وهي سايقة الدلال عليّ. شوية أقول بتحبني وشوية أقول ولا حاسة بيّ. كنت بانقلب على جمر النار في حبها. كل ما كنت أحتار في حبها ويبقى منتهى أمني منها نظرة رضا بس، أخذ بعضي وأروح أزور سيدي ابن الفارض، سلطان العاشقين. كنت أشكليه اللي في قلبي، وأحكليه عن حبي، وأدعي ربنا يجمعني بيها، ويبرد قلبي بنظرة رضا أفهم منها أنا مقامي فين في قلبها. ومرّة كنت تعبان أوي، وكنت مسافر بعد يومين طهران ومش قادر أستحمل إنني أسافر وأبعد عنها، دعيت كثير: يا رب ارحمني مش قادر أبعد عنها، يا رب ترد عليّ وأبلغ منايا، يا رب هيّ دي مش غيرها، مش عايز غيرها، اوهبالي يا رب زي ما وهبت لعبدك زكريا غلامًا زكيًا، يا رب اسمع ندايا كما سمعت نداء عبدك زكريا، بحق كهيعص، يا كبير هادي يجير ولا يجار عليه، اوهبالي يا كريم، اوهبالي يا وهاب، اوهبالي يا جواد. كنت بادعي كأني غايب عن حالي. فجأة سمعت جوايا صوت بينظم:

وَلَقَدْ أَقُولُ لِمَنْ تَحَرَّشَ بِالهُوَى	عَرَّضْتَ نَفْسَكَ لِلْبِلَا فَاسْتَهْدَفِ
أَنْتَ الْقَتِيلُ بِأَيِّ مَنْ أَحَبَبْتَهُ	فَاخْتَرِ لِنَفْسِكَ فِي الْهُوَى مَنْ تَصْطَفِي

روح: الله! ما شاء الله! قلبي يحدثني بأنك متلفي.

الشيخ بهاء: الله يفتح عليك. مولانا بشرني بأبيات من أجمل ما قال وكتب.

روح: فين البشارة سيدي؟

الشيخ بهاء: اختر لنفسك في الهوى من تصطفي.

روح: واخترت؟

الشيخ بهاء: هو أنا بايدي حيلة أختار ولأ ما اختارش! مولانا كان بيشرني إن اللي هاختره هيبقى من نصيبي. يعني أنا بس أحب وهيّ هتبقى حببتي!

روح: وحصل؟

الشيخ بهاء: طبعًا حصل بأمر الله، واستجاب تمام زي ما استجاب لسيدنا زكريا. خرجت من المقام ورحت على البيت أحضر شنطة السفر، لقيتها واقفة على باب العمارة!

روح باستغراب شديد:

- إزاي؟!!

الشيخ بهاء: والله ما أعرف إزاي لغاية دلوقت! غير إن ربي قال كن فيكون. لقيتها قصادي ما صدقتش عينيّ. وقفت دقيقة متسمر في مكاني افتكرت إن بيتهياي. دعكت عينيّ وقربت منها علشان أتأكد إنها حقيقة مش خيال. ما صدقتش غير لما نادتنني باسمي.

روح: وبعدين سيدي؟!!

الشيخ بهاء: وبعدين سيدتي طلعت هيّ كمان بتحبني، وكانت خايفة تعلق روحها بشاب إيراني غني، أهله أكيد هيبقوا عاوزين يجوزوه من بنت فارسية زيه، فكانت بتبعد علشان ما تحبنيش زيادة وتتوجع لما أرجع بلدي وما تشوفنيش!
روح: وإنّ قتلها إيه؟

الشيخ بهاء: أنا خدت إيدها بوستها، وقتلتها أرجوك قربي وحبيني زيادة، واتعلق بيّ وما تسيبنيش، أنا ما اقدرش على بُعدك. قالتلي يعني إنت بتحبني زي ما باحبك؟ قتلها لا طبعًا، أنا مش باحبك خالص، ولا أد ما بتحبيني ولا أقل. لمحت في عينيها استغراب. قتلها أنا باعشقتك عشق لما تعرفي توصلي لمقام العشق هتعرفي أنا فين وإنّ فين! ضحكت، وضحكتلي أيامي، وعشت معاها أجمل سنين عمري!
روح: وإيه اللي حصل بعد كده؟

الشيخ بهاء: اللي بيحصل في كل البيوت. عريس اتقدم لها وأبوها أعطاه كلمة والبنات ملهاش حق تتكلم. اتجوزت قصاد عيني وما قدرتش أعمل حاجة!
روح: معلش سيدي! بس ربنا استجاب ووهبها لك زي ما طلبت ودقت الحب معاها. صح؟
الشيخ بهاء: صح يا نور. استجاب ووهبها لي وفرحني، لكن نصيبي كان مع أم أولادي. ودلوقت بعد العمر والسنين ما مرت فهمت حكمة ربنا إنها مش من نصيبي ولا أولادي كانوا منها.
روح: إيه الحكمة سيدي؟

الشيخ بهاء: لو كنت اتجوزتها كنت أكيد هانفلها كل طلباتها لأنها كانت عشقي. يعني أول حاجة كنا هنعيش في مصر علشان أهلها، وأكيد أولادي كانوا هيتطبعوا بالطباع والعادات المصرية، وده في حد ذاته مش عيب، بالعكس مصر دي بتجري في دمي، بس بعد الثورة الإسلامية في إيران وظروف حياتنا بعيد عن بلدنا ومسؤولية اسم العيلة وعاداتنا وتقاليدنا اللي كان لازم أحافظ عليها لآخر حفيد، كل ده كان هيبقى صعب أحس بقيمته وأتحمّل مسؤوليته وأنا قلبي مشغول بيها وبسعادتها واللي يرضيها. كان اسم بندر اندثر زي حاجات كثير ما اندثرت من تاريخنا وانتست. كان لازم أتجوز إيرانية تساعدني على المسؤولية الكبيرة دي، وتكون هيّ كمان حاسة بأهميتها، والحب اللي يربط بينا حب مع عقل مش عشق وبس أيد في القلب.
ابتسمت روح وربنت على يد الشيخ بهاء:
- رحمن رحيم!

الشيخ بهاء: كبير عالي.
هنا دق ضيف الباب مستأذنًا بالدخول:
- ها يا جدي، تحب ناكل دلوقتٍ ولّا نستنى شوية؟
الشيخ بهاء: تاكلي دلوقتٍ يا نور ولّا إيه؟
روح: اللي تشوفه سيدي.

الشيخ بهاء: أنا الحكايات جوعتني وريحة الأكل فاحت. يلاً ناكل.
كان ضيف ينظر إلى جده وهو يتحدث إلى روح، وكله إعجاب بالتفاهم الواضح بينهما.
عبر الشيخ بهاء باب المكتب خارجًا منه وروح خلفه. همس ضيف لروح مستفسرًا عن سر اسم نور الذي ناداها به جده، فابتسمت له مشيرة إلى شفيتها كإشارة إلى عدم الكلام، وموحية له أن ذلك الاسم من جده.

*

جلس الجميع يتناولون طعام السيدة قسمت الشهي، ويتجادبون أطراف الحديث. كان براء متحدثاً لبقاً، ولديه الكثير من الحكايات عن مصر وعن جولاته الغنائية في البلدان المختلفة. كان الجميع بمن فيهم عالية ينصتون باهتمام وانجذاب لشخصية براء. كانت عالية تدعو الله بقلبها أن يُنزل محبته في قلوب أفراد أسرتها كما أنزل حبه في قلبها، لعل وعسى تشفع تلك المحبة لهما، وتكون سبباً لقبوله زوجاً لها في يوم من الأيام.

قاطع الشيخ بهاء حكايات براء سائلاً:

- إنت بتتشد كويس؟

سكت الجميع، وتفاجأ براء من السؤال، ولكنه أجاب بأدب جم:

- شيخنا يأذن لي أنشد بعد العشاء، ويكون لي الشرف أعرف رأي حضرتكم في إنشادي؟

هز الشيخ بهاء رأسه وقال:

- نسمع إن شاء الله.

كان قلب عالية يخفق بشدة خوفاً من ألا يُطرب صوت براء جدها، وتكون تلك هي الطامة الكبرى لحبهم.

توجه الجميع إلى غرفة الجلوس بعد العشاء لتناول الحلوى وشرب الشاي.

وجه الشيخ بهاء سؤالاً مرة أخرى إلى براء:

- تعرف تنشد حاجة لمولانا السلطان؟

براء: مولانا ابن الفارض؟ سلطان العاشقين؟ طبعاً شيخنا. تحب تسمع إيه؟

الشيخ بهاء: قلبي يحدثني بأنك متلفي.

بلغ براء ريقه من المفاجأة. اختار الشيخ قصيدة من أطول القصائد وأصعبها. لم يكن براء معتاداً على إنشادها في حفلاته كما كان معتاداً على القصائد الأخرى.

شعرت روح بقلق براء، كانت تعلم أن القصيدة طويلة، ومن المستحيل أن يتذكرها كاملة، وهو ليس معتاداً على إنشادها. اقتربت بهدوء من الشيخ بهاء وسألته بذكاء:

- تحب سيدي تسمع أبياتاً معينة من القصيدة؟

ابتسم الشيخ بهاء لروح وأجابها:

- إنت عارفة أي أبيات تشجيني.

ربتت روح على يدي الشيخ، واتجهت إلى براء بالحديث:

- أنا عندي القصيدة كلها على الموبايل.

أخرجت الموبايل بذكاء، وأشارت له على الأبيات التي أخبرها الشيخ بهاء أنه سمعها عند مقام مولانا ابن الفارض. أخذ براء الموبايل، وقرأ الأبيات سريعاً وتذكرها جيداً. نظرت روح إلى عالية نظرة مطمئنة ومؤكدة على أن كل شيء تحت السيطرة، وعليها ألا تقلق. ابتسمت عالية لروح ونظرت إلى براء، كما كان الجميع ينظر إليه وينتظر إنشاده.

أخذ براء نفساً عميقاً وأخرجه ببطء، وأخرج معه كل توتر بداخله. استدعى حالته عندما ينشد، وإحساسه بالكلمات، وقال:

- بسم الله الرحمن الرحيم. اللهم صلِّ صلاةً كاملة، وسلِّم سلاماً تاماً على سيدنا محمد، النبي الذي تتحل به العُقد، وتتفرج به الكُرب، وتُقضى به الحوائج، وتُنال به الرغائب وحسن الخواتيم،

ويُستسقى الغمام بوجهه الكريم، وعلى آله وصحبه في كل لحظة ونفس، عدد كل معلوم لك يا الله، يا حي، يا قيوم. توكلنا على الله.

لو أن روعي في يدي ووهبتها	لمبشري بقدمكم، لم أنصف
لا تحسبوني في الهوى مُتصنِّعًا	كافي بكم خلقٌ بغير تكلف
أخفيتُ حبَّكم فأخفاني أسي	حتى، لعمري، كِدْتُ عني أخفي
وكتمته عني، فلو أبديته	لو جدته أخفى من اللطف الخفي
ولقد أقولُ لمن تحرَّشَ بالهوى	عرَّضتَ نفسك للبلا فاستهدف
أنتَ القتلُ بأي من أحببته	فاختر لنفسك في الهوى من تصفي
قل للعذولِ أطلت لومي طامعًا	أن الملام عن الهوى مستوقي
دع عنك تعنيفي ودق طعم الهوى	فاذا عشقت فبعد ذلك عتف

تغنى براء بثقة وجمال. كان صوته يعلو في منزل آل بندر داعيًا الملائكة من كل حذب وصوب. كان يشدو معلنًا أن هذا المكان يُتغنى فيه الآن بحب الله، فأقبلوا يا ملائكة الرحمن استمعوا وباركوا حضورنا واشهدوه.

وعندما أنهاها صفق له الجميع بحرارة، ولكن الشيخ بهاء كان متكئًا على عصاه مغمض العينين، ولم يصفق ولم يعلق. انتظر حتى سكت الجميع، وقال بصوت واضح:
- الله!

تنفس براء الصعداء، وتنفست معه عالية وروح بارتيح.

استطرد الشيخ بهاء موجهًا كلامه إلى براء:

- الله يفتح عليك يا ابني! سمعني بقى على ذوقك. أنا النهارده عايز أسمعك لغاية ما أنام. أدخل أنام وصوتك في ودني. سامع؟
ابتسم براء:

- حضرتك تؤمرني سيدي.

قام براء وقبَّل يد الشيخ بهاء والسيد علي، ثم جلس مكانه يختلس النظر إلى عالية قبل أن يبدأ مرة أخرى في الإنشاد. وقضى براء الليلة لا يريد أن يكف عن الإنشاد من السعادة. أنشد للحلاج، وابن الفارض، والسهورودي، ورابعة العدوية، وأنهى وصلته بأبي الحسن الششتري، ناظرًا إلى عالية كأنه ينشدها لها:

سَلَبْتُ لَيْلِي مَنِ الْعَقْلَ	قُلْتُ يَا لَيْلِي أَرْحَمِي الْقَتْلَى
حُبُّهَا مَكْنُونٌ فِي الْحَشَا مَخْزُونٌ	أَيُّهَا الْمَفْتُونُ هُمْ بِهَا دُلَا
إِنِّي هَائِمٌ وَلَهَا خَادِمٌ	أَيُّهَا اللَّائِمُ خَلْنِي مَهَلَا
لَزِمْتُ الْأَعْتَابَ وَطَرَقْتُ الْبَابَ	قُلْتُ لِلْبَوَابِ هَلْ تَرَى وَصَلَا
قَالَ لِي يَا صَاحِ مَهْرُهَا الْأُرُوحُ	كَمْ مُحَبِّ رَاحَ يَعْشَقُ الْقَتْلَى
أَيُّهَا الْعَاشِقُ إِنْ تَكُنْ صَادِقٌ	لِلسُوى فَارِقِ تَعَنَّيْمِ وَصَلَا

وقف الشيخ بهاء بعد انتهاء براء، ووقف الجميع احترامًا، ثم تقدم في اتجاه براء ووقف أمامه وربت على كتفه وابتسم وقال:

- أحسنت يا ابني!

انحنى براء وقبّل يد الشيخ بهاء وقال:

- الحمد لله أن محاولتنا للإنشاد حازت إعجابكم سيدي!

الشيخ بهاء: عجبنتني جدًّا لدرجة إنني عايز أدخل وأنا في الحال ده. ادعيلي أشوفه النهارده!

براء: مين سيدي؟

الشيخ بهاء بعينين دامعتين:

- الحبيب. حبيبي وسيدي سيدنا النبي صلى الله عليه وسلم!

ردد الجميع:

- عليه الصلاة والسلام.

براء: أنا أدعو لكم سيدي! دا إحنا نتبارك بنظرة منكم!

ابتسم الشيخ لبراء وقال:

- لله رجال إذا أرادوا أراد.

براء: ربنا يجعلنا منهم سيدي.

ربت الشيخ بهاء على كتف براء مبتسمًا وقال:

- بإذن الله منهم، جاي قونيا تاني إمتي؟

براء: الله أعلم سيدي، بس ما افتكرش قريب.

التفت الشيخ بهاء لضيف وقال:

- عايز أسمع براء في فرح شاهيناز. مفهوم؟

ضيف: مفهوم يا جدي!

نظر الشيخ بهاء إلى روح، وأشار لها أن تأتي إليه.

أنت روح مبتسمة، ووقفت تنظر في عيني الشيخ الكبير، وقالت:

- أوامرني سيدي!

الشيخ بهاء: بس كده. أنا كنت عايز أبص في عينيك قبل ما أدخل خلوتي يا نور!

قبّل رأسها، ومسح على شعرها، وقبّلت هي يده ومضى إلى غرفته.

استأذن براء بالانصراف من السيد علي والسيدة قسمت وضيف، شاكرًا إياهم، وشاكرًا البنات على

المجهود الكبير والطعام الطيب. وكذلك شكرت روح الجميع، وسلمت بحرارة على السيدة قسمت

والبنات امتنانًا لإكرامهم ضيفها، ولإشعارها دائمًا أنها ليست وحيدة في قونيا، وأنهم بالفعل أسرة

لها.

عادت روح وبراء إلى منزل روح وهما في حالة من حالات الارتقاء الروحي بسبب إنشاد براء، وتأججت مشاعر الحب بداخل كل منهما تجاه حبيبه. كان وجود عالية أمام براء طوال السهرة وإحساسه بأنه لا يستطيع الاقتراب منها وأنه بمجرد انقضاء الليل لن يراها ولا يعرف متى سيراه، له تأثير عليه، فلم يستطع أن يكون على طبيعته المرححة المعتادة، وغلفه إحساس الفقد لعالية بغلاف الشجن الذي لم يكن معتاداً عليه. كانت روح تشعر به، وتعلم ما يمر به في هذه الأثناء، فارتباطها به ليس ارتباطاً عادياً. تركته يختلي بنفسه قليلاً، ثم قرعت الباب واستأذنت في الدخول عليه. جلست أمامه وأمسكت يده وابتسمت له وهي دامعة العينين، وقالت: - الحب ما بيوجعش. الفراق هوّ اللي بيوجع. واللي بيحب زيك وزى عالية مفيش بينه وبين حبيبه فراق. تمام زي مولانا الرومي ما بيقول. الفراق للي بيحب بعينه، لكن اللي بيحب بقلبه وروحه مفيش بينه وبين حبيبه انفصال.

براء: أيوه، بس مولانا بيتكلم عن حب ربنا مش حب النبي آدمين!
روح: بالظبط يا حبيبي. إذا كان حبنا لربنا اللي هو أكبر حب وأسمى حب مفيش فيه انفصال ولا بُعد عنه غير لما إحنا بننشغل عنه ونحجب نفسنا عن وجوده معنا واحنا ما شفنا هوش بعيوننا، يبقى ما نقدرش نوصل لده مع النبي آدمين، اللي حبه مهم كبير ومهما كان جميل، مش ممكن يبقى زي حب الإله؟ أكيد تقدر.

براء: إزاي يا روح؟ اللي بتقوليه ده صعب أوي!

روح مبتسمة:

- أوي. أنا عارفة إنه صعب. بس عارف إنت تقدر تعمل حاجة حلوة أوي. أنا هاعلمها لك. سحبت يدها من يده، ووضعت يدها اليمنى على قلبها، وأغمضت عينيها لحظة، وقالت بصوت منخفض وهادي:

- اعمل زيي. غمض عينيك وافتكرو وش عالية، عينيها، ريحتها، ضحكتها، صوتها. افتكرو أوي وحس بيها معاك. حس بقلبك بيبقى عامل إزاي وإنتو بتتكلمو مع بعض. فكر جسمك بوجودك معاها. فكر كل حاجة فيك بيها. دلوقت إنت معاها. روحك معاها وروحها معاك. قولها باحبك وحشتيني. أي حاجة تخطر على قلبك وتحس إنك عايز تقولها قولها بقلبك، وبعدين اسكت لحظة هتحس إن هيّ كمان بترد عليك. هتحس بردها في قلبك. افضل كده لغاية ما تحس إنك ما بقاش بيجيلك أي كلام في قلبك تقوله، ولا بيجيلك منها رد. ساعتها فتح عينيك وارجع لحياتك عادي، وكل ما توحشك اعمل كده. تعرف؟

براء: الكلام ده بجد يا روح؟ هاحس بيها معايا؟

روح: بجد يا حبيب روح. أنا عمري قلناك حاجة وما حصلتش؟

براء: لا. بس أعمل إيه لما توحش عيني. لما أحس إني عاوزها بجد؟

روح: تقول يا رب.

براء: يا رب.

روح: إنت عارف يا براء أنا حاسة بايه؟ أنا حاسة ومتأكدة إن إنت وعالية هتتجوزوا، وقريب كمان.

براء: بجد يا روح؟ حاسة بكده؟
روح: أنا مش حاسة، أنا متأكدة. قلبي بيقلبي هالبسها الطرحة بإيدي، وأنا قلبي ما بيكدبش!
ابتسم براء ابتسامة عريضة وقال:
- مدد يا سنتنا يا أم قلب أخضر!
ابتسمت روح وقالت:

- مدد بلا عدد يا حبيب القلب الأخضر. يلاً نام وإنت مبسوط كده، وما تنساش تدعي لسيدي بهاء زي ما قالك، وتدعيلي أنا كمان أشوف حبيبي سيدنا النبي.
براء: اللهم صلِّ على سيدنا محمد، السابق للخلق نوره، ورحمة للعالمين ظهوره، عدد من مضى من خلقك ومن بقي، ومن سعد منهم ومن شقي، صلاةً تستغرق العد وتحيط بالحد، صلاةً لا غاية لها ولا منتهى ولا انقضاء، صلاةً دائمةً بدوامك، وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا مثل ذلك.
روح: آمين.

*

انقضت الليلة على العاشقين ثقيلة: عالية تفكر في مصير هذا الحب، وبراء يستدعي الذكريات، وروح أيضًا استدعت كل مشاعر الألم بداخلها على فراق نور في الليلة الأخيرة لها في القاهرة، عندما جاءها الأمر بالهجر في الرؤيا. تذكرتها كاملة. كان قلبها وروحها بعد هذه السهرة الروحانية مثل المغناطيس، يجتذب كل المشاعر المتأججة حولها وبداخلها حتى لو كانت في حالة من السكون. شعرت هي أيضًا أنها تريد أن تختلي بنفسها وربها، تمامًا مثل الشيخ بهاء. وقفت تصلي بجانب شباكها الواسع المطل على الحديقة الخلفية والشارع الكبير، كأنها تصلي في الفضاء الواسع، وتحت السماء الصافية التي تزينها النجوم، ويضيئها القمر. صلت ركعة بعد ركعة، لا تعرف كم صلت ولا تعد. صلت حتى شعرت أنها تريد أن تخاطب ربها بلسانها وبكلماتها التي اعتادت أن تخاطبه بها دائمًا.

كانت روح تبحث عن حبيبها في كل شيء: في السماء والسحب التي تزينها، في القمر، في خضار الأشجار، في عيون البشر، وأصوات الحيوانات، في الموسيقى التي تسمعها، وفي جمال الكلمات، في الكتب التي تقرأها وفي الأشعار التي تكتبها، وعندما ترسم كانت ترى الله في الألوان والخطوط والرسوم، كانت تراه في نور أو ترى نورًا من نوره. كل محب يحترق في حبه لمحبيه، ولا يعلم لماذا أحب حبيبه دون غيره، ولكن روح كانت المحبة الوحيدة التي تعلم سبب حبها لحبيبها. أحبته لأنها رأت الله فيه. رأت فيه نور الله وجماله. لقد سماه الله نور وهو بالفعل نور.

نظرت من شباكها إلى القمر بدرًا وأطالت النظر. حدثت القمر وهي مبتسمة له قائلة: «والله إنه مثلك جميل، منير، مكتمل، وأيضًا بعيد. إنه مثلك تمامًا. إنه من الأفلين. لييتني أقوى على قول أبي إبراهيم. لييتني أستطيع أن أقول إني لا أحب الأفلين. ولكنه حبيبي حتى لو كان سيد الأفلين. إنه مأمور. إنه مثل كل آيات ربي المطيعة، مثل الشمس والقمر المأمورين بالأفول. هذا قدره، أن يظل أقلًا ليالي وأيامًا وشهورًا وربما سنين. لا يعلم متى سيظهر مثلهم بوضوح. متى سينير سمائي بوضوح، كما ينير قلبي بكل وضوح. متى يأتي الأمر بالانتهاء عن التواري عن الأنظار والظهور؟».

أغمضت عينيها، ووضعت يدها اليمنى على قلبها كما علمت براء، واستحضرت روح نور بداخلها، وحدثته بقلبها وقالت: «أرى وجهك في القمر وأقبله كل ليلة. البدر مثلك يا حبيبي ولكن

به نقصان، يكتمل ليالي معدودة وينقص ليالي طوَالاً. أما أنت يا نوري وبدري فمكتمل، نورك دائماً في ازدياد، تماماً كحبي لك، دائماً بدر في ليالي التمام. كلما نظرت إلى القمر ورأيت تلك النجمة الصغيرة تلمع بجواره فتذكرني، وادع لي الله أن أقترب منك يا بدري، فأنا أحسدها على قربها من القمر وأنا بعيدة عن قمري يا بدر التمام».

شعرت روح بالرد في قلبها تماماً كما أخبرت براء، أحست بكلمات نور. كان يقول: «حبك مثل الشمس والقمر حبيبتني. يحرق قلبي كشعاع الشمس. مكتمل طول اليوم والسنة. يحنو عليّ برقة مثل البدر فقط ليلة واحدة، ليلة التمام. فهل لك أن تظلي بدرًا طوال الشهر من أجلي؟ نار حبك لا تهدأ إلا برويتك بالعين. تلك هي ليالي التمام. أدعو الله أن يغير مسار الكون من أجلي. فأنا أطمع أن يكون البدر دائم التمام طوال الشهر بدون نقصان، أو أن أقترب من الشمس ولا أحترق بالنار، أو لا أتيه في عشقك متألاً بنار حبك المقترن بالفراق».

تذكرت روح براء عندما سألتها وماذا يفعل عندما يشعر برغبة في رؤية عالية حقيقة لا خيالاً. أحست بكلمته فعلاً. أحست أن عينيها تريدان أن تريا نور، وتذكرت ردها له عندما قالت له: «قول يا رب». سجدت والدموع تملأ عينيها، وهمست لربها قائلة: «ربي إنك تعلم أنني ما تركته إلا تقوى لك، وما أحببته إلا حباً فيك، وما رأيت فيه إلا أنت يا الله. ربي حاشاني أن أطلب ما لم تكتبه لي، ولكنني أطلب أن تبصرني بما كتبت عليّ، أو أن تجعل لي من عذابي في حبه مخرجاً، فأنت القائل: ومن يتق الله يجعل له مخرجاً. إلهي ومولاي إن كان مقدرًا عليّ العذاب في حبه، فأخرجني من حبه مخرج صدق، وإن كان مقدرًا عليّ الصبر في حبه إلى أن تأذن لقلبي بالفرج، فأدخلني في رحمتك مدخل صدق، واجعل لي من لذنك ولياً رحيماً».

*

شعر نور بذبذبات روح تلفه. شعر بها حوله، وشعر بوجودها بقوة. شعر كأنها أيقظته من نومه. فهم أن روح تناجيه وتشعر بالاحتياج إليه في هذا الوقت. استيقظ وجلس في هدوء، واستحضر روحها بداخله، تماماً كما استحضرت روحه بداخلها. أحس بكلماتها وشعر بقبض في صدره. علم أن روح كانت تبكي وتتألم. تمنى أن يكون بجانبها، وأن تحل بهما رحمة الله ويراهما مجدداً، ربما وجودهما بالقرب من بعضهما يخفف عليها ما هي فيه الآن.

توضاً نور، وصلى الله، كما اعتاد كل ليلة أن يقيم الليل ويقرأ القرآن. كان يقرأ سورة القصص. قرأ قول الله تعالى: «إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَأْدُكَ إِلَيَّ مَعَادِ قُلِّ رَبِّي أَعْلَمُ مَنْ جَاءَ بِالْهُدَىٰ وَمَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ». شعر نور ببسط وراحة في صدره، ابتسم وأحس ببشارة من الله في تلك الآية. أحس أن الله يطمئنه أنه سيرد روح له أو يرده لروحه. أحس أنه سيرى روح، وستهدأ عذابات العاشقين باللقاء. ولكن متى يكون اللقاء؟ كيف يكون اللقاء؟ تلك أسئلة لم يكن لشخص مثل نور أن يفكر بها ويسألها الله. كان يقينه وتسليمه أعلى كثيراً من أن يناقش الله في قدره، ولكنه فهم الرسالة، وفرح بالبشارة، وتمنى أن تكون روح أيضاً قد تلقت بشارة لتنام في حال أفضل. ألهمته البشارة كلمات جديدة، التقط دفتر «نورانيات العاشق» وبدأ بالكتابة: قال: كلما سلّمت من صلواتي تساءلت: هل يا تُرى صلت في محراب عشقي وسلّمت؟ أجلس أدعو ربي وأسبّحه لي ولك. فهل يا تُرى تصلك تسابحي وذكرني الله بقلبي لقلوبنا؟

قالت: أمّنت خلفك بوجداني طواعية، ثم جلست روحي أمامك تستنشق أنفاسك وتسمح على يدك متمسة أناملك، مستسلمة لقدرتي في عشقي يعصف بقلبي بريح عاتية. أدعو ربي لك وحدك، لا أدعو لنفسي دعوة واحدة. أدعو الله أن يعطيك ما لا عين رأت ولا

أذن سمعت. فهل يا تُرى تصلك دعواتي كما تصلني تسابيح قلبك الغالية؟
قال: وصلتني أيتها الروح الغالية. أعطاني الله ما لا عين رأت. أعطاني البصيرة، فأبصرت روعي روحك واهتدت لها. أعطاني ما لا أذن سمعت. سمعت حديث قلبك العذب، فأحدثك وأسمع الرد، وأنتِ مكانك، وأنا مكاني دون أن تلتقي أجسادنا. أعطاني حبك، فقلت فيك كما قال حبيبي في حبيبته: «لقد رُزقت حبها».

كان لقاء براء بعالية لقاء مفعماً بالأحاسيس. كان براء جديداً، لم يعد ذلك الطفل الصغير الذي تحتضنه وتتولاه روح. أصبح عليه هو أن يحتضن عالية ويطمئنها، حتى تستوعب الفراق وتتحمل البعد، ولا تفقد الأمل. أخبرها بما أخبرته به روح بالأمس، وأن عليها أن تستحضر روحه بداخلها، وألاً تدع الشكوك تتسلل إلى قلبها وتتلاعب بها، وأن الله لن يرضى بعذابهما، وأنه كما كتب اللقاء من دون موعد، والحب بكل هذه القوة في هذه الفترة القصيرة، فلن يعجزه لم الشمل بغير أسباب منطقية. أخبرها أن الله رحيم، وأنه سيرسل المزيد من الرحمات لهما، فإنشاده في زفاف شاهيناز بعد شهر ونصف، رحمة يجب عليهما أن يستشعراها ويشكرا الله عليها، وسوف يدبر الأمر لزواجهما حتى وإن كانت الأعراف تقتضي ألا تتزوج فتاة من أسرتهما إلا بإيراني. هكذا طمأنها، وتركها وطار إلى القاهرة بقلبه الحزين على فراق ليلته كما أسماها، وكما كانت في عينيه.

وصل براء إلى القاهرة، واتصل فوراً بنور ليقابله. لم يكن نور ليتأخر عن لقائه أبداً، خصوصاً هذه المرّة، فهو قادم من منفى حبيبته ومستقر روحه، قادم من عند روح. اتفقا على اللقاء في نفس المكان الذي كانت تحبه روح، هكذا اقترح نور، كان يريد أن يسمع عن روح في المكان الذي تحبه، لعل روحها تحوم حوله ويستشعر وجودها معهما. وصل نور وجلس في مواجهة النيل في هدوء يسبح ويتأمل جمال النيل حبيب حبيبته، ووصل براء بابتسامته العريضة، وحضوره المؤثر، وطاقته الإيجابية الواضحة، واتجه فاتحاً ذراعيه لنور.

براء: مولانا، وحشتني!

نور بابتسامته الحانية:

- إنت اللي وحشتني أكثر. سيتوني كلكم وسافرتم!

براء: ليه؟ هيّ حياة ما رجعتش معاك بعد العيد؟!

نور: إنت عارف حياة، عندها دايمًا التزامات، وكان بقالها فترة في مصر، صعب إنها تيجي تاني بالسريعة دي.

براء: معلش يا مولانا، أنا رجعتك أهو، مع إني عارف إنك بتحب الوحدة، وبتستمتع بيها أكثر من أي ناس.

نور مبتسماً:

- مش أي ناس!

براء: عندك حق. أكيد بيبقى نفسك حياة ما تغييب عن عينيك لحظة. أنا عارف، والله عارف!

نور بمسحة ألم:

- حياة؟! أه طبعاً. بيبقى نفسي تفضل معايا طول الوقت، بس أعمل إيه؟! هيّ حياة طبيعتها كده، وأنا لازم أستوعب ده كويس ما دمت باحبها.

لم يكن نور يكذب عندما رد على براء. إنه يحب حياة، ويتمنى لو أنها تستقر معه في القاهرة، ولكنه عندما قال لبراء إن هناك أناساً وجودهم بجانبه أحب إليه من الاختلاء بنفسه، كان يقصد روح.

عاد نور من شروده إلى براء، معلقاً على جملة الأخيرة:

- تعال هنا، عارف إيه بقى إن شاء الله؟ وعارف منين يا طائر إنت؟

براء: خلاص يا سيدنا نزلت على الأرض، وعلى جدور رقبتى!

نور مستغرباً ومبتسماً:

- لا ما اصدقش. وعلى جدور رقبتك كمان؟ احك بسرعة.

براء: ليلى يا نور. والله العظيم ليلى!

نور: ليلى مين يا ابني؟!

براء: اللي جننت قيس.

نور ضاحكاً:

- وإنت مالك ومال قيس؟!

براء: ما هو أنا اتجننت زيه!

نور: يا راجل! خبط لزق كده؟! إمتى لحتت تحب وتتجنن؟! يا ابني ما انت كنت بعقلك من

أسبوعين!

براء: الله يفتح عليك يا مولانا. هما أسبوعين. شفتها، وحببتها، واتجننت!

نور ضاحكاً:

- يا لطيف! هو إنت مفيش عندك حل وسط؟ يا إما طائر ومفيش واحدة تعرف تطولك، يا إما واقع

على جدور رقبتك وعامل فيها قيس؟! لا حول ولا قوة إلا بالله. ربنا يهديك يا ابني!

براء: هداني. والله هو اللي هداني ليها. طب قولى إنت إيه اللي يخلي روح تمشي بالطريقة دي،

ودوناً عن كل بلاد العالم تروح قونيا، وأنا يجيلي حفلة في تركيا وأروح أزورها علشان أشوف

عالية، غير إن ربنا هو اللي مرتب كل ده علشان أشوفها وأحبها؟ هو والله مش أي حد تاني.

الجميل!

خفق قلب نور عندما ذكر براء اسم روح، اختفت الضحكات المرححة من على وجهه، وكسته حالة

من الوله الخفي الذي تحميه هالته النورانية من كشفه. تحكم نور في تعبيرات وجهه، ولكنه لم

يتحكم في لمعة عينيه ونبرة صوته. تغيرت النبرة المرححة إلى نبرة حانية منخفضة، سائلاً براء

عن روح وعلاقتها بقصته: - روح؟! هي روح ليها دخل بالموضوع؟ أخبارها إيه؟ احكيلي.

كويسة؟ مرتاحة يعني؟

براء: يوووه. دي روح دي قصة تانية. إنت عارف إنت لو شفت روح دلوقت مش هتعرفها!

استغرب نور وسأل بلهفة:

- إزاي؟! مالها يعني؟!

براء: بتحب هي كمان يا سيدي!

لم يستطع نور أن يسيطر على رد فعله. اندهش بشدة من رد براء، وسأل بنبرة قلقة قائلاً:

- بتحب؟! بتحب مين؟! وإزاي يعني بتحب؟!

براء: إيه يا نور؟! مالك استغربت كده ليه؟! ما إنت عارف روح، هي أصلاً حب في حب. طبيعي

جداً إنها كانت تقابل حد، ويستوعب كل الحب ده، وهي كمان تشوف فيه كل الجمال اللي جواها!

انزعج نور بشدة من كلام براء. إنه على ثقة كاملة من الرابط الذي يربطه بروح. إنهما نفس

الروح. إنه يتواصل روحانياً معها يومياً، بل إنه يشعر بها في داخله، في صدره. هي منه. هي

ليست لغيره. كيف تحب رجلاً آخر؟ أم أن كل ما يشعر به مجرد خيالات ليس لها أساس من

الصحة؟ لم يكن نور الشيخ المربي الذي يعلم مريديه الثقة بما يشعرون به في قلوبهم ليتشكك في إحساسه. إنه حتى ليس إحساساً، إنه يقين، يقين البصيرة. إن البصيرة نور الله كما كان يُعلم روح. كان يدرّبها أن تتق في إحساسها كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «اتقوا فراسة المؤمن، فإنه ينظر بنور الله». وهو كان ينظر بنور الله، ويعلم أن روح تحبه وتتواصل معه روحانيًا، ولكن ما تفسير كلام براء؟! ما تفسير كلام براء؟! ما تفسير كلام براء؟!

سأل نور براء بهدوء:

- أبدأ مش استغراب ولا حاجة، بس متفاجئ. صح طبعًا عندك حق، هيّ روح إيه غير حب في حب، وأكد من حقها تحب وتتحب. مين بقى هو يا ترى؟ قابلته؟
براء: لا، الحقيقة أنا ما قابلتوش. بس الكلام اللي روح بتوصفه بيه، ولأ شكلها وهيّ بتتكلم عليه، بيقول إنه شخص جميل. دي شكلها بيتغير خالص لما بتيجي سيرته. حاجة كده تحس إنه مش من الأرض، حاجة شبه روح بس على راجل. بتموت فيه، مش بتحبه حب عادي. والنبي إنت لو شفتها ما هتصدق إن دي روح. وإحنا هنروح بعيد ليه، أنا هاوريك صورتها. باقولك مش هتصدق!

أمسك براء هاتفه المحمول، وأحضر صورة لروح وعالية وضيعف كان قد التقطها لهم يوم احتفالات انتقال مولانا، وأعطى الهاتف لنور.

نظر نور إلى صورة روح بالفيستا التافته الأحمر القاني، وراها كما لم يرها من قبل. لمحت عيناه قرطها الياقوت، ولمح جراءة في نظرة عينيها، ولمح الأنثى الجامحة التي كان يعلم أنها تتوارى عن الأنظار لحين موعد خروجها على يديه ومعه. رأى روح مختلفة عن روح التي كانت تظهر للناس، ولكنها ليست روح التي يعرفها ويراهها هو بعينه، ورأى أيضًا ضيف، واستشعر أن ذلك الرجل يحب هذه الأنثى. هذا الرجل يحب ويقرب من روحه. من هذا الرجل؟

سأل نور براء بنبرة حادة:

- هوّ ده؟

براء: هوّ ده مين؟

نور بنفس الحدة:

- مين يعني يا براء؟! هوّ ده اللي روح بتحبه؟ اللي واقف جنبها في الصورة؟

براء: أه. لا لا. ده ضيف. ده لوحده حكاية. أهو ده كمان مغرم صباية. وقع زي حالاتي كده في روح وعمّال يجيلها من هنا ومن هنا، بس إنت عارف روح، ولا كأنها شايفة حد قصادها خالص! يا ولداه مموت نفسه وما يعرفش إن الموضوع منتهي أصلًا مع صاحبنا الثاني.

نور: ومين حضرته ده كمان؟ وفين اللي روح بتحبه؟ وريني صورته.

براء: باقولك ما قابلتوش يا نور، ولا أعرف هوّ مين، ولا أي حاجة عنه. حاجة كده تشبه روح. دا أنا حتى ما اعرفش أعيد اللي حكتهولي تاني. إنت عارف روح. أنا عارفك قلقان عليها وعائز تطمن. اطمن. هوّ باين عليه حد محترم وعالي كمان أوي. لأنها قالت إنه شيخ زيك وله مريدين. مش عارف لو هو بقى شيخها دلوقتٍ ولأ لأ. أنا حتى ما اعرفش اتعرفت عليه إزاي. تصدق نسيت أسألها.

نور بحيرة:

- شيخ؟! قابلته يعني في قونيا بالسرعة دي؟! وبعدين، لا ما افكرش إنه بقى شيخها. روح لسه ما غيرتش شيخها.

براء: ما اعرفش الحقيقة. أنا كل اللي فهمته منها قلتهولك، أكثر من كده هافتي، لأنى بصراحة ما فهمتش نص الكلام اللي هي قالتة عليه.
نور بمسحة غيرة:

- يا سلام؟! ليه يعني؟

براء: وحياتك يا مولانا ما أعرف، بس لو سمعتها وهي بتوصفه ولأ بتوصف بتحبه أد إيه تفرحها. دايبة دوبان يا نور!
نور بنبرة حزينة:

- ربنا يسعدنا ويهنيها. روح تستاهل كل خير.

براء: يعني إنت ما خدتش بالك من حد في الصورة غير ضيف؟ ما شفتش القمر اللي منور جنب روح؟!
ابتسم نور وقال:

- هي دي حبيبتك؟

براء: هي دي ليلي.

نور: اسمها ليلي بجد؟

براء: لا، اسمها عالية، بس أنا سميتها ليلي من أول ما شفتها.

نور: ربنا يهنيك يا حبيبي. شكلها صغير شوية ولأ أنا بيتيالي؟

براء: لا، صح، هي صغيرة في السن بس، لكن كبيرة في المقام، غالية ومقامها عالي زي ما روح بتقول عليها.
ابتسم نور عندما سمع وصف روح لعالية:

- روح بتقول عليها كده؟ الله! صاحبة روح يعني. واضح.

براء: هي وعيلتها بقوا عيلة روح في قونيا، متبنيها ويحبوها، وهي كمان بتحبهم أوي، ما هو ضيف أخو عالية الكبير.

نور: آه، فهمت. يعني روح مرتاحة ومبسوطة، وعملت أصحاب وبتحب كمان!

براء: الله ينور عليك يا سيدنا. روح ولا أحسن من كده. لا وكمان اشتغلت. لو شفتها وهي قاعدة بترسم لزوار مولانا والناس ملمومة عليها، تقول فراشة وحطت على الأرض، والناس بتتفرج على جمالها. ما تقولش بني آدم. والله يا نور أنا نفسي لما شفت المنظر أول مرّة جسمي قشعر!

تخيل نور منظر روح وهي جالسة ترسم، وابتسم وقال:

- بترسم لزوار مولانا؟! هي فعلاً كده يا براء. والله صدقت. هي فراشة وحطت على الأرض. ربنا يسعدنا!

براء: يا رب. وأنا مليش دعوة حلوة منك ولأ إيه يا مولانا؟ دا أنا وحبيبي محتاجين دعوات مش دعوة واحدة!

نور: يا حبيبي ربنا يسعدكم!

براء: آمين يا نور. ادعيلنا ربنا يجمعنا، لأن حكايتنا صعبة شويتين، ومحتاجين معجزة علشان نتجوز.

نور: مفيش حاجة بعيدة على ربنا. بس ليه معجزة؟ هيّ إيه المشكلة إن إنتو تتجوزوا؟ ما اعتقدش إن فرق السن ممكن يكون هوّ السبب، ولاّ إيه؟

براء: لا لا خالص، بالعكس، ده إحنا مش حاسين أصلاً بفرق السن. المشكلة في عيلتها. عالية إيرانية والعادات عندهم بتمنع بنات العيلة يتجوزوا من جنسية غيرهم، وفي الغالب من نفس العيلة. همّ عيلة كبيرة أوي، والحكاية دي عندهم مهمة وليها علاقة بالأصول والتقاليد. على حد كلام عالية ما حصلش قبل كده في عيلتهم إن بنت اتجوزت من راجل مش إيراني. الموضوع كبير مش هزار. إيش جابني أنا الصعلوك لبنت الملوك!

نور: ملك الملوك.

براء مستغرباً:

- مش فاهم قصدك إيه يا نور!

نور: يعني إنت أول ما اتكلمت قلتها. قلت ربنا هوّ اللي بعثك هناك ومرتب كل حاجة، يبقى إزاي ما يقاش عندك يقين إن ملك الملوك هيدبرلك إزاي إنت وحببتك تتجوزوا؟! ادعي وقول يا رب.

براء: سبحانه! ببتكلم بنفس الثقة واليقين اللي روح ببتكلم بيهم!

نور: هيّ روح قالتك كده؟

براء: بالظبط.

ابتسم نور من تلاقي أفكارهما في البعد وقال:

- صدقها.

*

استمع نور إلى حكايات براء عن حبيبته، وعن رحلته إلى قونيا، وعن روح وحال روح. كان يستمع ويخزن كل تفصيلة حتى لو كانت صغيرة، كأنه يريد أن يرسم صورة لحياة روح في قونيا، ويضعها أمام عينيه فتكون حاضرة معه روحانياً وفعلياً. هل اطمأن نور على روح من براء أم زاد قلقه عليها؟ لا يعلم. ولكنه يعلم أنه يريد أن يختلي بنفسه ليختلي بروح. كان يريد أن يرتب تلك الأحاسيس التي تزاخمت في داخله من حكايات براء عن روح، التي تتعارض بقوة مع ما يشعر به ومع بصيرته واتصاله بروح.

جلس نور في جلسة التأمل التي يمارسها بشكل يومي ليستدعي حالة السكون والتركيز والوصل بروح بعد جلسته مع براء، فهدأ وعاد إلى طبيعته المستقرة الواثقة، واستحضر روح بداخله. بدأ يحدثها بقلبه ويتواصل معها ويستمع إلى الإجابات منها: قال لها: أجيبيني فوراً: هل ما زال قلبك على عهدنا أم أن العهد زال؟ كلما ملكتك وجدتك سراّباً!

قالت: إذن، فأنا سراّب.

قال لها: وما حيلة العاشق في عشق السراّب؟ أهكذا تذهب العقول في الحب؟ تمضي من حيرة إلى حيرة إلى أن تذهب ذات مرّة ولا تعود، تذهب خلف السراّب؟

قالت: أنتساءل هل ما زال قلبي على العهد؟ وهل عهدنا عهد زوال؟! أنتعجب لماذا كلما ملكتني وجدتني سراّباً؟ لأنك كلما ملكتني عدنا كسابق عهدنا في البدايات، فلا تراني ولا يكون لي وجود. أنا أنت وأنت أنا. وهكذا أصبح سراّباً.

قال لها: إذن، ما زلت على العهد؟

قالت: أنا السراّب.

عاد نور من وصله مع روح، شاعرًا باختلاف ردودها هذه المرّة. إن التي ترد عليه في هذا الحوار هي روح ذات القرط الياقوت والفستان الأحمر، الأنثى الجامحة التي تشعل حبها بداخله

بردودها الغامضة. كانت ردودًا واثقة جريئة تمامًا مثل لون فستانها، ردودًا حمراء صريحة مثيرة متحدية، أصابته هو نفسه بالحيرة. هل معنى ردودها أنها ما زالت منه ومعه، أم أنها أصبحت سرابًا لا يمتلكها هو أو غيره؟

أحس نور أن روح استدعت في داخله نور الإنسان المحب، المتسائل عن حال حبيبته، غير العابئ بأي شيء سوى الاطمئنان على أنه ما زال يُحكم السيطرة على قلب حبيبته. ما هذا الحب الذي يعصف به من حال إلى حال؟ كلما ظن أنه استقر بحال وجد نفسه في حال أخرى؟ ماذا بعد الفراق والحرمان من روح؟ أيجب أن يدخل في دوامات حيرة وشك أيضًا؟ لأول مرة يتساءل: «هل ما زالت روح تحبني، أم هناك من اقترب منها واخترق قلبها؟».

التقط نور دفتر «نورانيات العاشق»، ودون الحوار الأخير به، ووضع جانبيًا، ولكنه لم يضع حيرته معه، حملها في عقله، فقلبه واثق من حب روح، ويشعر بها في داخله، ولكن عقله يمارس عمله ويهمس في أذنيه ويذكره بكلام براء.

*

شعرت روح أن نور يناديها، ولكن هذا النداء كان مختلفًا. لم تكن واثقة من نوعية النداء، ولكنه بالطبع لم يكن مثل ندائه لها في كل مرة شعرت به، لم تكن مناجاة عشق كما تعودا أن يتواصلًا معًا. وجدت نفسها تقول بقلبيها: أقسم بالحنس، والليالي الكُنس، وليلة القدر التي هي خير من ألف شهر، والليالي العشر والشفع والوتر، ما أحببت امرأة من قبل بقدر ما أحببتك يا ساكن القلب.

أتعلم يا نور الروح؟ أتعلم أنني والله لأقسم بمواقع النجوم وإنه لقسم أخبر عنه ربي أنه عظيم، أقسم إنني ما رغبت في شيء مثلما رغبت فيك، وما زهدت في شيء مثلما زهدت فيك، وما أقمت الليالي أطلب شيئًا من ربي قدر ما طلبتك، وما أعقبت تلك الدعوات إلا بدعوة توبة قلبي عن عشقك، وما رأيت رجلًا غيرك، وما رغبت في ألا أرى رجلًا إلا كي لا أراك أو ألمح طيفك، وما توسلت إلى ربي إلا لألمح طيفك، وما لمحت طيفك إلا وغضضت بصري عن نور وجهك، وما لهتت للنوم إلا أملًا في أن أرى في المنام عينيك وأنظر إلى وجهك، وما نمت ليلة وما غفل جفناي من شدة الشوق لك والوجد الذي لا يفارقني، وما كذبت على ربي إلا وأنا أطلب منه نزع حبك من قلبي.

أذهب عني، أو ابق بي، ولكن رجاء، كفى عذابًا. لا تعذبني. فما استعذبت عذابًا قطُّ إلا عذاب عشقك يا مالكي!

تعجبت روح مما كتبت! لماذا تقسم لنور على حبها؟ لم تكن تدرك أن الوارد الذي تلقته هو رد على حال نور وما دخل فيه من الحيرة والشك في حبها لأول مرة، تلك الحيرة التي حجبت عن نور تلقي اعتراف روح وقسمها على حبه، عقله حجب عنه تواصلهما الروحاني وتلقي ردها الواضح والصريح، ليستمر في حيرته ولا يسكن ويطمئن.

جلست روح تدون تلك المناجاة المختلفة في دفتر «درويشة عشق»، وهي لا تعلم لماذا هي مختلفة هذه المرة، ولكنها اعتادت ألا تلتفت، فقط تطيع قلبها وتمشي خلفه، تطيع كل ما تشعر به ببيت الرب.

*

رن هاتف روح المحمول مع آخر سطر من المناجاة، فالتقطته، ووجدت رقمًا غير مسجل على هاتفها.

روح: ألو... .

المتحدث: هوَ إنتِ بتقولي ألو عادي زي كل الناس؟!!

روح: مين يا أفندم؟

المتحدث: أنا يا أفندم جاركم اللي شقبتوا كيانه من ساعة ما سكنتم في شارعنا!

ضحكت روح:

- ضيف، إزيك؟

ضيف: ما أنا لسه قايلك أهو، حالي متشقلب!

روح: ليه بس كده؟ ربنا يهديك الحال.

ضيف بقوة:

- آمين، آمين، آمين.

روح بنفس الضحكة:

- وآمين كمان مني أهو يا سيدي.

ضيف: طب يلاً تعالي حالاً عندنا.

روح: إيه ده؟ أمر ولا إيه؟

ضيف: العفو يا مولاتي، هو مين اللي يتجرأ ويأمر مولاتنا روح؟!

روح: يا ضيف بطل بكش، وبعدين أنا مش قلتلك ما تقوليش يا مولاتنا تاني!

ضيف: أعمل إيه؟ إنت مولاتي. أناديك بإيه طيب؟

روح: ولا حاجة خالص. تقولي يا روح بس.

ضيف: أحاول. يلاً تعالي فوراً.

روح: لا بجد، خير فيه إيه؟

ضيف: جدي يا ستي، من صباحية ربنا وعمال يقولي جيبلي روح، عاوزها حالاً!

روح: يا حبيبي! من عيني حاضر. قوله عشر دقائق وأكون عنده.

ضيف: تحبي آجي أذكك؟

روح: تسلم يا ضيف، دول هم يا دوب خطوتين، وأنا باحب أتمشى.

ضيف: مستنيك.

روح: مع السلامة.

وصلت روح إلى الشيخ بهاء بناء على رغبته، فقابلها بابتسامة عريضة وترحاب. انحنى وقبّلت

يده، وأمسك هو وجهها وقبّل رأسها ثم أخذها مسرعاً إلى غرفة مكتبه. دخلت روح وهي تلتفت

إلى عالية باستغراب، إنه حتى لم يعطها فرصة لتسلم على السيدة قسمت والبنات. ولكن من يمكنه

أن يراجع تصرفاً للشيخ بهاء؟ لا أحد.

أجلسها بجانبه على الجلسة الأرضية، وقال:

- قوليلي بقى يا نور؟ مين الولد اللي كان بينشد إمبراح؟

استغربت روح جداً من السؤال، ولكن إذا كان السؤال غريباً، فيجب أن تكون إجابتها على مستوى

السؤال.

نظرت روح إلى الشيخ بهاء وقالت:

- اللي كان بينشد إمبراح ده أنا.

سأل الشيخ بهاء بنظرة متفحصة:

- إنت يعني إيه يا نور؟!

روح: يعني أنا. أنا وبراء واحد. تقدر تقول عليه توأم روحي. دايماً باقول لو كنت اتولدت ولد كنت

طلعت براء. حبيبي وروح قلبي وذن عيني من جوه. أبيض زي الفل. شفت يا سيدي صوته حلو

إزاي؟ أهو قلبه زي صوته كده بالظبط! روح طيارة بجناحات، روح بتغني وبس!
الشيخ بهاء: مش حبيبك، صح؟

روح: صح.

الشيخ بهاء: على خيرة الله.

روح باستغراب:

- خير سيدي؟!!

الشيخ بهاء: خير يا وش الخير. إدي باسبورك لضيف!

روح باستغراب أكبر:

- عفوًا سيدي. باسبوري تحت أمركم طبعًا، بس ممكن أعرف ليه؟!!

الشيخ بهاء: أنا والبنات وضيف مسافرين لنندن الأسبوع الجاي، وإنتِ جاية معانا!

ضحكت روح بشدة:

- أيوه سيدي، بس آجي معاكم أعمل إيه؟!!

الشيخ بهاء: يعني إيه تعملي إيه؟ مش هتعملي حاجة. هاشوفك كل يوم وأتكلم معاك، وتروحي مع البنات تفصلي فساتينك علشان عرس شاهيناز. ومن هنا ورايح كل يوم الصبح لازم تعدي عليّ. مفهوم؟

روح: أنتشرف سيدي. بس ممكن أسألكم إيه علاقة براء بالموضوع؟!!

الشيخ بهاء: بعدين، بعدين يا نور، كله بأوانه.

روح: حاضر سيدي.

أعطت روح باسبورها إلى ضيف كما طلب منها الشيخ بهاء، ثم استأذنت منه للذهاب لزيارة مولانا الرومي والجلوس بالقرب منه، فهي لم تذهب إليه منذ الأيام الثلاثة السابقة على سفر براء، وتشعر بشوق شديد إليه. ومن يومها أضافت روح إلى روتينها اليومي زيارة الشيخ بهاء بناء على رغبته. كانت تشعر بالكثير من الحنان والطمأنينة كلما انحنت وقبّلت يديه المجدتين، وكلما قبّلت رأسها وربت على شعرها. كانت تشعر أن الله أرسل إليها ذلك العجوز ليُقْبَلها يوميًا ويربت عليها، كأنه يقول لها لا تيأسي من روح الله، إنه لا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون. الآية التي تودعها في قلبها، وتتعلق بمعناها الذي تجلّى لها في موقف وراء الآخر. لا تيأسي يا روح، فكما دبر الله لك الأمر وأنتِ في قمة اليأس والحيرة، وتشعرين بأن كل الأبواب مغلقة في وجهك، أرسل الله إليك نورًا، نورًا يبدّلك على طريق النور والراحة والطمأنينة. ذلك على الطريق، ومضيت تلتقطين أزهار المحبة من الطريق وتغرسينها بداخلك، وتلتقطين ثمارها ورودًا جميلة تنتثرينها حبًا حولك لكل الناس.

فهمت حياة بعد زيارة مقام الشيخ الجزولي، والنقاش الذي دار بينها وبين فؤاد، أن تلك المزارات لم تكن النوع المناسب لاصطحاب فؤاد وجميلة إليها، فغيرت من برنامج الرحلة وتجنبت المزارات الدينية أيًا كانت أهميتها. تنقلوا من مراكش إلى الرباط وكازابلانكا وفاس ومكناس وطنجة. كانت طنجة هي المحطة الأخيرة في البرنامج الذي وضعه فؤاد، مخططًا لإنهاء جولته السياحية برحلة بحرية من طنجة إلى إسبانيا.

وهناك زاروا مغارة هرقل التي نحتتها الطبيعة في بطن صخري مرتفع، وتشرف على المحيط الأطلسي، حيث تتعانق مياه البحر الأبيض المتوسط مع مياه المحيط الأطلسي. ثم جلسوا في المقهى العلوي يتأملون خليج طنجة، ومضيق جبل طارق، وسواحل الأندلس. كان المشهد خلابًا وسالبا للعقول. كانت حياة مبهورة ومسحورة، فعلى الرغم من أنها قضت حياتها كلها في المغرب، وما زالت تعيش بها، فإنها لم تزر مغارة هرقل من قبل.

فؤاد: إنتِ عارفة قصة المغارة دي إيه يا حياة؟

حياة: لا ما اعرفش. إيه قصتها؟

فؤاد: الأسطورة بتقول إنه كان لأطلس ابن نبتون ثلاث بنات عايشين في بستان بيطرح تفاح ذهب، ويبحر سهم وحش. هرقل حارب الوحش وهزمه، وفي مرة هرقل غضب غضبًا شديدًا فضرب الجبل وشقه واختلطت مياه البحر المتوسط الزرقاء بمياه الأطلسي الخضراء، وانفصلت أوروبا عن أفريقيا. وزوج هرقل ابنه سوفاكيس ألبنت من بنات نبتون اللي خلفوا بنت جميلة زيك كده سموها طانجيس، ومن ساعتها وبقي اسم المدينة طنجة على اسمها. شفتِ بقي؟ يعني ممكن جدًا تكون الحياة اللي إحنا عايشينها قصة ما نعرفهاش، وتكون اتسمت حياة على اسمك زي ما طنجة اتسمت على اسم البنت الجميلة طانجيس!

لمعت عينا حياة من مغازلة فؤاد لها، وقالت:

- يا سيدي على الكلام الكبير! إيه ده كله؟!

فؤاد مستطردها في الغزل:

- وأسه، إنتِ لسه شفتِ حاجة؟!

حياة: لا بجد يا فؤاد، حقيقي الحكاية اللي إنتِ قلتها دي؟

فؤاد: إن الحياة متسمية على اسمك يعني؟

حياة بدلال:

- لا طبعًا. قصدي على أسطورة طنجة!

فؤاد: فيه أساطير كتير عن البلد دي وسبب تسميتها. يعني في أسطورة ثانية بتقول إن سبب تسميتها كده إن سفينة نوح ضلّت طريقها بسبب طوفان، وفي يوم من الأيام حمامة حطت فوق السفينة وكان في رجليها وحل أو طين، فصاح ركاب السفينة «الطين جا، الطين جا»، فرحانين لأن ده دليل إن الشط قريب منهم، وإن السفينة هترسى على أرض يابسة، فأصبح من وقتها اسمها طنجة.

حياة بانبهار:

- طب والحقيقة إيه؟

فؤاد: الحقيقة إن أكيد الحياة متسمية على اسمك إنت!
ضحكت حياة بدلال:

- بس يا فؤاد بجد بقى! إنت الظاهر من كتر عشرتك للسنتات بقيت فاهمهم كويس وعارف إنهم
بيحبوا يسمعوا كلام حلو!
جميلة: إنت فاكرة فؤاد بيقول كلام حلو كده لكل السنتات؟!
حياة: أيوه.

جميلة: تبقي ما تعرفيش فؤاد. ده ثقيل مووووت. هو كبيره بيوس إيد الست اللي تعجبه، أفهم
على طول إن عينه منها، لكن يقول كلام حلو والحركات دي، مش فؤاد خالص!
أحست حياة أن جميلة تلفت نظرها لإعجاب فؤاد بها، فلم تعلق على كلام جميلة، ولكنها تبادلت
النظرات الصامتة هي وفؤاد واكتفت بعدم الرد.

شعرت حياة بإعجاب فؤاد بها، وهي أيضًا كانت لديها تلك النبتة الصغيرة من الإعجاب والانبهار
بشخصيته وثقافته. كانت تراه على النقيض تمامًا من نور. كانت تراه ينبض بالحياة مثلها، مليئًا
بالمفاجآت. كلما اكتشفت أنها عرفته أو فهمته، فاجأها بجانب جديد من شخصيته، يبرزه لها
ويدخلها منطقة جديدة من الانبهار.

لم تكن حياة من النساء اللاتي قد يستسلمن لمحاولات غزل من أي رجل، ولكن المشاعر التي بدأت
تشعر بها لم تكن مشاعر ناتجة عن غزل عابر، كانت تحاول جاهدة ألا تتأثر، وتسيطر على رد
فعلها، ولكن هل ستترك نفسها تقترب من منطقة الخطر، أم ستضع حدًا حاسمًا، ولا تتيح مجالًا
لتطور لتلك المشاعر؟

مدت يدها على هاتفها المحمول، واتصلت فورًا بنور.
حياة: حبيبي، وحشتني!

نور: إزيك حبيبي؟ عاملة إيه؟ إنت كمان وحشتيني! راجعة إمتى يا حياة؟
حياة: إحنا لسه واصلين طنجة النهارده. هنقضي أسبوع هنا، وبعدين نطلع على إسبانيا كمان
أسبوع، وبعدين إن شاء الله من إسبانيا على القاهرة.
نور: لسه يا حياة كمان أسبوعين!؟

حياة: معلىش يا حبيبي، أنا عارفة إنى طولت عليك المرّة دي، بس لما أجيلك وأحكيلك على الفسح
والأماكن اللي رحناها مش هتصدق. تحفة يا نور! لازم نعمل الرحلة دي تاني سوا!
نور: إن شاء الله يا حياة. المهم إنك تكوني مبسوفة.
حياة: أوي يا نور. وإنت يا حبيبي عامل إيه؟

نور: الحمد لله.

حياة: يا رب دايمًا. أنا باحبك أوي يا نور!

نور: أنا كمان باحبك يا حياة. اتبسطي وخلي بالك على نفسك!
حياة: وإنت كمان يا عمري، اتبسطة وخلي بالك على نفسك!

مرت الأيام سريعة، وسافرت روح بصحبة عالية وأخواتها والشيخ بهاء وضيف إلى لندن. لم تكن تلك المرّة الأولى لروح التي تسافر فيها إلى لندن، فقد زارتها مع طارق كثيرًا، ولكنها كانت تراها بعينيه هو لا بعينيه هي. كانت تذهب أينما يحب، وتأكل ما يريد، وتتصرف كما يريد، وتراها تتصرف. كانت لندن من البلدان المفضلة لروح، وتعلم أنها يومًا ما ستذهب إليها حرة، وتراها بعينيه هي، فتذهب صباحًا إلى الهاید بارك، وتجلس تحت الأشجار تقرأ أو ترسم أو حتى تتأمل وجوه المارة في صمت، وتذهب ليلاً إلى المسرح، وتشاهد العروض المبهرة، وتتشبع من جمال كثيرًا ما رغبت في إلقاء نظرة واحدة عليه ولكنه لم يكن يسمح لها. كانت تريد أن تقضي الساعات حرة طليقة في شوارع مدينة الضباب، وتجلس لشرب القهوة في شارع أوكسفورد، أو تذهب لقضاء ساعات بين السائحين بميدان ترافلجار وبيكاديللي، وتلتقط الصور، وتمشي بين الحشود هائمة في ملك الله، وتذهب إلى قصر باكينجهام وتشهد مراسم تغيير الحرس، وتجوب لندن بأثوبيسها الأحمر ذي الدورين لساعات دون ملل. تلك كانت أقصى أمنياتها التي لم يكن مسموحًا لها بتحقيقها. الآن جاء وقت تحقيقها، والسبب هو ذلك الشيخ العجوز الجميل صاحب العيون الزرقاء واللحية الفضية.

كانت روح تنطلق كل صباح، تفعل ما تريد، وتتفق على اللقاء في منتصف اليوم مع الشيخ بهاء والبنات في أحد المطاعم اللبنانية الموجودة في شارع العرب كما يُسمى، أو إيدجور رود. التقى الجميع لتناول الغداء من المقبلات اللبنانية الشهية والمشويات. تبادلوا الحديث عن كيفية قضاء يومهم.

عالية: خلي بالك يا روح، ما ترتبطيش بحاجة بكرة علشان ده ميعادنا مع مدام جاسمين علشان ننقي الفساتين.

روح: حاضر يا عالية، ولو إني بطلت حكاية تفصيل الفساتين ودوشة الأفراح دي من زمان. مجهود زيادة علشان ليلة واحدة بس! ما تخلوني على راحتني وتروحووا إنتو من غيري!

الشيخ بهاء: إنت مش محتاجة عملي مجهود. إنت ياقوتة بتلمع من غير حاجة. لوحدك كده نور. بس أنا قلت عملي فساتين زي البنات يبقى عملي فساتين!

روح ممزحة الشيخ:

- وهو أنا أقدر أقول حاجة غير حاضر سيدي!

الشيخ بهاء: اعلمي حسابك النهارده إنت جاية معايا أنا وضيف مشوار بالليل.

روح: حاضر سيدي. هتاخذني فين يا ترى؟

الشيخ بهاء: حفيد أخويا شاعر مهم، بيكتب شعر فارسي وعربي، أصدر ديوان جديد ولازم نباركله النهارده.

روح: ربنا يباركلنا في عمركم سيدي ويحفظكم!

رد الجميع خلفها مؤمنين.

وجهت روح حديثها إلى ضيف:

- تحب أبقى جاهزة الساعة كام يا ضيف؟

ضيف: سبعة كويس؟

روح: اتفقنا.

اخترت روح فستانًا أبيض ملائكيًا، لم تكن به أي نقوش ولا زخارف بأي ألوان، كان فقط نسيج الفستان مختلطًا بأسلاك فضية رقيقة، تتلألأ في هدوء كما تتلألأ صاحبة الفستان. ارتدت الفستان، وبدت كالعروس في فستان زفاف بسيط لا ينقصها سوى الطرحة التُّل على رأسها. سحبت أحد شيلانها الخضراء وخرجت للقاء ضيف خارج غرفتها.

كان ضيف ينتظرها في الخارج. نظر إليها وهي تبدو كالعروس، وتمنى أن يأتي اليوم الذي تكون هي عروسه فعلاً وملكاً له وحده.

وقفت أمامه في ثبات، وقالت له:

- هتبطل تبصلي كده إمتي؟!!

ضيف: مش هابطل أبداً!

ابتسمت روح بدلال وثبات، وقالت:

- إنت حر. فين سيدي؟

ضيف: مستنينا نقوله إنك جاهزة يا ستي!

روح مداعبة ضيف:

- مفيش فايده فيك!

خرج الشيخ بهاء من غرفته في قمة بهائه وتألقه، مرتدياً جلباباً أبيض وعباءة سوداء خفيفة، واضعاً العمامة الإيرانية فوق رأسه، كأنه يريد أن يخبر الحضور بأنه يعتز بأصوله الفارسية العريقة ويفتخر بها.

نظرت روح إليه بإعجاب، وقبّلت يده كعادتها. نظر إليها الشيخ بإعجاب، وتمعن فيها، ثم نظر إلى ضيف بغضب وقال له:

- حمار! إنت حمار!

ضحك ضيف على دعابة جده التي فهمها جيداً، والتي فهمتها روح، وقال:

- مشكور سيدي. كله منك حلوا!

*

وصل الشيخ بهاء ممسكاً بيد روح إلى قاعة القصر الثقافي المقام فيها حفل إصدار ديوان شعر حفيد أخيه. دخل في اتجاه الصالون حيث يجلس الدكتور حسين بندر الذي نهض سريعاً للترحيب بالشيخ بهاء واستقباله. انحنى لتقبيل يد الشيخ بهاء مثلما تقتضي الأعراف، وسلم سلاماً حاراً على ضيف، وتعرف على روح. ظن للوهلة الأولى أن روح لها علاقة بضيف، وهذا هو سبب تواجدها معهما، ولكن عندما استطرد الشيخ بهاء في الحديث أشار إلى أن روح جارتهم في قونيا وصديقة العائلة من مصر ولها تجارب شعرية.

وجه الدكتور حسين حديثه إلى روح سائلاً عن نوعية كتاباتها. استمع إليها، وسألها أن تسمعه شيئاً من كتاباتها، فهو يحب الأشعار بالعامية المصرية جداً، وكم يعشق كتابات صلاح جاهين العبقريّة، كما وصفها.

كانت روح تحفظ ببعض أشعارها مكتوبة على هاتفها المحمول. أخرجت الهاتف وقرأت له مقطوعة قصيرة كنوع من المجاملة. تفاجأت روح برد فعل الدكتور حسين الذي قال:

- لو طلبت منك حاجة النهارده في اليوم المهم بالنسبة ليّ ده، توافقي ولّا ترفضني؟

ارتبكت روح، وأرجعت خصلاتها خلف أذنيها، وقالت:
- أكيد لو أقدر يا دكتور!

الدكتور حسين: بعد إذن جدي، كنت حابب ست روح تشاركني قراءة مقطوعة كتبتها وباحبها أوي، بس لازم اتنين يقرأوها مع بعض بشكل حوار بين راجل وست. وطبعًا عمري ما كنت هاقرأها النهارده لأن مفيش حد يقرأها معايا! بس ربنا بعتك النهارده! تسمحي تشاركني قراءة الحوار ده؟

الشيخ بهاء: اللي يريحك يا روح، لو مش عايزة بلاش يا بنتي.

لم تكن روح ترغب في رفض طلب الدكتور حسين:

- أبدأ سيدي. من عينيّ يا دكتور، حاضر. تسمحي بس أقرأها دلوقتٍ علشان وقت الإلقاء أكون اتعودت عليها.

الدكتور حسين: أشكرك. طبعًا. لحظة واحدة أطلعها لك من الديوان.

أعطى الدكتور حسين ديوان الشعر إلى روح مشيرًا إلى المقطوعة الشعرية.

بدأت روح في القراءة بصمت، وانشغل عنها ضيف والدكتور حسين بالحديث مع الشيخ بهاء. وشيئًا فشيئًا وجدت صدرها يجيش بالمشاعر، وعينيها تفيضان بالدموع. لم تستطع أن تسيطر على صوت البكاء فخرج عاليًا، فنظر الثلاثة إليها متفاجئين.

انزعج ضيف من رؤيتها تبكي، وقام إليها وأمسك يدها قائلاً:

- مالك يا روح؟! بتبكي ليه؟! إيه اللي حصل؟!!

فهم الشيخ بهاء أن روح تبكي تأثرًا بقراءة الشعر، فنظر إليها برقة وقال:

- تعالي يا روح جنبني! تعالي يا نور!

تدخل الدكتور حسين:

- أنا أسف يا ست روح لو فيه حاجة في الديوان اتسببت في أي إزعاج ليك!

روح ماسحة دموعها:

- أبدأ يا دكتور، مفيش إزعاج خالص، ده من جمالها! إيه المقطوعة الجميلة دي يا دكتور؟!!

الدكتور حسين: أشكرك. هيّ فعلاً من أحب كتاباتي ليّ، علشان كده لما عرفت إنك شاعرة قلت لازم نقرأها سوا النهارده!

روح: لا، أرجوك! شاعرة إيه بس في وجود حضرتك! بجد الكلمات اللي حضرتك كاتبها لمستني جدًّا!

الدكتور حسين: أشكرك! يبدو إن إنت إنسانة حساسة وبتتأثري وحسك عالي!

ضيف: فعلاً يا حسين، حساسة جدًّا!

التفت ضيف إلى روح موجهًا حديثه إليها:

- أنا رأيي بلاش تقرئي المقطوعة مع حسين يا روح ما دام اتأثرت كده.

روح: بالعكس، أنا دلوقتٍ حاسة إنني عايزة أقرأها أكثر من الأول!

الدكتور حسين: أنا فعلاً مش عارف أقولك إيه يا ست روح!

بدأ الضيوف في الوصول، فاستأذن الدكتور حسين من جده للانصراف للترحيب بهم.

جلس الشيخ بهاء وروح وضيف في الصف الأول أمام المنصة التي اعتلاها الدكتور حسين يقرأ أشعاره ويتحاور مع الضيوف حول كل قصيدة. وصل إلى الفقرة التي ستشاركه فيها روح، وأعلن

عن ضيفة مصرية شاعرة ورسامة سوف تشاركه قراءة مقطوعة خاصة جدًا. اتجهت روح إلى المنصة، ووقفت متأققة بجوار الدكتور حسين. مدت يديها على كتفيها، وسحبت شالها الأخضر ووضعت برقة فوق رأسها كما تفعل عند الدخول في حالة روحانية خاصة، ثم أمسكت الديوان بيدها واقتربت من الميكروفون، وبدأ الدكتور حسين في قراءة القصيدة المستوحاة من رائعة الدكتور محمد المقرن: وأتى ليسأل شيخه مستفتيًا ما حد من سرق الفؤاد وهاجرا نظرت روح في الديوان، ثم رفعت عينيها ونظرت إلى الجمهور وقالت: وأنت لتسأل شيخها مستفتية...

توقفت روح عن القراءة. تسمّرت في مكانها. برقت عيناها وخفق قلبها بقوة. ما الذي يحدث؟! هل انتقلت إلى مكان آخر غير الذي هي فيه؟ هل هي نائمة تحلم وهذا المشهد جزء من أحلامها الجميلة؟ من هذا القمر المنير الذي خطف عينيها عند دخوله القاعة، وأضاءت هالته المكان بأسره وأصابته بالذهول التام؟ نور!! هل هو بالفعل نور أم أنها تتخيل وجوده؟! هل روحه حاضرة بقوة تكاد تصل إلى الحقيقة وإلى رؤيته رأي العين!!

نظر الدكتور حسين إلى روح مستغربًا لتوقفها عن الإلقاء. لاحظ نظراتها في اتجاه الباب. نظر هو أيضًا فوجد صديقه نور قد وصل ويقف في هدوء خلف الحضور. أعلن الدكتور حسين في الميكروفون عن ترحيبه بوصول صديقه الكاتب والشاعر الصوفي نور، الذي أتى خصيصًا من مصر تلبيةً لدعوته لحضور حفل إصدار ديوانه الشعري. صفق الجميع تحية لنور، وكان قلب روح يصفق معهم في فرحة وعدم تصديق لما يحدث. وقفت في ذهول لا تحرك عينيها عنه. وكيف تحرك عينيها عن نورها وقمرها المنير وحبیب قلبها وروح الروح نور؟!

ذهب الدكتور حسين للسلام على نور واصطحابه للجلوس في الصفوف الأمامية. لم يكن نور يقف في نهاية القاعة متعمدًا، ولكن توقف به الزمن عندما دخل القاعة ووقعت عيناه على صاحبة الشال الأخضر وهي تقف على المنصة تتلألأ في جمال. هو أيضًا لم يستوعب المفاجأة وأصابه الذهول. هو أيضًا شك في نفسه، وتخيل أنه ربما انتقل إلى عالم آخر يرى روح فيه كما يراها في أحلامه، وكما يتمنى أن يراها يومًا ما. كان يتمنى أن يراها عروسًا في ثوبها الأبيض تتلألأ به ويتلألأ بها. كان يعلم أن هذه العروس لن تضع فوق رأسها طرحة بيضاء كما تضع كل الإناث. إن الطرحة البيضاء هي غطاء رأس العوام، ولكن روحه لها غطاؤها الخاص، غطاء القديسات، الطرحة الخضراء هي غطاء رأس روح وهي طرحتها وهي طرحة زفاف القديسات.

سلم نور على الدكتور حسين وعيناه معلقتان على روح من بعيد، وعيناها معلقتان عليه. أصر الدكتور حسين أن يقترب نور ويجلس في أول صف أمام المنصة تقديرًا لمكانته الأدبية. اقترب نور وجلس أمام روح مباشرة، وتركه الدكتور حسين وذهب في اتجاه المنصة، ولكنه توقف وعاد إليه سريعًا.

حسين: ليّ طلب عندك يا نور؟

نور: أوْمرنِي.

حسين: فيه شاعرة مصرية جميلة اسمها روح، طلبت منها تشاركني قراءة مقطوعة النهارده، هيّ اللي واقفة على المنصة دلوقت. تقبل تشرفني وتقرأ إنت الجزء الخاص بيّ في المقطوعة؟ ده هيكون تشريف كبير ليّ إنك تقرأ من ديواني!

لم يُصدق نور ما سمع. سيقف بجانب روح ويشاركها القراءة، لا تفصل بينهما حدود ولا تمنعهما موانع. هكذا بكل بساطة وجمال يقترب منها ويتكلم معها من دون أي سابق تخطيط!
نور: أكيد يا دكتور. دي حاجة تشرفني!

اصطحب الدكتور حسين نور في اتجاه المنصة، وروح تنظر في ذهول متسائلة ما الذي يحدث، وقلبها يخفق بقوة، ثم أعلن عن تشريف الكاتب الكبير نور له بمشاركته الشاعرة روح ابنة وطنه مصر في قراءة المقطوعة المختارة بدلاً منه.

لم تُصدق روح ما سمعت، وأحست برجفة وقشعريرة قوية تنتاب قلبها. وقف نور أمامها، ومد يده مُسلماً عليها، وروحه تسبق يده، وعيناها تكادان تحتضنانها كلها في داخله، وتضمّانها إلى صدره برقة وقوة في ذات الوقت.

قال لها نور:

- إزيك يا روح!؟

سلمت روح عليه بيدها، وأسلمت له قلبها وروحها. كانت عيناها تذوبان بالنظر إلى عينيه. تركت كل خلايا جسدها تستشعر وجودها بقربه. تركت يدها تتلمس كل ذرة في يده الممدودة بالسلام والحب.

سحبت يدها مرغمة من يده كما سحبت نفسها من حياته وذهبت عنه، ولكن شيئاً ما سرى في جسدها كله. أحست أن الجزء المفصول من جسدها وروحها عاد إليها. شعرت بالكمال جسدياً ومعنوياً بعد طول فقد ونقصان. شعرت بتجسيد المعنى الذي طالما شعرت به تجاه نور. شعرت برجوع الفرع إلى أصله. هي الفرع ونور أصلها. أمسك كلُّ منهما بنسخته من الديوان، وبدأت روح في القراءة وهي تنظر إلى نور ولا تنظر إلى الضيوف، كأنهما وحدهما في عالم خاص بهما، عالم لا يدخله سوى المحبين، ولكنهما ليسا كأبي محبين، إنهما - كما قال لها الشيخ بهاء - عاشقان. إنه محق كل الحق، فالحب للعوام والعشق للخواص، وهو وهي من خواص الخواص في العشق. إنهما روح واحدة وجسد واحد فُصلا عن بعضهما البعض.
بدأت روح في القراءة ناظرة إلى نور:

وأنت لتسأل شيخها مستفتية

ما حد من سرق الفؤاد وهاجرا

قال لي على قلبي أقبلي

قد حدّرتني أنني لا أتحمل

قال الاحتراق في الحُب ينضج القلوب وتأكدي لن تتألّمي

فأطعته، وهأنا في نار عشقه أتحرق

وأنادي اسمه فلا أسمع سوى الصدى

ألم يُعلِّمه شيخه أن النار عذاب وضني

ألم يُعلِّمه شيخه أن الله جعل النار عقاباً لمن كان قلبه غافلاً

وأنا والله ما كان أبداً قلبي عنه غافلاً

قد كان يعلم أنني أحبه

قد كان يعلم أنني أهوى قربه

ما كان حُبِّي له هشاً عابراً

أَيْحُلُّ أَنْ يَسْرِقَ فُوَادَ خَلِيلِهِ
وَيَنْسَى الْهَوَى وَيَتْرُكُهُ مَغَادِرًا
أَهْنَا يَتْرُكُ الْخَلِيلَ خَلِيلَهُ

ثم بدأ نور في قراءة الجزء الخاص به ناظرًا إلى روح:

فأجابها الشيخ متألمًا وعيناه
تذرفان دمعًا على الخدود تناثرًا
ما أدراك لعله هو أيضًا يكتم الهوى
ما أدراك لعله هو أيضًا في البعد قلبه يتشطرًا
ما أدراك لعله يحترق بالشوق المخزون في الحشا
ما أدراك لعله في العشق مستعصمًا
ما أدراك لعله يجاهد نفسه
ما أدراك لعله يذرف الدمع ليلاً في صلاته شوقًا لعينيك وقد هجرهما مرغما
ما أدراك لعله يحترق بنفس النار التي قلبك فيها معذبًا
فاصبري يا صغيرتي فالصبر في الحب عند الله مؤجرا

قالت روح:

فأجابته وهي تذرف الدمع مبتسمة له
إذن سيدي أنت تبكيني ليلاً شوقًا، وأنا هنا أشكو هجرك ولهيب حبك يحرق مهجتي
والله ما أَرْضَى لَكَ فِي حَبِي الْعَذَابَ حَتَّى وَإِنْ كُنْتُ أَنَا بِحَبِّكَ أَحْتَرِقُ وَأَتَعَذَّبُ
اعلم سيدي أنك ما هجرتني إلا لتحميننا ولنستعصمًا
ولكن ربي قال «إلا أن تقولوا قولاً معروفًا» سيدي
فقط قل لي القول المعروف ونفذ ما قال الله في قلوبنا

قال نور:

فتبسم الشيخ ودموعه بللت لحيته
والله إنك لمريدة ماكرة
تُعلمين شيخك ما قال ربه وكيف يتصرّف
ولكني والله أدبتك فأحسنيت تأديبك في الهوى
القول المعروف شرطٌ عَقَلُ عَنْهُ شَيْخُكَ الْمُعَذَّبُ فِي الْهَوَى
وها أنتِ تُذَكِّرِينَهِ بِرَحْمَةِ رَبِّنَا بِنَا
ادني مني صغيرتي فالقول المعروف كلمة لا تُنطق إلا همسًا ولا تُشرح ولا تُفسرا

قالت روح:

دنت منه مبتسمة ودموعها تجري وعينها خجلة من شيخها

قال نور:

قال صغيرتي إن القول المعروف حقًا يُقال همسًا ولكن العيون يجب أن تتعانق
إن أردت تنفيذ أمر ربك في الهوى فأقبلي وانظري في عيني ولا تخجلي

قالت روح:

رفعت عينيها إلى عينيه وقالت مبتسمة إن كان أمر ربي فأنا والله مُسَلِّمة

وإن كانت النظرة إلى شيخي فإني بايعته على الحب وأسلمت له قلبي طواعية

قال نور:

فتبسم وقال بل النظرة لحبيبٍ أتلفت روحه بتعلق
وقع أسير هوائك وحبك الذي أمر به وكُلف
يقدم قلبه وروحه لك رهينة إلى أن يأذن ربنا
فهل تقبلين بهما قولاً معروفاً وترحمي شيخك من عذاب الهوى

قالت روح:

تبسمت وقالت قبلنا رهينتكم سيدي التي لا تُقدر بثمن
سأحفظها بروحي إلى أن يأذن ربنا
وعهداً عليّ ألا أمل الانتظار ولا حتى أتساءل متى
أمانتكم محفوظة مولاي إلى أن يأتي يوم استرداد الأمانات برضا الله علينا في حبنا

قال نور:

نظر إليها بتحدٍ وقال ولكنك لم توقّي بأمر الله كما وقّي شيخك وأسلم
شيخك لم يسمع قولك المعروف ولم يأخذ أمانة منك وما زال لعهدك لم يتسلم

قالت روح:

تبسمت بخجلٍ وقالت ولكن شيخي إن القول المعروف للرجال
أليس هكذا أمر ربنا

قال نور:

تبسم بمكر وقال إنك دائماً تغفلين الفصحى
وما زلت من علم شيخك بعد لم تنتشربي
إن واو الجماعة للجمع في قوله «وقولوا»
فقولي ولا تتمنعي

قالت روح:

تبسمت بدلال وقالت
نعم واو الجماعة للجمع شيخي كما علمتني
وأنا وأنتم واحد سيدي فكيف نشطر ما جمع الله فينا بحبنا

قال نور:

تبسم وقال كنتُ شيخكِ وكنْتِ مرديتي
والآن أصبحت مولاتي وأنا مرید حبكِ الذي عن عهدك يوماً لن يتخلف

قالت روح:

تبسمت وقالت لكنك سيدي لم تخبرني ما حد من السرقة الفؤاد وهاجرا

قال نور:

قال يعود فوراً ويُقدّم قلبه قرباناً في العشق ولا يتعننا
أنهى نور قراءته وهو ينظر إلى روح وهي تنظر إليه وسط تصفيق الجماهير بشدة وإعجاب بذلك
العزف الثنائي الذي أبدع فيه العاشقان واستمتع به الحضور. لم يكن أيٌّ منهما يسمع أو يرى سوى
الأخر. لا أصوات جماهير، ولا تصفيق، ولا نظرات إعجاب، ولا أي شيء. كانا منعزلين في

محراب عشقهما، تحفهما ملائكة الحب والرحمة. كانت تلك المناجاة رحمة من الله للعاشقين، أنزلها عليهما رحمة بالقلوب التعب التي تحمل في داخلها الكثير من العشق والألم والعذاب. توجه الدكتور حسين إلى نور مصافحاً إياه بحرارة، وشاكراً له التحية المتميزة التي قام بها كاتب كبير له وزنه، ثم توجه إلى روح وأمسك يدها وقبّلها برقة تعبيراً عن امتنانه لها، مصرحاً بأن إحساسها وأسلوب إلقائها للمقطوعة زاداً المقطوعة جمالاً وسحرًا.

لم يشعر نور بالارتياح لتصرف الدكتور حسين بتقبيل يد روح. هو يعلم جيداً ألا شيء يدور في عقل الدكتور حسين تجاه روح، وأن مثل هذه التصرفات معتادة من الأشخاص الذين يعيشون في بلدان أوروبية أو حتى بعض الناس في مصر، ولكن لم يشعر نور بالارتياح لاقتراب أي رجل من روح وتقبيل يدها، فلا أحد مسموحاً له بالاقتراب من هذا الجسد حتى لو كانت اليد فقط، وحتى لو كانت قُبلة تحية وتقدير لا تحمل أي مشاعر أخرى. إن هذا الجسد لي وحدي! هذا الجسد له قدسية خاصة! لا يجب أن يقربه العوام كما يقربون بعضهم البعض! إنها القديسة المحرمة! روعي!

شعرت روح بعدم ارتياح نور لتلك القُبلة، فابتسمت لنفسها ولم تنظر إليه. أسعدتها بذبذبات الغيرة التي شعرت بها من نور، فهذه المرّة الأولى التي تشعر بذبذبات غيرة منه عليها. لم يخطر ببالها أن يكون نور مثل باقي الرجال، يشعر بالغيرة والقلق عند اقتراب الرجال من المرأة التي يحبونها. كانت تتخيل أنه لكونه شيخاً مربيًا، والاتصال الروحي بينهما الذي يتعدى حدود المشاعر البشرية العادية، قد يكون ذلك حامياً له من مثل هذه المشاعر، ولكن نور على الرغم من كل ذلك هو في النهاية رجل، يشعر كما يشعر الرجال، ويغار كما يغار الرجال.

مد نور يديه الاثنتين إلى روح، ممسكاً بيديها الصغيرتين برفق، ناظرًا في عينيها بكل إعجاب، قائلاً:

- كنت أكثر من رائعة! جمال في جمال!

ابتسمت برقة وهي تنظر في عينيها بجرأة، وقالت له:

- أهو إنت!

ابتسم نور ولم يُعلق. اكتفى فقط بإطالة النظر إلى عينيها، وتفحص تلك النظرة الأنثوية الجريئة التي اكتسبتها ولم يحظّ بها مُسبقًا.

سحبت روح يدها من بين يديه، هاربة من الحالة التي أدخلتها فيها قراءة المقطوعة ومفاجأة المقابلة، متجهة إلى الشيخ بهاء وضيف قائلة:

- تعال يا نور، عايزة أعرفك على سيدي بهاء.

نور: استنتي بس، أنا عايز أتكلم معاك!

روح: هنتكلم، هنتكلم كثير، بس ما يصحش أسيب سيدي لوحده!

نور: سيدك مين يا روح!؟

روح: هتعرف دلوقتٍ. سيدي، أحب أعرفك على أهم شخص في حياتي، نور. نور وهو نور. نور، أعرفك على سيدي بهاء، هو طبعًا عميد عائلة بندر الإيرانية العريقة في العالم، بس بالنسبة لي هو سيدي بهاء أجمل حاجة في قونيا بعد مولانا الرومي طبعًا. جبراني وعيلتي الثانية اللي ربنا بعتهالي في قونيا.

كان نور ينصت إلى روح وهي تعبر عن مكانته عندها، ووصفها بأنه أهم شخص في حياتها بإعجاب وسعادة.

صافح نور الشيخ بهاء قائلاً:

- تشرفنا يا أفندم.

الشيخ بهاء: الشرف لنا يا ابني.

تدخل ضيف مصافحاً نور، ومعرفاً نفسه بنفسه:

- ضيف بندر.

تذكر نور شكل ضيف في الصورة التي رآها على تلفون براء، وتذكر أنه أخبره أنه يحب روح.

صافح الرجل الذي يحب روحه بشكل رسمي وبنوع من الجمود:

- أهلاً وسهلاً. إنت أخو الدكتور حسين؟

ضيف: لا، حسين ابن عمي.

نور: فرصة سعيدة يا ضيف.

ضيف: إحنا أسعد يا أستاذ نور.

نور: لا، أرجوك خليها نور بس! أي حد قريب من قلب روح يبقى مفيش تكليف بيني وبينه!

ضيف: بس بصراحة دي مفاجأة إن إنت وروح تطلعوا تعرفوا بعض من قبل كده! أنا شخصياً

اتفاجئت جداً!

ابتسم نور بثبات وقال:

- علاقتي بروح فيها حاجات كثير ما تتصدقش، والمفاجآت فيها ما بتخلصش!

كانت روح تنظر إليه بسعادة وإعجاب وهو يصف تميز الرابط بينهما بطريقته التي لا يفهما

سواهما.

ضيف: ما شاء الله! فعلاً روح حكلي كثير عن دورك في حياتها. ربنا يبارك فيك!

نور: الله يحفظك. متشكر.

اقترب الدكتور حسين ووجه كلامه إلى نور:

- إيه المفاجأة الجميلة دي يا نور؟! ما أكدتش إنك جاي يعني؟! أنا قلت مشغول زي عادتك!

نور: أنا فعلاً مشغول يا حسين، وباكتب في أكثر من حاجة في نفس الوقت، ودي مش عادتي

خالص، بس إنت عارف غلاوتك عندي، ما اقدرش أتأخر عليك. وربك أذن. أنا خدت قرار السفر

وعملت كل الترتيبات في ٤٨ ساعة بس!

تدخلت روح بشغف:

- بنكتب إيه يا نور؟!

نور مبتسماً:

- باكتب حاجة مختلفة شوية عن الحاجات اللي متعود عليها.

الشيخ بهاء: إنت عادةً بنكتب إيه؟ زي حسين شاعر؟

نور: لا سيدي، أنا باكتب كتابات صوفية تأملية.

الشيخ بهاء: الله!

نظر الشيخ بهاء إلى الدكتور حسين نظرة امرأة:

- عايز كتب نور أقرأها!

الدكتور حسين: حاضر جدي. بكرة إن شاء الله يكونوا عند حضرتكم.

شعرت روح أن النوعية الجديدة التي أشار إليها نور لها علاقة بها، ولكنها تريد أن تتأكد منه وتسمعها منه، نظرت إليه بهيام وكررت السؤال:

- بنكتب إيه يا نور؟!

تعمد نور أن يحول نظره عن روح ناظرًا إلى الدكتور حسين قائلاً:

- تصور يا حسين، نور سيف الدين الكاتب الصوفي بيكتب حُب دلوقت!

ابتسمت روح في هدوء وهي تنظر إلى نور، وتردد في قلبها: «كنت عارفة! كنت متأكدة! والله كنت عارفة!».

تدخل الشيخ بهاء:

- وهي الصوفية إيه غير حُب في حُب يا مولانا؟

نور: العفو سيدي. حضرتك اللي مولانا. المقامات محفوظة. طبعًا حضرتكم عندكم حق. الصوفية إيه غير حُب في حُب، بس أنا أقصد إني أول مرة أتناول الحب البشري وليس الإلهي.

الشيخ بهاء: شوف يا ابني، الصوفي اللي ما دابش دوبان في الحب البشري، ما عشقش وما سهرش وما قضاش ليالي يناجي ربه من حبه، يبقى محروم من حاجات حلوة كثير. مش مولاك الحلاج لما سأله متى نصل إلى العشق الإلهي؟ قال عندما تتذوق العشق البشري. لن تتذوق من نهر المحبة الإلهية إلا إذا غرقت في نهر المحبة البشرية. إحنا نقول حاجة بعد الحلاج؟ نور: الله يا سيدي!

الشيخ بهاء: راقب نفسك بعد النوعية الجديدة دي اللي بقيت بتكتب فيها، هتلاحظ إن كتاباتك هتختلف كثير عن قبلها، وابقى افكرني بدعوة حلوة. الله أعلم هابقى لسه هنا ولا هاكون رحح لحبيبي خلاص.

ضيف: ربنا يديك الصحة يا جدي ويديمك فوق راسنا.

أمن الجميع على كلام ضيف، ثم تدخل الدكتور حسين قائلاً:

- طيب بمناسبة الصحبة الحلوة دي أنا عازمكم على العشا النهارده، بعد إذن جدي طبعًا.

نور: ده واجب علينا يا دكتور. ما يصحش.

الشيخ بهاء: صدقت يا ابني ما يصحش. ضيف، رتب كل حاجة مع حسين والأستاذ نور علشان العشا عندنا بكرة في البيت.

حاول نور أن يهرب من العشاء، ولكن كلام الشيخ بهاء أمر يسري على الجميع.

نظر الشيخ بهاء إلى ضيف وأمسك بيد روح وقال:

- مش نروح بقي يا ضيف؟ أنا ميعاد نومي قَرَب.

ضيف: أمرك جدي.

الشيخ بهاء: مبروك يا حسين. على البركة يا دكتور.

انحنى الدكتور حسين مقتلاً يد الشيخ بهاء، شاكرًا تشريفه حفل التوقيع، كما صافح روح شاكرًا لها مشاركتها المميزة في الحفل، وسلم أيضًا بحرارة على ضيف.

كان نور ينظر إلى روح وعيناه تتشبثان بها، رافضًا أن تغيب عنه مرة أخرى، متمنيًا أن يتوقف الزمن بهما وتبقى أمام عينيه ولا تغيب عنه أبدًا.

روح: تصبح على خير يا نور. هاشوفك بكره. صح؟

نور: صح.

لأول مرّة منذ فترة طويلة يشعر القلبان المحرومان بهذه السعادة. لم يستطع نور النوم. كان يريد أن يبقى ساهراً يطوف شوارع لندن وميادينها ليلاً حتى الصباح، يتذكر كل كلمة وكل نظرة ويسترجع كل الأحاسيس التي شعر بها اليوم منذ وقعت عيناه على روح وهو على باب القاعة. كان يطوف شوارع لندن ليلاً وعلى وجهه ابتسامة عريضة ولا يشعر ببرودة الجو، فقلبه دافئ، وروحه مشتعلة شوقاً للدرويشة التي وجدها في قلبه ذات يوم، ومنذ ذلك الحين وهو يطوف حول قلبه كما يقول مولى الحب جلال الدين الرومي. شعر أن هناك الكثير يدور بداخله يريد أن يسكبه على الورق في كتابه الجديد.

وصل إلى غرفته في الفندق وأخرج دفتره، وبدأ القديس في الكتابة:

قال لها: قلبي يتساءل هل ذاق قلبك ما ذاقه قلبي في الهوى؟

فقلت له: لا، بل ذاق ما لم يذقه قلبك في الهوى. ذاق العشق وتعدى كل أحاسيس الهوى.

فقال لها: لا والله، لم يتعد بعد كل أحاسيس الهوى. أهدأ كل ما تعرفين عن الحب والعشق والهوى؟

قالت: نعم.

فقال لها: إذن أنت لم تذوقي ما ذاق قلبي في الهوى. حبيبتني، إن هناك في العشق ما يصل بالقلوب في الحب إلى سدرة المنتهى، عندها جنة المأوى. عندها تكوينين قاب قوسين أو أدنى من الفناء في الحب عن نفسك وعن كل الوجود، فيتحقق عندئذ الشهود وتغييب عن الإبصار، ولكنك أبداً لا يزيغ بصرك عن المعشوق، وتلك هي الرؤية بالقلب. تقسمين فيها يقيناً أنه ما كذب الفؤاد ما رأى. أتعرفين ما اسمه؟ إنه الوله. إنه التأدب في الهوى. أن تمضي خلف قلبك بلا حيلة ولا إدراك ولا سيطرة، تماماً كما تعبدن الله. لا تجزئي على الالتفات عنه ولا حتى تجزئي أن تتساءلي لم؟

لا يطلعك ربك على أسرار ولهك، ولا يعلمك مفاتيح الجوى، إلا إذا جاء الإذن منه وحلت بك رحمة الهوى. تلك رحمة لا توهب في الحب ولا العشق ولا حتى أعلى درجات الهوى. تلك رحمة يغمرك الله بها عندما تُصلين ليالي في محراب العشق هائمة، ويجري دمك الساخن يحرق وجهك من شدة الهوى، وتسلمين لله بقلبك أنك لا حول ولا قوة لك في هذا الحب، فتقدمين قلبك قرباناً لله من شدة الجوى. إنه الوله مولاتي. أغمضي عينيك وانظري ببصيرة قلبك إلى قلبي، فأنا هناك عند سدرة المنتهى.

دخلت روح أيضاً غرفتها مسرعة، تخبي كل أحاسيس السعادة بداخلها، لتختلي بها وحدها وبعيداً عن عالية والبنات وأحاديثهن الليلية، هاربة من محاولات ضيف المستميتة للتودد إليها. كانت تريد أن تختلي بحبيبها. هي ونور وذكريات الليلة والأحاسيس المتأججة بداخلها. طرحت نفسها على الفراش وهي تنظر إلى سقف الغرفة بابتسامة عريضة وعينين لامعتين ويدين مفتوحتين وخصلات شعرها تتناثر بحرية خلفها. حدثت ربها بصوت مسموع كما اعتادت أن تتأججه، ولكن هذه المناجاة لم تكن حزينه مليئة بالألم والدموع والتوسل بالرحمة من حب نور كما تفعل، بل كانت مناجاة كلها سعادة وفرحة. حدثت ربها وهي مبتسمة قائلة: «هو أنا صحيح عارفة إنك بتحبني، بس للدرجة دي؟ إنت بتحبني أوي كده يا رب؟ تبعتلني حبيبي لغاية عندي؟ تجييلي نور ومن غير ما أطلب؟ طب أنا أعمل إيه دلوقت؟ أشكرك إزاي؟ أنا باحبك أوي. إنت طبطبت عليّ طبطبة كبيرة أوي. هيّ صحيح مش كبيرة عليك، بس كبيرة عليّ أنا. أنا خلاص، بعد كده مش هادعي ولا أطلب حاجة. ما هو إنت شايف قلبي وعارف أنا نفسي في إيه، وبتبعتلني اللي باحبه في الوقت اللي إنت شايفه ينفع ومناسب. أقوم أنا بعقلي الصغير وقلبي اللي ما بيستحملش الوجود أدعي وأطلب منك تريحه؟ طب ما إنت بتريحه على طول، وبتطبطب عليه طول الوقت. طبطب وريح قلبي كمان وكمان يا رب. إنت حبيبي الرحيم والودود، وأنا روح الطمعانة في كل أسمائك وصفاتك. افتحلي خزائن رحمتك كمان وكمان يا حبيبي. افتح يا حنان يا منان. افتح يا معطي يا جواد. افتحلي السماء بماء منهمر يا مفتاح الأبواب يا الله.»

تذكرت روح فجأة إحدى آيات سورة الكهف: «فَأَرَدْنَا أَنْ يُبَدِّلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِنْهُ زَكَاةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا»، ومنها فهمت روح العلامة الخامسة ودونتها:

العلامة الخامسة

**لا تحزن على سلب نعمة، فربما كان السلب استبدالاً. وليس كل ما مُنِعَ حرماناً.
قد يكون قدرك عند الله أعلى مما سُلِبَ منك،
والله يريد أن يبذلك خيراً منه.**

قامت وسجدت سجدة شكر لله على الرحمة التي استشعرتها من الرحمن الرحيم برؤيتها لنور والحديث معه بعد طول غياب، ثم جلست جلسة خشوع وانتابتها حالة من حالات التجلي التي تنتابها وهي تناجي الله. أغمضت عينيها ووضعت يدها اليمنى على قلبها وقالت: «التحيات لله والصلوات والطيبات. التحيات لله والحب لله والقلب لله الواحد الأحد. إلهي، أنت الحبيب الذي أحبني كما لم يحبني أحد، وكما لن يحبني أحد. أنت الواحد الأحد الذي كان دائماً هناك من أجلي، وما زال حولي، وسوف يظل دائماً وأبداً موجوداً لأجلي. أنت القيوم عليّ طول عمري، وكنت القوي كلما كاد جدار روعي أن ينقض، وكنت أنت الذي تقيمه من أجلي. أنت وحدك يا ربي. إلهي الذي حمى قلبي من أن تسكنه ظلمة وراء ظلمة، وكنت تضيئه دائماً بنورك عندما لم يكن على الطريق نور سوى نورك وحدك، وأنوار من تجليت بهم من أجلي رحمةً بقلبي. أحبك يا ربي.»

استحضرت وجه نور وهو يقرأ أمامها اليوم المقطوعة الشعرية، واستحضرت نظرة عينيه العاشقة المكبلة، وابتسمت كأنها تبتسم له، واستحضرت مشهد جلوسها معه في القاهرة واستماعها إليه وعيناها تختلط فيهما لمعة الانبهار بالمُعَلِّم ولمعة العشق، فتضيء وجهها كله نوراً كما لو كان هناك بالفعل نور ينبعث من قلبها ويضيء وجهها. نور الحب. شعرت بأن هناك الكثير من المشاعر التي تحتاج لأن تخرجها على الورق، فأخرجت دفترها وكتبت: قل لا أحبك إذا كنت لا تستطيع أن تقولها من دون.. لا.

قل لا أحبك وأنا سوف أسقط.. اللا.

قل لا أحبك وأنا سوف أغفر لك كذبتك، فإله يغفر، فكيف أنا.. لا؟

قل لا أحبك ربما تستطيع أن تخرج عن صمتك بقوة.. اللا.

قل لا أحبك ولا تصمت، فالصمت ينفي كما تفعل.. اللا.

قل لا أحبك ولا تصمت. قل أي شيء يحرك تلك المياه.

قل لا أحبك كي أسمعها منك حتى ولو سبقتها.. لا.

قل لا أحبك ودع قلبي يتولى مهمة تكذيب.. اللا.

قل لا أحبك فأنا أحب كل شيء منك حتى وإن كانت.. لا.

قل لا أحبك إن كان الزمان والمكان يفرضان وجود.. اللا.

قل لا أحبك حتى أردتها عليك من دون.. لا.

قل لا أحبك، ثم انظر في عينيّ وقل.. لا.

أنا العاشقة. أنا الهائمة. أنا المتلفة. أنا التي تتمنى أن تسمع أي شيء حتى ولو كان.. لا.

وضعت روح رأسها على وسادتها، وأغمضت عينيها بقوة، تماماً كما يفعل الصغار ليلة العيد، معتقدين أنهم يستدعون العيد بشكل أسرع عندما ينامون سريعاً. وكيف لا يكون لقاءها مع نور عيداً؟ إنه أجمل الأعياد وأسعدها على الإطلاق.

في طنجة كانت حياة في حال مختلفة عن حال نور وروح. كانت مرتبكة. لقد واجهت نفسها لأول مرة بانجذابها إلى فؤاد. لم تعد تستطيع تجاهل هذا الانجذاب وتغليفه بغلاف الانبهار بالشخصية والثقافة فقط، ومع محاولات فؤاد المتتالية للتقرب منها لم يعد هناك مجال للشك. إنه الإعجاب الذي لن يدوم طويلاً ليقفز إلى أولى درجات الحب والتعلق.

نظرت حياة إلى نفسها في المرآة وقالت: «لأ. مش ممكن. مش أنا اللي أعمل كده. إزاي أسيب نفسي لمشاعر ملهائش أي مبرر تدخل حياتي وتلخبطها وتحطني في حيرة بين نور وأي حد ثاني؟! حيرة ليه من أساسه؟ أنا لازم أهرب. أيوه أهرب وبسرعة كمان. أنا مش هاسمح لأي حاجة تشقلب حياتي وتشقلب كياني وأبقى مش عارفة أروح فين وأعمل إيه؟ أنا مش هاسيب البنزين جنب النار!». «.

وضعت رأسها لتنام، وعقدت النية على السفر إلى القاهرة لنور. يجب أن تعود بسرعة وتتخطى معه كل الأحاسيس غير المبررة التي اجتاحتها تجاه فؤاد.

استيقظت في الصباح وذهبت لتناول الإفطار مع جميلة وفؤاد، وكانت نظرات فؤاد تخترقها فتبدل مجهوداً لتجاهلها، وتجاهل كلمات الإعجاب التي بدأ يزيد من جرعتها عندما أحس أنها بدأت تؤثر فيها.

جميلة: ها هنعمل إيه النهارده يا فؤاد؟

فؤاد: النهارده أنا عامل مفاجأة لحياة.

حياة باستغراب:

- مفاجأة ليّ أنا؟

فؤاد: طبعاً. أنا عارف إنك بتحبي الحضارة الإسلامية، وفيه في طنجة جامع مهم اسمه جامع القصبه في منطقة على ضفة وادي الحلق، أنا هاخذك هناك علشان تصلي، مش إنت بتحبي تصلي وتحبي الجوامع القديمة؟

ارتبكت حياة من اختيار فؤاد لزيارة إسلامية في الوقت الذي تعلم جيداً أن هذه المزارات ليست النوعية التي قد يختارها في مدينة شاطئية مثل طنجة.

حياة: طبعاً دي مفاجأة جميلة أشكرك عليها، بس أنا عارفة إن إنتو مش بتتبسطوا في الأماكن دي. خيلنا نقضي اليوم على البحر النهارده، وأنا ممكن الصبح وأنا طالعة المطار أعدي لوحدي أعمل الزيارة دي وأصلي هناك!

اندهش فؤاد وجميلة من تغيير حياة للبرنامج الموضوع وقرارها بالسفر.

جميلة: مطار؟! مطار إيه يا حياة؟! إحنا لسه واصلين! فيه حاجة ولأ إيه؟! مامتك كويسة؟

حياة: أيوه. أمي بخير. بس أنا قررت إني لازم أسافر مصر. نور وحشني ولازم أرجعله! كان فؤاد ينظر إليها بثبات ولا يتكلم. كان يعلم ما يدور في رأسها.

قامت جميلة لتحضر المزيد من الطعام، وتركت حياة وفؤاد بمفردهما.

فؤاد: بتهربي ليه؟

تفاجأت حياة من صراحة فؤاد وجرأته.

حياة: أهرب من إيه؟

فؤاد: إنتِ عارفة بتهربي من إيه!
حياة: أنا مش فاهماك خالص!
فؤاد: إنتِ فاهماني كويس، وفاهمة نفسك كمان، علشان كده بتهربي!
حياة: أنا ما اتعودتش أهرب من أي حاجة في حياتي أيًا كانت!
فؤاد: لكن إنتِ بتهربي دلوقت!
حياة: غلطان. فيه فرق كبير بين إنك لما تكتشف إنك مش مرتاح في وضع معين فتضع له حد فورًا، وبين إنك تهرب!
فؤاد: وإيه اللي مش مريحك؟
حياة: دي حاجة تخصني لوحدي!
فؤاد: لأ، تخصني أنا كمان!
حياة: مش مضبوط. قرار سفري يخصني لوحدي!
فؤاد: متأكدة؟
حياة: متأكدة جدًا.
فؤاد: خليني بس أقولك إن فيه حاجات بتقابل الواحد في حياته مرّة واحدة، ولو ما فهمش أد إيه الحاجة دي حلوة ومش هتتكرر وبعد عنها بيعيش العمر كله ندمان عليها.
حياة: مضبوط. وهوّ ده بالضبط اللي خلاني أقرر أسافر. الحاجة الحلوة دي اللي مش هتتكرر أنا قابلتها وعايشاها مع نور، وتحت أي ظرف معنديش استعداد أضحي بيها، لأنني فعلاً لو ضحيت بيها هاعيش عمري كله أندم عليها!
لم يعقب فؤاد على كلام حياة، واكتفى بنظرته المخترقة لها، وهو متأكد أنها تهرب من أن يقتحمها أكثر، فتجد نفسها في وضع محير لا تملك فيه أي حيلة.
وصلت جميلة وشعرت بتوتر بين حياة وفؤاد.
جميلة: فيه إيه؟ مالكم؟
حياة بقوة:
- أبدأ. خلوني أستأذن علشان أحجز تذكرتي وأجهز نفسي، وبتقابل بعد ساعة ونقضي اليوم على البحر.
مضت حياة مسرعة إلى غرفتها، واتصلت بنور كأنها تريد أن تختبئ بداخله من فؤاد وجرأته.
حياة: حبيبي إزيك، وحشتني!
نور: إزيك حبيبتي، عاملة إيه؟
حياة: مش عارفة يا نور.
نور: مالك يا حياة؟ صوتك مش كويس!
حياة: فعلاً. أنا مش كويسة. أنا عايزة أجيبك بسرعة وتاخذني في حضنك وبس!
نور: ما تقلقنيش عليك يا حياة! فيه حاجة حصلت؟
حياة: أبدأ. أنا بس حاسة إنني مش مرتاحة، وقررت أرجع القاهرة بكرة. خلاص أنا مش هاكمل الرحلة!
نور: ترجعي بكرة؟ ليه؟ إيه اللي حصل؟!
حياة: ولا حاجة يا نور. زهقت!

نور: طيب يا حبيبي خلاص. لما تيجي نتكلم. بس أنا لسه واصل لندن إمبراح.
حياة: صحيح، أنا نسيت خالص موضوع سفرك. خلاص أنا هاجيلك لندن.
نور: وأنا مستنيك. لما تحجز الطيارة ابعتيلي علشان أطلعك المطار.
حياة: ملوش لازمة يا حبيبي. أنا هاخذ تاكسي من المطار وأجي. مش إنت في نفس الأوتيل اللي
بننزل فيه؟

نور: أيوه يا حبيبي. بس متأكدة إنك مش عايزاني أطلعك المطار؟
حياة: أيوه يا حبيبي، ملوش لازمة تيجي المشوار ده كله. أشوفك بكرة إن شاء الله.

*

لم يرتح نور لمكالمة حياة، ولم يرتح أيضًا لقومها إلى لندن في الوقت الذي كان يطلق فيه العنان
لمشاعره لتعانق مشاعر روح بعد طول فراق. ذهب نور إلى منزل الشيخ بهاء ومعه هدية قيمة.
أقبلت روح سريعًا إليه وعيناها مفتوحتان كأنها تريد أن تشبعهما من وجهه وعينيه وهالته
النورانية. لقد أرسله الله إليها لتتنظر وتتنظر وتخزن تلك النظرات في قلبها عندما يأتي موعد
الفراق مرةً أخرى.

مدت يدها مصافحة:

- إزيك يا نور؟

نور: أنا؟

تفاجأت روح برد نور، وضحكت وقالت:

- أيوه إنت طبعًا.

نور: إزيك أنت؟

روح: أنا مبسوطه، مبسوطه أوي!

نور: يبقى أنا مبسوط، ومبسوط أوي كمان!

فهمت روح على الفور رد نور، وسحبت يدها سريعًا وقلبها يرقص طربًا من رده غير المتوقع
على سؤال عادي. كانت دائمًا تستوقفها عبارة السري السقطي أحد أعلام التصوف الذي قال: «لا
يكتمل العشق إلا إذا قال العاشق للمعشوق يا أنا». كانت كلما مرت بها شعرت أن شيئًا في هذه
العبارة يناديها. وها هو نور قالها. قال لها يا أنا. ذهبت روح مسرعة وأحضرت عالية وعرفتها
على نور.

روح: أنا متأكدة إن براء حالك عن ليلي. هي دي بقى يا سيدي ليلي.

ابتسم نور وصافح عالية وقال:

- حكالي طبعًا. تشرفنا يا ست ليلي.

ابتسمت عالية وقالت:

- الشرف لينا إحنا يا أستاذ نور. أنا مش مصدقة إنني اتعرفت على حضرتك. براء وروح حكولي
كثير عنك، وما كنتش متخيلة إن الصدفة ممكن تجمعنا في يوم من الأيام وهنا في لندن! بصراحة
لو مين كان قالي ما كنتش صدقت.

ابتسم نور وهو ينظر إلى روح وقال:

- مفيش صدفة في ملك الله!

دخل الشيخ بهاء الصالون ورد على نور:

- طبعًا. كل شيء مكتوب في اللوح المحفوظ من زمان.

تقدم نور لتحية الشيخ بهاء وانحنى مقبلًا يده:

- السلام عليكم سيدي.

الشيخ بهاء: وعليك السلام والرحمة يا ابني.

نور: أنا آسف لكم والله! أنا كان نفسي أجيب لحضرتك مجموعة من كتبي، بس للأسف ما لقيت في المكتبات هنا، ومفيش معايا ولا نسخة من أي كتب لي، بس أوعد حضرتك أبعثهم على قونيا لما أرجع مصر إن شاء الله.

الشيخ بهاء: كله بأمره يا ابني. لما ترجع براحتك ابعت الكتب.

دخلت البنات، وعرفتهن روح على نور.

جلس الجميع يتجادبون أطراف الحديث إلى أن وصل الدكتور حسين وزوجته فرح ناز.

تناول الجميع العشاء في جو من الألفة. كان الشيخ بهاء كعادته يقود دفة الحوار، يتحدث عن ذكرياته في مصر وذكرياته في طهران قبل الثورة، والدكتور حسين ونور وضيف يشاركون في الحديث من وقت إلى آخر.

كان نور يلحظ اهتمام ضيف بروح ونظراته إليها، ولكن ضيف لم يكن يلحظ ذبذبات الحب التي كانت تنبعث من نور وروح. أعجب الشيخ بهاء بشخصية نور وعلمه الغزير، بل ورأى هالته النورانية، وعلم أنه ليس مجرد كاتب صوفي فحسب. أدرك الشيخ العجوز أن نور له مكانة ومرتبة خاصة، وأن له حظًا وافرًا من اسمه. هو بالفعل نور. كما أدرك نور أيضًا أن الشيخ بهاء ليس مجرد كبير العائلة وعميدها، وإنما هو ولي مخفي له قدر عالٍ ومقام رفيع. ثم فاجأ الشيخ بهاء الجميع برغبته في الاختلاء بنور. حتى نور شخصيًا تفاجأ. استأذن الدكتور حسين وزوجته بالانصراف، واستأذنت البنات وروح وضيف، وتتركوا نور والشيخ بهاء وحدهما. جلس نور بالقرب من الشيخ العجوز وابتسم له في صمت.

الشيخ بهاء: أنا فهمت إنك في مرتبة الأخ الأكبر لروح وصديقكم براء. مضبوط ولأنا كبرت وخرفت؟

نور: العفو سيدي. تمام.

الشيخ بهاء: أنا عندي سؤال محيرني من يوم ما سمعت الولد براء بينشد. وربنا بعثك لندن علشان تجاوبني عليه.

نور: خير سيدي؟

الشيخ بهاء: إيه سر الولد ده؟

نور: سره في قلبه سيدي. براء من أنقى القلوب اللي قابلتها في حياتي. طريقه لله حب بس. رايحله بقلبه وبصوته. بيحب ربنا وسيدنا النبي. عايش حياته بينشد في حب الله ورسوله. أمله ينشد في حضرة المصطفى في الجنة. ما سمعتوش بيتمنى غير الأمنية دي!

الشيخ بهاء: الله! اللهم صلِّ على الحبيب طب القلوب، وآله.

نور: بس الحقيقة هو لما زار روح في قونيا، رجع من عندكم وعنده أمنية واحدة كمان.

انتبه الشيخ بهاء وسأل نور:

- إيه هي؟

نور: الحقيقة أنا ما كنتش ناوي أفتح الموضوع، لكن سبحان الله، فيه حاجة في قلبي بتقولي أنتشجع وأطمع في كرمكم، وبصفتي في مقام الأخ الكبير لبراء هاتكلم بالنيابة عنه.

الشيخ بهاء: طبعًا يا ابني. إنت أصبحت في مكانة ضيف عندي!

نور: الله يحفظكم سيدي. الحقيقة براء كان له رغبة يتشرف بنسبكم، لكن احترامًا لعاداتكم رجع القاهرة وشايل في قلبه الرغبة دي بدون أن يفصح عنها، فهل أطمع إن حضرتكم تقبلوه صهر؟

وضع الشيخ بهاء يديه على وجهه ومسح الدموع من عينيه، وصمت لحظة ثم قال:

- ربنا يريح قلبك يا ابني زي ما ريحت قلبي!

نور مستغربًا:

- خير يا سيدي؟ اعذرني أنا ما فهمتش قصد حضرتك!

الشيخ بهاء: هاقولك. ليلة ما سمعت براء بينشد كنت في حال لا يخفى على أمثالك. دخلت أنام، شفت حبيبي سيدنا النبي في رؤيا بعد غياب. قالي كلمة واحدة. عارف إيه؟

نور بتأثر:

- اللهم صلّ على الحبيب. قالك إيه سيدي؟

الشيخ بهاء: قالي «براء».

نور بفرحة:

- ما شاء الله! ما شاء الله!

الشيخ بهاء: من ليلتها وأنا في حال. مش قادر أفهم ليه الحبيب يوصيني على براء. دلوقتِ حالًا فهمت!

دمعت عينا نور:

- لا إله إلا الله.

الشيخ بهاء: إنت بتطلب مني أوافق على براء صهر؟! ده أنا اللي أطلب منك إن حبيب النبي يناسبنا!

كانت دموع نور تختلط بابتسامته وهو غير مُصدّق، متعجبًا لترتيبات الله ورحمته التي تأتي دائمًا بأجمل مما يتوقع البشر.

انحنى نور لتقبيل يد الشيخ بهاء ودموعه تتساقط على كفه:

- أشكرك يا سيدي! والله ربنا كريم!

الشيخ بهاء: العفو يا ابني. أنا جالي الأمر، ولا أملك غير الطاعة. ادعيلي ربنا يسترد أمانته. الشيخ العجوز تعب والشوق غالب. نفسي في الجوار!

نور: ربنا يجمعنا جميعًا بالحبيب ويجاورنا وياه في الفردوس الأعلى!

الشيخ بهاء: أمين، أمين، أمين. بلغ براء إن ليلة عرس شاهيناز هتكون ليلة عرس شاهيناز وعالية سوا بإذن الرحمن.

نور: يا الله! حاضر سيدي! حضرتك تؤمّرنى بحاجة ولأ أقدر أستأذن علشان ألحق أفرّح براء قبل ما ينام؟ ده مش هيصدق!

الشيخ بهاء: لا يا ابني اتفضل، في حفظ الله.

نادى الشيخ على ضيف لتحية نور قبل المغادرة، فعرض ضيف على نور أن يوصله إلى الفندق بسيارته، ولكن نور شكره وطلب منه أن ينادي على روح لتحيتها قبل أن يغادر. جاءت روح،

وسلم نور عليها وكان يبدو عليه التأثر.

تأثرت روح وسألته:

- إنت كويس يا نور؟!

نور مبتسمًا:

- كويس جدًّا! ومش مصدق الجمال اللي حصل من شوية!

اطمأنت روح وابتسمت وسألته:

- يا رب دايمًا. تحب تقولي؟

نور: طبعًا أحب. الشيخ بهاء وافق على زواج براء وعالية، والفرح اتحدد ميعاده في نفس ليلة

فرح أخت عالية!

دمعت عينا روح، واقتشعرت، وقالت بفرحة:

- يا الله! يا فرحة قلبك يا براء الليلة! يا فرحة قلبك يا حبيبي!

نور: أنا لازم أمشي علشان ألحق أبشره، وإنتِ كمان بشري عالية.

روح: طبعًا، امشي على طول وكلمه حالًا. وأنا هادخل أبشرها. دي أكيد مش هتنام من الفرحة.

نور: عقبال ما ربنا يفرح قلبك إنتِ كمان!

فهمت روح تلميح نور، ونظرت إليه برقة وقالت:

- أنا فرحانة طول ما أنا شايفاك قصادي فرحان! ربنا يسعدك ويحفظك ويزيدك نور!

نور: لأ، لسه فيه فرحة زيادة وزيادة لغاية ما تقولي كفاية وبرضو تاخدي كمان!

ابتسمت روح بخجل، وأرجعت خصلات شعرها خلف أذنيها، هاربة بعينيها من نظرات نور التي

كانت توصيها بكلمة واحدة فقط: «الصبر. الصبر يا روعي».

لم يُرد نور أن يخبر روح بوصول حياة غدًا. لم يكن يريد أن يُفقد أي شيء من السعادة التي

كانت تبدو عليها بعد اللقاء وبعد خبر موافقة الشيخ بهاء على مصاهرة براء. كان يعلم أن سعادتها

ستنقص غدًا. سوف تراقب نفسها وقلبها ونظراتها، ولن تسمح أن تسرق حق حياة في نور

بوجودها معه غدًا. تركها تنام سعيدة ليلة أخيرة قبل أن تعود كما كانت من قبل، أو كما كانا من

قبل.

*

اتصل نور ببراء، وأخبره بالمفاجأة التي لم تكن تخطر له على بال.

براء: أنا مش مصدق يا نور! احلف! أمر زواجي بعالية جاي من سيدنا محمد صلى الله عليه

وسلم؟! الحمد لله. الحمد لله. الحمد لله حتى يصل الحمد إلى منتهاه. أنا لسه إمبراح كنت باصلي

عند سنتنا زينب ودعيت ربنا عندها وقتله: «يا ربي، أنا لا حول لي ولا قوة، ولا في أيدي حاجة.

بس باحبها. أعمل إيه في قلبي؟». وبكيت كثير يا نور. والله لقيت نفسي باقولها: «يعني إنتِ

يرضيك كده يا سنتنا؟ يعني يرضيك القلب اللي يحب سيدنا النبي ويحبكوا يبقى تعبان كده؟ أنا

معنديش حد، وما حلتيش حاجة غير حبكم. مدد يا ست. مدد يا أم العواجز اللي أنا منهم». تصور

يا نور، والله حصل!

نور: صادق يا حبيبي. مدد إن شاء الله بلا عدد. ربنا يوصلك ما يقطعك أبدًا.

براء: أمين. ويفرح قلبك زي ما فرحت قلبي يا نور!

نور: ربنا يسمع منك. يلاً أسيبك تنام وإنت مبسوط. تصبح على خير.

براء: أنام؟! والله حرام النوم الليلة على رأي الست شادية. أنا هانزل أزور ستنا وأصلي وأشكر ربنا طول الليل!

نور: السلام أمانة واقرا لي الفاتحة.

براء: توصل إن شاء الله.

كما بشرت روح أيضاً عالية التي بكت من الفرحة وهنأتها البنات. لم تنس أن تذهب لتشكر جدها وتقبل يده ورأسه. ضيف أيضاً برك لها وتمنى لها السعادة.

كان ضيف ينظر إلى روح ويقول لنفسه: «هل من الممكن أن يكون العرس عرساً ثلاثياً؟ هل من الممكن أن يتحول عرس شاهيناز إلى عرسي أنا وأنت أيضاً؟ هل من الممكن أن تصبح هذه الدرويشة أمّاً لأولادي وزوجة وريث عائلة بندر؟».

غادرت حياة طنجة، وتركت خلفها فؤاد، لكنها لم تترك المشاعر التي تسللت إلى قلبها بدون استئذان. ركبت الطائرة وهي تقنع نفسها أنها ستنسى تلك المشاعر بمجرد وجودها بجانب نور. يجب أن تنسى كل شيء وتعود إلى نور حبيبها وزوجها. وصلت إلى الفندق، وارتمت في حضن نور الذي قابلها بابتسامة عريضة وذراعين مفتوحتين. وضعت رأسها في صدر نور كأنها طفل ارتكب خطأ ويريد أن يحتمي بأمه.

نور: مالك يا حياة؟!

حياة: مفيش. إنت بس وحشتني أوي وعايزة أفضل في حضنك من غير ما أتكلم.

نور: حبيبتى، أنا كده هاقلق عليك! احكيلى فيه إيه!

حياة: صدقني يا نور، هوّ ده اللي أنا محتاجاه دلوقت. خليني على راحتى!

نور: زي ما تحبي. إنتِ طبعا عارفة إنك تقدرى تقولىلى أي حاجة.

حياة: طبعا حبيبي. بس صدقني مفيش حاجة تتقال.

ابتسم نور بابتسامة هادئة، ومسح على شعر حياة، وتركها تشعر بالأمان الذي تبحث عنه في صدره.

*

كان منزل عائلة بندر يعج بالحركة، فقد تغيرت الترتيبات للعرس بناءً على قرار الشيخ بهاء بزفاف عالية وبراء ليلة عرس شاهيناز. يجب على عالية الذهاب إلى مصممة الأزياء والبدء في اختيار فستان زفافها.

كان الجميع سعيدًا، والهواتف ترن بمكالمات التهنئة من كل أنحاء العالم، بعد أن بلغ ضيف الخبر إلى العائلة. كانت عالية سعيدة، وكانت روح في منتهى السعادة. اتصلت ببراء وهنأته وذكّرتة برحمة الله التي أكدت عليها في حديثها الأخير معه في قونيا. كانت مكالمة مليئة بالأحاسيس والمشاعر، فلم يكن هناك ما يسعد براء أكثر من تحقيق أمنيته المستحيلة، ولم يكن هناك شيء يسعد روح أكثر من رؤيتها لبراء سعيدًا. لا، كانت هناك أيضًا تلك الأمنية الدفينة التي ما كان شيء يسعد روح مثلها، ولكنها كانت تسعد لكل الناس، وتعلم أن تلك الأمنية لها توقيت سوف تتحقق فيه، فهي تثق في رحمة الله كما أخبرت براء، ويقينها بأن الله يدبر أجمل مما تتخيل، ربما يجمعها بنور في حياة أخرى، يكون فيها وجودهما معًا أبدًا لا نهاية له ولا ألم به، حياة أخرى لا تخضع لقوانين البشر، حياة لا تعبأ فيها بأن يبدو عليها حبه، ولا تضطر فيها إلى استراق النظر إلى عينيه، أو تشتاق فيها إلى سماع صوته، حياة لا تشعر فيها بتأنيب الضمير أو الذنب تجاه حياة، حياة لا تسأل الله فيها أن ينزع حبه من قلبها كما وضعه في قلبها، حياة تترك فيها مشاعرها بلا قيد تمامًا كما تترك خصلات شعرها تتطاير في الهواء بلا قيد أو شكل، تترك فيها مشاعرها على فطرتها كما خلقها الله، لا كما يجب أن تلتزم بها من أجل خلق الله. حياة البرزخ. حياة الأحرار.

قرر ضيف أن ينتهز فرصة الفرحة التي تعم العائلة ويعرض على روح الزواج منه. اقترب منها وقال:

- الجو العام في البيت يفتح النفس على الجواز. مش كده؟

روح: ربنا يكثر أفراحكم!

ضيف: ربنا يسمع منك. إيه رأيك نتعشى سوا الليلة بعيد عن دوشة البنات؟ أنا وإنتِ بس؟
روح: والله كان نفسي يا ضيف، بس إنتِ عارف إن نور هنا، وأنا عايزة أشبع منه قبل ما يرجع
مصر. إيه رأيك أكلمه ونتعشى كلنا سوا؟

شعر ضيف بخيبة أمل، ولكنه لا يريد أن يرفض لروح طلبًا:
- أكيد طبعًا. تحبي أتصل أنا بيه؟

روح: لا، أنا هاتصل.
التقطت روح هاتفها بلهفة، واتصلت بنور:
- نور، إزيك؟

نور: صباح الخير يا روح، إزيك انتِ؟
روح: بخير طول ما إنتِ بخير!
نور: يا رب دايماً!

روح: إحنا هنخطفك النهارده. ما تقوليش عندك حاجة بالليل. إحنا هنخرج نتعشى كلنا بره. يناسبك
الساعة كام؟

نور: دي فكرة لطيفة فعلاً، خصوصاً إن حياة وصلت النهارده وأكيد هتحب تشوفك.
تعهد نور أن يذكر وجود حياة لروح. تعمد أن يلجم المشاعر المتدفقة بينهما منذ رآها مجددًا.
تراجعت نبرة روح المتحمسة المندفعة كأنها استفاقت على حقيقة وجود حياة بينهما. عادت تتحكم
في نبرة صوتها وكلماتها. عادت لترسف داخل القيد الذي حررت مشاعرها منه ليلتين فقط.
روح: حياة وصلت؟ حمد الله على سلامتها. طيب ممكن تديها التلفون أسلم عليها؟
نور: طبعًا.

حياة: إيه المفاجأة الجميلة دي يا روح؟ أنا ما صدقتش لما نور قال لي!
روح: ولا أنا والله يا حياة! ودلوقتِ أنتِ كمان! سبحانها! اللقا نصيب.
حياة: ها؟ هاشوفك إمتي؟

روح: أنا لسه حالاً كنت باقول لنور نتعشى كلنا سوا. إيه رأيك؟
حياة: طبعًا. نتقابل الساعة كام وفين؟

روح: تحبي إنتِ تاكلي فين؟
حياة: أي مكان يا روح. المهم أشوفك.

روح: خلاص. نتقابل في إيدجور رود الساعة ستة ونختار المطعم سوا.
حياة: اتفقنا.

جلست روح دقيقة تسترجع حالة الثبات التي يجب أن تعود إليها، وتُدكّر نفسها أن صاحبة الحق
في نور وصلت، إنها هي زوجة وحببية روحها، ويجب أن تحترم وجودها كما كانت دائماً. لن
تسمح لشيء أن يقترب من سعادة حياة حتى لو كان ذلك سيسبب لها الألم. لقد اعتادت الألم، ولا
يضرها المزيد منه، ولكن حياة لا ذنب لها حتى تتألم. حياة يجب أن تبقى سعيدة تنبض بالحياة
تماماً مثل اسمها.

اقترب ضيف من روح، وقد لاحظ التغيير الذي بدا عليها:

- إنتِ كويسة يا روح؟

روح: الحمد لله يا ضيف.

ضيف: طيب كلمت نور؟

روح: أيوه. اتفقت مع حياة هنتقابل كلنا الساعة ستة.

ضيف: حياة مين؟

روح: آه، معلى، أصلي ملخبطة شوية. حياة مرات نور وصلت النهارده.

ضيف: طيب جميل، لأن البنات مش هيقدرنا يخرجوا معنا. فيه ضيوف من العيلة جاينين يباركوا لعالية بالليل، ولازم البنات تكون موجودة معاها.

روح: طيب لو تحب إنت كمان تبقى موجود مفيش مشكلة خالص. أنا عادي ممكن أخرج مع نور وحياة لوحدي.

ضيف: لا خالص. الضيوف ستات ووجودي مش مهم بالمرّة.

روح: أنا والبنات هنخرج دلوقتٍ ونرجع الساعة ٤. تمام كده معاك؟

ضيف: خليك على راحتك. أنا عايزك مبسوطه.

ابتسمت روح لضيف برقة، وذهبت في اتجاه غرفتها للاستعداد للخروج مع البنات.

*

خرجت روح والبنات لتجربة الفساتين ومساعدة عالية في اختيار فستان زفافها. كان بيت الأزياء يعج بالكلام والأحاديث بين البنات وبين مدام جاسمين التي فرحت كثيرًا بخبر زفاف عالية، فبالطبع ستكون هناك فاتورة فستان زفاف آخر تضاف إلى الحساب. كان الجميع يتكلم، ولكن روح كانت شاردة معظم الوقت، تكتفي بالابتسام والاشترار في الحديث بعبارات قليلة، وتنظر إلى فساتين الزفاف البيضاء وتبتسم ابتسامة ناعمة. ذكرتها أقمشة الفساتين بقصاصة التل البيضاء التي أعطتها لها نور في تلك الليلة. الليلة الأخيرة قبل أن يأتيها أمر الهجر في رؤياها. كان شيء ما بداخلها يتساءل: ترى، بماذا تشعر عالية الآن وهي تختار القماش الذي سوف يلف جسدها تمامًا كقطعة الحلوى الجميلة لتقدم به نفسها إلى حبيبها في عرسهما؟ إنها بالفعل قد ارتدت فستانًا من تلك الفساتين يومًا ما وهي تُزف لطارق، ولكنها لم تكن تشعر بما تشعر به تجاه نور، ولم يكن قلبها في ذلك الوقت كقلبها الآن. كل شيء مختلف. قلبها وأحاسيسها ونظرتها للحياة، كلها اختلفت. أبدًا لم يكن حبًا. كان أي شيء آخر. ما ربطها بطارق لم يكن حبًا. إن الحب هو تلك النبتة التي وضعها الله في قلبها لنور، وأي شيء آخر هو أي شيء، لكنه بالتأكيد ليس حبًا. ترى، هل ستجرب هذا الإحساس يومًا ما؟ هل سيأتي اليوم الذي تلف جسدها بقماش التل وتقدمه إلى حبيبها يومًا ما؟ ليتها تجد إجابة واحدة فقط، فكل الأسئلة التي تعصف بها لها نفس الإجابة: الصبر. الصبر إلى أن يقضي الله أمرًا كان مفعولًا.

اصطحب ضيف روح بالسيارة لمقابلة نور وحياء. شعر ضيف أنها فرصة مناسبة ليفاتها بعرضه للزواج.

ضيف: عالية اختارت فستانها خلاص النهارده ولأ الامور دي بتاخذ وقت أطول من مجرد يوم واحد؟

روح: والله يا ضيف مش أنا اللي ممكن أفيدك في موضوع زي ده. إنتو عندكم موضوع الأفراح بياخذ مجهود كبير وترتيبات كثيرة، وأكد اختيار فستان العروسة مش حاجة سهلة. والله عالية صعبانة عليّ في حيرتها بين الأقمشة والموديلات! ضيف: وإنت لو مكان عالية مش هتحتاري كده؟ تفاجأت روح:

- أنا ما اعرفش، عمري ما فكرت في موضوع الفساتين ده!

ضيف: طيب أهي الفرصة جت. فكري كده لو فيه عريس اتقدمك النهارده، ورحت بكرة تختاري فستان فرحك، هتعملي إيه؟

ضحكت روح ضحكة كبيرة وقالت:

- أهو ده اللي مش ممكن أبدًا!

ضيف: ليه مش ممكن؟! هو إنت مش زي كل البنات والستات؟!!

عادت روح إلى شخصية الأنثى الجامحة التي تتعامل بها دومًا مع ضيف، ونظرت إليه بتحدٍ وقالت:

- لا، أنا مش زي كل البنات والستات!

ضيف بإعجاب:

- أكيد. أنا عارف ده كويس.

ارتبكت روح قليلًا، ثم تداركت الموقف وقالت:

- لا مش قصدي. أنا أقصد إن مفيش حد زي حد. كل بنت بتشبه نفسها. كل واحدة ليها روح وحضور وقلب غير التانية. فهمت قصدي؟

ضيف: أنا فاهم قصدك من الأول، بس إنت اللي ما فهمتيش قصدي. أنا قصدت إن إنت زي كل البنات لازم هيبجي عليك يوم وتتجوزي. إنت ست جميلة وجذابة. يبقى ليه ما تتجوزيش؟!!

روح: الجواز مش كل حاجة في الدنيا يا ضيف. فيه حاجات كتير أوي ممكن الستات تعملها في حياتها وتتيسط برضو!

ضيف: طبعًا. والجواز حاجة من الحاجات دي.

روح: أكيد.

ضيف: جميل. يعني إنت لو قابلت راجل يبحبك ويقدرك وعبرلك عن رغبته في الارتباط بيك هتوافقي؟

روح: ده يتوقف على مين الراجل!

نظر ضيف بقوة إلى روح وقال:

- أنا!

تفاجأت روح وارتبكت. هربت بعينيها ونظرت في اتجاه آخر ولم تعلق بكلمة. كانت تخشى أن يكون صوت دقات قلبها مسموعاً من شدة التوتر والارتباك. كانت تعلم أن ضيف يكن لها الكثير من المحبة، ويتودد إليها دائماً، بل ويغازلها في أوقات كثيرة، ولكن لم يخطر ببالها أن يطلب منها الزواج. للحظة شعرت بالغضب. لم تشعر بالإطراء الذي تشعر به أي أنثى في نفس الموقف، فهي دائماً تتعامل مع نفسها على أنها ملك لنور فقط، حتى وإن لم تكن مرتبطة به ارتباطاً ملموساً على أرض الواقع وواضحاً للعيان، وبالتالي ليس من حق أي رجل الاقتراب.
كسر ضيف حاجز الصمت:

- إيه يا روح؟ دورت وشك ليه وسكت؟

استجمعت روح شتات نفسها والتفتت إليه وقالت:

- أبدأ، بس اتفاجئت.

ضيف: فين المفاجأة؟ أنا لمحتك أكثر من مرةً إني معجب ببيك. ودلوقت باقولك إني باحبك يا روح وعايز أتجوزك. وعايز أسمع ردك.

روح بارتباك:

- أنا متلخبطة جداً يا ضيف بجد، ومش عارفة أقولك إيه! بس إنت عارف مكانتك عندي!

توقف ضيف بالسيارة فجأة على جانب الطريق، وقال لها:

- اسكتي خالص يا روح!

روح في دهشة:

- يعني إيه أسكت؟!

ضيف: أيوه اسكتي واسمعي. اسمعيني بجد علشان الكلام اللي هاقولها لك ده كلام مهم جداً. أنا مش محتاج أقولك إن أنا مريت بعلاقات كثير في حياتي، لكن إنت الوحيدة اللي حسيت إني عايز أشوف عينيها كل يوم الصبح. أنا دائماً كنت بافكر إني لازم أختار ست قوية علشان تبقى أم أولادي اللي هيشيلوا اسم عيلة بندر من بعدي، لكن لما قربت منك وعرفتك قلت أنا عايز ولادي من الست الرقيقة دي، أنا عايز ولادي شبه الست دي، أنا حتى مش عايز صبيان أنا عايز خلفتي منك تكون كلها بنات شبهك، أنا عايز أشوفك في ولادي، وعايذك تربيهم وتعلميهم إزاي بيقوا زيك مش زي أي حد تاني. أنا باحبك يا روح وعايز أتجوزك وأعيش عمري كله معاك. نلف العالم سوا ومنتبسط. أعملك كل حاجة بتحببها، وأجيبلك كل اللي نفسك فيه. أنا عايز أسعدك يا روح. اديني الفرصة دي من فضلك!

ابتسمت روح لضيف برقة، وقالت له:

- إنت صعبت عليّ الموضوع أكثر يا ضيف بكلامك الرقيق ده!

ضيف: انسي تجربتك الأولانية خالص. صدقيني، فيه ناس كثير بتفشل في جوازها الأول وبيبقوا زيك كده خايفين من أي تجربة تانية، لكن الزواج التاني بيبقى حياة جديدة مختلفة وسعيدة، وبينسوا خالص التجربة الأولى بالأمها وأوجاعها. صدقيني يا روح ما تخافيش!

روح: تصدقني إنت لو قلتك إن موضوع جوازي الأول ده مش بيخطرلي على بال أصلاً؟

ضيف: بيبقى فين المشكلة؟!

روح: المشكلة فيّ أنا يا ضيف. أنا مريت بحاجات كثير لغاية ما وصلت لروح اللي إنت شايفها دلوقت وعاجباك وعايز ولادك بيقوا شبهها. أنا ولادي مش ممكن بيقوا شبيها يا ضيف. ولادي

لازم يبقوا شبه أنفسهم. فاهمني يا ضيف؟ أنا مش هاخليهم نسخ مكررة من أي حد حتى لو كان أنا. أنا تعبت للغاية ما وصلت لروحي اللي ربنا خالقها، ومعنديش استعداد أغامر بيها وأدخل تجارب جديدة مش مستعدة ليها، ومش عارفة هتخرج منها عاملة إزاي؟ فهمت قصدي يا ضيف؟

ضيف: أوعدك إني مش هاحطك تحت أي ضغط من أي نوع. حياتك معايا هتفضل زي ما هي. هتعلمي كل الحاجات اللي بتحببها، ومش هافرض عليك حاجة مش مرتاحة ليها. بالعكس، دا أنا هاعمل كل اللي ربنا يقدرني عليه علشان أسعدك أكثر مش عشان أضايقك. مش يمكن روحك اللي وصلتيها ربنا كاتبها تقابلني وتعيش معايا؟

ابتسمت روح برقة:

- إنت جميل أوي يا ضيف!

ضيف: وبعدين؟ خلاص كده؟! جميل وبس؟!!

ضحكت روح ضحكة كبيرة بصوت عالٍ، وقالت:

- عايز إيه يا ضيف؟

ابتسم ضيف ابتسامة كبيرة وقال:

- عايزك تقوليلي أنا كمان باحبك يا ضيف!

هربت روح بعينها خجلاً، وأرجعت خصلات شعرها خلف أذنيها وقالت:

- إحنا كده هنتأخر عليهم!

ضيف: مش مهم أي حد دلوقت! بُصيلي يا روح!

نظرت روح إليه وقالت برقة:

- عايز إيه بس يا ضيف؟!!

ضيف بنظرة مغازلة:

- أنا قتلناك أنا عايز إيه. عايزك يا روح. وعايز أسمعها منك!

روح: إنت لسه قايل حالاً إنك مش هتحطني تحت أي ضغط. أنا بجد حاسة دلوقتٍ بضغط كبير عليّ!

ضيف: وأنا عند كلمتي. مفيش ضغط. خدي وقتك براحتك وأنا مستنيك تردني عليّ.

ارتاحت روح لإنهاء الحوار مؤقتاً، ولكنها ارتبكت كثيراً من عرض ضيف، فهي لم تمر بهذا الموقف منذ فترة طويلة، وكانت تتحاشى وتبعد عن أي علاقة تشعر أن صاحبها قد يكون لديه خطط لتطوير هذه العلاقة حتى من قبل أن تكتشف حبها لنور. غلفت قلبها بغلاف من التُّل الأبيض، نسيجه يسمح فقط بمرور المشاعر الرقيقة التي تستطيع أن تنفذ من خلال فتحاته الدقيقة وتمنع دخول أي مشاعر حجمها يزيد على تلك الفتحات، فكل ما كبر حجمه زاد تأثيره السلبي والإيجابي، وهي قد وصلت إلى مرحلة تشعر فيها بالارتياح ولا تريد مزيداً من الارتباك في حياتها، إلى أن جاء صاحب الغلاف التُّل بنفسه الذي لم يحتج أن ينفذ من نسيجه، وكيف ينفذ إلى القلب وهو في القلب من الأساس؟

*

وصلا إلى المكان المتفق عليه، وقابلت حياة بعد طول غياب، وابتسمت الروحان من بعيد، وفتحت كلُّ منهما ذراعها لتعانق الأخرى عناناً طويلاً وحميماً. كان نور يشهد لقاء حياة وروح، ويتساءل بينه وبين نفسه: «كيف تتحمل روح هذه المشاعر؟ كيف تحمل بداخلها كل هذا الحب لحياة وهي

تعلم أنها حائل بينها وبينه؟ إن مشاعرها تجاه حياة لا تشوبها شائبة زيف ولا غيرة. كيف ذلك؟». ولكنه كان يعلم أن الله أنعم على روح بتزكية قلبية من الأغيار والشوائب التي تعذب صاحبها وتشقيه، أما روح فما يشقيها هو حبها وعشقها لله والتزامها بما أمرها الله به حتى وإن كان مخالفاً لإرادتها ورغباتها البشرية.

كان نور يشعر بارتباك روح وتشتت ذهنها، فانتهاز فرصة ذهاب ضيف إلى الحمّام وسألها:
- إنتِ كويسة يا روح؟

ابتسمت روح ابتسامة حائرة، وقالت وهي تنظر إليه وإلى حياة بعينين زائغتين:
- مش أوي!

حياة: مالك يا حبيبتي؟ ده إنتِ وشك منور ومحلوة! اسم الله عليك!
روح: تسلميلي. وتسلملي عيونك الحلوين.

نور: في إيه يا روح؟!

روح: يعني، شوية لخبطة كده، ولما أروح هاقعد مع روعي شوية، وأهدى إن شاء الله!
نور: متأكدة مش عايزة تتكلمي؟

هزت روح رأسها موافقة ومبتسمة نفس الابتسامة الحائرة.

حياة: تعالي بكرة نشرب القهوة سوا ونتكلم. بس تعالي لوحك علشان نبقي على راحتنا. مش كده يا نور؟

نور: اللي تتفقوا عليه.

وضعت حياة كفها على خد نور ونظرت إليه بإعجاب، وقالت لروح:
- بدمتك عمرك شفتِ راجل بالجمال ده؟

ثم استطردت موجهة كلامها إلى نور ومداعبة إياه:

- ومستغرب إنني جيتلك وقطعت رحلتي؟! إزاي أقدر أنا على بعدك!

ابتسمت روح لمغازلة حياة لنور ولم تعقب. ابتسم نور أيضاً لحياة وقال لها:

- ربنا ما يحرمني منك يا حبيبتي!

حياة: ويخليك ليّ يا عمري!

رجع ضيف، وانقضت ليلة أدخلت كلاً من روح وضيف ونور في دوامات جديدة من الأسئلة والحيرة.

*

ذهبت حياة لتنام فور رجوعهم من العشاء، وذهب نور للقراءة والصلاة، ثم شعر بروح... كانت روح في نفس الوقت تصلي وتناجي الله ليلهمها السكينة ويلهمها التصرف السليم مع ضيف.
كتب نور في دفتره:

قال: أعيتني الحيرة في هواك. أقترب فأحترق بلهيب حبّ أرغب أن أتجرع منه المزيد، أم أبتعد فأحترق بلهيب شوق كل يوم يزيدي؟

قالت: وأنا أعياني حبك، وأسقمني الانتظار والتفكير. هل يا ترى سيقترب أم سيظل بعيداً؟

قال: أخشى أن أقترب فلا أستطيع منك أن أعود.

قالت: اقترب ولا تخش. ستعود. سأتركك تعود.

قال: أنت ستتركنني أعود، ولكنني أعلم أن هذا الحب ليس للعودة فيه طريق.

قالت: وكيف هذا وأنت بعيد؟ أنا حتى ما عدت أعلم أما زلت على حبك أم وجدت للعودة من حبي طريقاً؟ إذا كنت كذلك فرجاء أخبرني ما الطريق؟

قال: ليس هناك طريق. من مضى في هذا العشق لا يستطيع منه أن يعود. حبيبتي إنه العشق والوله. متى وصلت إليه لا عودة منه ولا رجوع.

قالت: ما هذا العشق المومج الذي لا نملك فيه حتى أن نقول أحبك بصوتٍ مسموع؟

قال: قللي أحبك. أنا أسمعك. أنا لست بعيداً.

قالت: إنه العذاب بعينه. هل سأظل أحدثك في نفسي طويلاً؟ متى تكون النهاية في هذا الطريق؟

قال: عندما تصل عذاباتنا حد الغرام. ذلك هو عين العذاب كما وصف الرحمن.

قالت: إذن كله عذاب؟

قال: عذابه عذوبة عند اللقاء.

قالت: أيتوب الله علينا من عذاباتنا حينها أم يتوب علينا من العشق واليهام؟

قال: بل يبدل عذاباتنا عذوبة، ويدخلنا في زمرة عباده الأبرار.

قالت: أأراك عندئذ وأستطيع أن أخبرك أنني أحبك دون عذاب؟

قال: بل أسبقك لذلك دون خوف من الاحتراق. أقترّب وأقترّب، ولا يكون هناك حدود أو موانع للاقتراب. أقولها لك بصوت مسموع مثلما يفعل كل العشاق. أقول لك أنتِ حبيبتي وأنتِ كل النساء.

قالت: لا أطيق الانتظار!

قال: أعلم صغيرتي، ولكن لا بد أن تكبري وتستقوي على العشق والانتظار. فهذا هو مصير الكبار.

قالت: ولكنني أريد أن أبقى صغيرتك دوماً، وأنت كل الأشياء الكبيرة وأنت كل الرجال.

قال: لا بد أن تغترفي من نهر العشق. هذا مصير الكبار. ولا تقلقي، فستظلين دوماً صغيرتي في العشق عالية الشأن والمقام.

قالت: والله ما علا شأني إلا بعشقتك، وما أصبحت ذات مقام إلا باقتران قلبي بقلبك، يا صاحب القدر الرفيع، يا عالي المقام.

قال: رحمةً بقلبي وقلبك، فما عدت أقوى على الاحتراق.

قالت: أتقول لي اكبري واستقوي وأنت أكبر الكبار لا تستطيع في الحب استقواء؟!

قال: عشقتك لا يعرف كبيرٌ أمامه استقواء.

قالت: إذن ما فائدة أن أكبر إن كنت حينها سأظل لا أستطيع الاستقواء؟! سأبقى صغيرتك وأنت كبيرتي إلى أن يأذن الرحمن.

قال: ابقي كما تشائين، فأنتِ حبيبتي صغيرة أم كبيرة. أنت الروح وأنت الفؤاد!

قالت: أحبك يا أكبر الكبار يا بدر التمام.

قال: أحبك يا الله.

بينما كانا في نفس الحالة مجدداً من الشوق والألم كتبت الدرويشة:

يا من طفت بالبيت العتيق فيّ وقبّلت الحجر.

لماذا اقتربت من العتيق ولماذا أحبيت الحجر؟

لماذا لم تعتقه من حبك قبل أن تُحرم وتلي وتتوي الطواف بقلبٍ كان كالحجر؟

لقد صار حبك عشقاً في قلبٍ كأرض الحرم.

حرامٌ عليه الحب، فكيف لو كان عشقاً محرماً؟

نحرت قلبي هدياً لحج لم يكتمل.

أدعو لك الله أن يتقبل قربانك وذبيحتك.

وأتوسل إليه أن يرد قلبي بيتاً عتيقاً من حجر.

لا يطوف به بعدك حاج ولا معتمر.

أحبك يا ذابح قلبي، حتى وإن استجاب ربي لدعائي ورد قلبي لقلبٍ من حجر.

يحبك الحجر.

في الصباح الباكر ذهبت روح مسرعة للقاء نور وحياء، وقبل أن تضطر إلى لقاء ضيف والحديث معه.

حياة: تعالي بقى احكي لي مين ضيف ده؟ وحكايته إيه؟ إمبراح كنت هاتجنن عايزة أعرف إيه الموضوع؟

ابتسمت روح:

- مفيش موضوع ولا حاجة!

حياة: مفيش موضوع إزاي؟! دا عينيه ما اتشالنتش من عليك إمبراح! أنا بافهم كويس!

روح: هوّ حر. دي حاجة تخصه هوّ، لكن أنا زي ما سبتيني آخر مرّة.

حياة: يعني إيه؟

روح: يعني هوّ عنده مشاعر ناحيتي بس أنا لأ.

حياة بلهجة حانية:

- لأ ليه بس يا حبيبتي؟ ده زي ما فهمت من نور راجل كويس، وإنّ بتحبي عيلته وعيلته بتحبك،

وكمان شكله لطيف، وباين عليه بيموت فيك. ناقص إيه تاني يا روح؟!

روح: ناقص إن أنا اللي أحبه!

حياة: طب ما تحبيه يا حبيبتي، إيه المانع؟

ابتسمت روح برقة وقالت:

- يا ريت كان بإيدي يا حياة!

حياة: بإيدك يا روح. اديله فرصة. افتحي قلبك يا روح.

ضحكت روح وقالت:

- أكثر من كده؟ ده مفتوح على البحري!

حياة: إنّ فاهماني يا روح. لغاية إمتى يا حبيبتي هتفضلني لوحدك كده؟!

روح: أنا مش لوحدني، أنا دايماً حواليّ ناس باحبهم ويحبوني، وربنا في قلبي. فيه أجمل من كده؟

ربنا يديمها نعمة عليّ.

حياة: يا رب يا حبيبتي يحبب فيك خلقه دايماً، بس أنا قصدي إن إنّ لازم تتجوزي. لازم يبقى

عندك عيلة. مفيش حد يبفضل عايش لوحد كده. دا حتى براء اسم الله عليه خلاص ربنا هداه

وهيتجوز. صدقيني يا روح، اديله فرصة. هوّ فاتحك في حاجة؟

روح: أيوه. إمبراح عرض عليّ الجواز!

حياة بلهفة:

- قلتيله إيه؟

روح: ما قلتش!

حياة: جميل. عرفت بقى ليه ربنا بعنتي ليك هنا؟ علشان نتكلم سوا، وإن شاء الله تقوليله إنك

موافقة ونفرح بيك.

دخل نور في هذه اللحظة مبتسماً لروح قائلاً:

- فرحوني معاكم. خير؟

حياة: ضيف طلب من روح الجواز إمبراح.
شعر نور بغصة في قلبه، وتلاشت الابتسامة من على وجهه، ونظر إلى روح في صمت، ثم تدارك الموقف وقال بحرص:

- وإنتِ وافقتِ يا روح؟

كانت روح تنظر إليه وعيناها تريدان أن تطمئنانه سريعًا قبل أن ينطق لسانها:

- لأ طبعًا ما وافقتش!

حياة: بالذمة ده كلام يا نور؟! مش تقولها توافق! الراجل بي موت فيها، وبصراحة أنا شايفاه مناسب جدًا.

نور: خليها على راحتها يا حياة!

حياة: لا يا نور. إنت في مقام أخوها دلوقت، ولازم تعرفها مصلحتها، لو بتحبها قولها تتجوزه.
كانت روح تنظر إلى نور في صمت، وتنتظر رده، وهو صامت عاجز عن الكلام لا يعرف ماذا يقول لروح.

حياة: قولها تتجوزه. لو بتحبها لازم تقولها تتجوزه!

رن هاتف حياة فاستأذنت للرد وتركتها وحدهما.

جلس نور ينظر في عيني روح طويلاً ثم قال:

- حياة بنقولي لو بتحبها قولها تتجوزه. اتجوزيه يا روح. اتجوزيه!

دمعت عينا روح وهي تستمع إلى نور يعترف لها بحبه، ويطلب منها أن تتزوج من غيره في نفس الوقت.

ردت بصوت منألم حبيس تمامًا كمشاعرها:

- ما اقدرش يا نور!

نور: ليه ما تقدرش يا روح؟

روح: ما اقدرش أعمل كده في روحي!

نور: بس إنت من حقاك تتجوزي وبيقى ليك حياة!

روح: بس أنا مش من حق ضيف!

نور: بس هو بيحبك!

روح: لكن أنا باحب حد ثاني!

كانت عينا نور أيضًا مليونين بالدموع، وهو يستمع إلى ردود روح. كان يقاوم بشدة أن يعترف لها بحبه، وكان يريد أن يسمعها ويسمع حديثها الذي يحمل اعترافًا ضمنيًا له بالحب. لم يستطع أن يقاوم رغبته البشرية في سماعها تقول له أحبك. سألتها بلهفة: - بتحبي مين يا روح؟

بكت روح من سؤال نور، فهي تجلس أمام حبيبها وتتحدث إليه ولا تستطيع أن تقول له إنها تحبه. بكت ولم ترد. كرر نور السؤال وهو ينظر في عينيها، وعيناها تتوسلان إليها لتقول له: «أحبك أنت».

قالت روح وهي تتألم:

- حياة.

رد نور بتعجب:

- حياة؟

روح: حياة خلصت تلفونها وحت.

فهم نور أن روح تقول له لا أستطيع أن أقولها لك، لا أستطيع أن أقترّب أكثر في وجود حياة، لا أستطيع أن أسرق سعادتها وحببيها. أنت ما زلت محرماً عليّ أيها الحبيب الأوحّد. ما زلنا في عالم الدنيا وما زالت حياة موجودة بيننا. لم يأذن الله بعد أن نقترّب أكثر مما اقتربنا. يكفيننا لقاءاتنا في عالَمنا، أما عالم الحياة الدنيا فهو من حق حياة وليس من حقي، إلى أن يقضي الله أمرًا كان مفعولاً.

أمضت روح اليوم مع نور وحياة يتجولون في شوارع لندن. تنظر إلى حياة وهي تمسك بيد نور، وتضع رأسها على صدره بحرية، وضحكاتهما تملو، معلنة للمارة من حولهم أن هذه المرأة تحب هذا الرجل، وهذا الرجل ملك لهذه المرأة الجميلة.

اصطحب نور حياة وروح إلى مسرحية «كارمن» ليلاً. جلست حياة بين روح ونور وبدأ العرض. كان العرض رائعاً ومبهراً، والموسيقى قوية وأخاذة. تأثرت روح بأجواء العرض وكم المشاعر المنجرفة والمكبلة فيه، كانت تبكي بهدوء والدموع تنساب منها بغزارة. شعرت حياة بتأثر روح بالعرض، واعتقدت أن طبيعتها الحساسة هي السبب في هذه الدموع. أمسكت يدها وربتت عليها، وابتسمت لها في صمت. ابتسمت روح أيضاً لرقّة وحنان حياة عليها، وحدثتها بقلبها قائلة: «كوني على ثقة أنني لن أقترّب من سعادتك، ولن أجعل ضحكاتك تغيب عن وجهك أبداً. أنا أحبك تماماً كما أحب نور. لن أقترّب. ثقي تماماً أنني لن أقترّب. عهدي مع الله أقوى من حبي لنور. أنا على العهد مع حبيبي الأعظم: الله.

أما نور، فكان ينظر إليها ويتألم من إحساس روح بالعرض. كان وحده يفهم دموعها، ويبكي تماماً بقلبه مثلها. كان يشعر بألمها وهي تغضب قلبها على قبول واقع موجه لا حيلة لها فيه، وهو أيضاً كان يتألم من إحساسه بالعجز. لا حيلة له في تخفيف آلامه وآلام روح سوى البعد. ذلك أرحم لها وله.

مرّة أخرى سكتت الأصوات، وسمع صوت روح تناجيه:

قالت روح: «لقد أوجعني الحب أكثر مما أوجعتني القسوة!».

قال نور: «إن الحب لا يوجع يا صغيرتي، إنما يوجعنا البعد».

قالت روح: «لكن حب سيدنا يوسف أوجع سيدنا يعقوب؟!».

قال نور: «بل فراق سيدنا يوسف عن سيدنا يعقوب».

قالت روح: «إذن أنت يوسف وأنا يعقوبك. بشرني بريح منك وألق قميصك رحمةً بقلبي».

قال نور: «صبرٌ جميلٌ حبيبتني، والله المستعان على بعد المسافات».

قالت روح: «إنما أشكو بثي وحزني إلى الله رب العاشقين».

قال نور: «يوماً ما سيشهد لقاء قلوبنا الشمس والقمر والأحد عشر كوكباً ساجدين مقرين بصبر قلوبنا في البعد. هكذا شهدوا من قبل لقاء يوسف بيعقوب، وهكذا يشهدون لقاء العاشقين».

قالت روح: «حسبتك في الحب مقام موسى من فرعون، فأدركتك مقام يوسف من يعقوب».

قال نور: «حسبت مقامك في قلبي مقام موسى من ربه عند جبل الطور، فأدركتك في سدرة المنتهى عند مقام المصطفى من ربه».

قالت روح: «والله إنني لأرضى أن أخرج ساجدة من حبك، كما خَرّ الجبل من تجلي الله. فارحمني وتجلّ عليّ».

قال نور: ولكني والله لا أَرْضَى لكَ بديلاً من سدرة المنتهى. حبيبتي، يقيني أن تكوني يوماً ما قاب قوسين أو أدنى من قلبي، فما كذب الفؤاد ما عشق». شعرت روح أنها يجب ألا تفقد الثقة في إحساسها بأنهما سوف يجتمعان يوماً ما، فما كذب الفؤاد ما رأى. كانت تلك هي العلامة السادسة:

العلامة السادسة

أحب ما يجذبك قلبك إليه، ولا تهرب منه،
حتى وإن لم تستطع الوصول إليه مؤقتاً.
تلك مشيئة الله واختياره لك،
ذلك عليه لتعلم أنه يحبك وما خلقك لتشقى.
اصطفى واختار لك فهل ترفض اختياره؟
«وَمَا تَشَاؤُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ».

نظر الشيخ إلى مريدته، فتلاقت أعينهما وابتسما. أيقن أنها قد تلقت الدرس، وقالت عيناها: «قبلنا سيدي»، وردت عيناها: «بارككم الله».

*

كانت هذه هي الليلة الأخيرة في لندن، لندن البلد التي أتت روح إليها تتساءل عن سبب مجيئها إليها، وما هي الليلة أتمت كل الرسائل التي أتت من القاهرة إلى قونيا ثم إلى لندن لتتسلمها. أحست أنها تريد أن تستغفر ربها لجهلها بقيمة عطائه السخي لها. توضأت في خجل، ونوت قيام الليل، مستشعرة معنى واحداً في قلبها: «وَمَا تَشَاؤُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ». صلت إلى أن شعرت أنها تريد أن تتاجي الله بكلماتها وليس بالصلاة. سجدت سجدة شكر وحدثت ربها قائلة: «إلهي ومولاي، أستحي أن أسجد لك شكراً على نعمة ما قدرتها حق قدرها، وما أدركت مقدار تشريفك لي بها. اللهم إني أسألك بأسماء رحمتك أن تغفر لي جهلي، وحجب بصيرتي عن رؤية فضل تفضلت به عليّ دون أن أطلبه منك أو أسعى إليه. إلهي، إن المصطفى كان يسألك حبك وحب من يحبك، وأنا بجهلي كنت أتوسل إليك ليالي لتتزع من قلبي حب عبدٍ يحبك.

إلهي، أستحي أن أطلب منك تبديل حالي وأنت خالق حالي، وأستحي أن أسألك تعجيل شفائي وأنت من يملك دواء دائي، ولكني أسألك أن تعطيني من اسمك القوي ما يقويني لتحمل الآمي، وأسألك أن تعطيني من اسمك الصبور صبراً يعينني على أقداري، وأسألك باسمك النور أن تنير بصيرتي وتجعلها يقيناً راسخاً في قلبي.

اللهم إنك قلت وقولك الحق: «إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهْرٍ»، و«إِنَّمَا يُوقَى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ»، وإني أناجيك اليوم باسمك الحق. يا حق يا الله. إنك تعلم أنني ما تحملت الآمي إلا تقوى لك، وما صبرت على حالي إلا طاعة لك، فبحق اسمك الحق، أسألك أن تُحق الحق وتُرني آياتك في المتقين والصابرين يا حق يا الله.

ربي، إن روحي هي نفخة من روحك، وقلبي بينتك، ونفسي خلقك، فلا تجعل لخلقك سلطاناً على بينتك، وارزقني نفحة منك تُقوي بها روحي على نفسي.

ربي، إنك شرفت قلبي بحبه، وأنا لا أملك إلا سجود قلبي شكراً لك على رزقي حبه. والله إني رُزقت حبه.

اللهم تقبل، لك الحمد حتى ترضى، ولك الحمد بعد الرضا، ولك الحمد حتى المنتهى، وإن إليك وحدك المنتهى. أحبك يا الله».

*

في الصباح أبلغت روح ضيف برفضها عرض الزواج، مؤكدة على مكانته الخاصة لديها، وأنه سيظل دائماً له مكانة مميزة في قلبها، ولكنها بالطبع ليست المكانة التي تجعلها ترتبط به كزوج. تفهم ضيف موقف روح، ولكنه لم يفقد الأمل. أخبرها أنه لن يعتبر ردها بالرفض رفضاً قاطعاً، وإنما مجرد مهلة أطول للتفكير، وأنه سيمهلها الوقت الذي تحتاج إليه لتغير رأيها وتقبل الزواج منه. سوف ينتظر.

عاد الجميع إلى قونيا، بينما عاد نور وحية إلى القاهرة بوعده لحضور زفاف عالية وشاهيناز بعد شهر.

داومت روح مرّة أخرى على زيارة مولانا الرومي كل يوم. أخبرته عما حدث في لندن، ولقاءاتها بنور، وعرض ضيف بالزواج. طمأنته أنها مريدة تستوعب دروس شيخها، وأنها ما زالت على عهدا مع حبة الكرز التي خلقت معها: نور.

حل العيد، ووصل أفراد عائلة بندر من كل أنحاء العالم لحضور زفاف شاهيناز وتاج، وعالية وبراء، كما وصل أيضاً نور وحية من القاهرة. استعد الجميع للزفاف الكبير بعد عقد الزواج وليلة «حنا باندانا» - أي ليلة الحنة - وذهب الجميع إلى احتفالية «سفرة أغد»، وهي احتفالية إيرانية تقليدية كبيرة تقوم فيها عائلة العروس بإعداد سفرة ضخمة للمدعوين في منزلها أو في قاعة كبيرة تدخلها الشمس، تزين قاعة الاحتفال بالزهور ثم يفرد قماش أبيض أعلى القاعة في اتجاه شروق الشمس، ويبقى العروسان في مواجهة ضوء الشمس الذي يرمز إلى بدء حياتهما الزوجية.

يجلس جميع المدعوين أولاً، ثم يدخل العريس ليجلس في الجهة اليمنى للدلالة على المكانة العالية والاحترام، وبعد ذلك تدخل العروس ووجهها مغطى ليقوم العريس بعد جلوسها بجانبه على رأس المائدة، برفع طرحتها وإظهار وجهها. يوضع في القاعة بعض الأشياء التي ترمز في العادات الإيرانية إلى بعض المعاني المباشرة للعروسين بحياة سعيدة.

تكون هناك مرآة، وتُسمى مرآة القدر، ويجب أن يكون حجم المرآة كبيراً لتستطيع العروس أن ترى نفسها فيها لحظة رفع العريس طرحتها عن وجهها، وبذلك ترى كم هي جميلة، وكم أن المستقبل مشرق. يوضع شمعدانان على جانبي المرآة يمثلان العريس والعروس ومستقبلهما المضيء. يوضع في القاعة طبق به سبعة أعشاب وتوابل بسبعة ألوان مختلفة، لكل عشب غرض محدد، وهدفها جميعاً طرد عين الحسود والأرواح الشريرة والسحر. يوضع أيضاً طبق به مجموعة من البيضات الملونة ومعها جوز ولوز وبنديق، يرمز الطبق إلى الخصوبة، ويكون هناك أيضاً طبق الخبز الذي يرمز إلى الرخاء في حياة العروسين، ويكتب عليه بالزعفران والكمون «مبروك». يضع أهل العروس في القاعة سلة من الرمان والتفاح، حيث يرمز الرمان إلى الخلود في الجنة، ويرمز التفاح إلى خلق الله للجنس البشري؛ إشارة إلى قصة سيدنا آدم عليه السلام. ويتم إشعال الفحم، وإطلاق البخور، الذي يرمز إلى صحة طويلة ممتدة كما يهدف إلى حرق عين الحسود. بالطبع لا ينسى أهل العروس وجود سجادة صلاة ومسبحة، إشارة إلى صلاة العروسين، مع وجود القرآن الكريم بكل تأكيد، رمزاً إلى حياتهما الروحية ورغبتهما في إرضاء الله. توضع كأس بها ماء ورد لتعطير الجو ورمزاً للحياة السعيدة. كما يكون هناك شال من الحرير يُرفع فوق رؤوس العروسين بواسطة فتيات متزوجات حديثاً وسعيدات بزواجهن لينثرن السعادة على العروسين. تطحن الفتيات سكرًا صلّبًا فوق رأسي العروسين، وينثرنه لأعلى ليهبط عليهما كالمطر، وأحياناً يهبط فوق الشال رمزاً إلى تحلية حياتهما معاً. تضع أم العروس إبرة وسبعة خيوط ملونة ترمز بها إلى خياطة فم والدة الزوج حتى لا تنفوه بما يسيء للزوجة أو يضايقها، وتضع أيضاً كأساً مملوءة بالعملات الذهبية التي ترمز إلى الثروة والرخاء، وأخيراً كوباً من

العسل، ويقوم كلُّ من العروسين بمد إصبعه فيه وإطعام الآخر بمجرد إعلان إتمام عقد القران، كإعلان تحلية حياة كلِّ منهما بالارتباط بالآخر.

كانت روح بجانب عالية، تراقب كل هذه الطقوس في سعادة. كانت تشعر أنها داخل أسطورة من الأساطير التي قرأت عنها في الكتب ولم تتخيل أن تكون جزءًا منها في يوم من الأيام. كانت تنظر إلى براء وهو يمد إصبعه في كوب العسل كرمز لتحلية حياة كلِّ منهما بالارتباط بالآخر، ثم يُطعم عالية ووجهه تعلوه ابتسامة عريضة. كانت روح كلها سعادة وفرح، لأن صديقها وتوأم روحها يتوج قصة حبه مع عالية. ارتدت روح فستأنًا من الحرير الأخضر، رداؤها الذي كانت ترى نفسها ترتديه دائمًا في رؤياها. لم تبدُ كقديسة في هذه الليلة، ولكنها بدت كامرأة. لم ترتدِ أي مجوهرات أو إكسسوارات، ولكن اكتفت فقط بقرطها الياقوت ومسحة من أحمر الشفاه وكحل لعينيها السوداوين، فبدت أكثر جراءة وبريقًا، وأضافت لمسات من الماسكرا السوداء إلى رموشها الطويلة. كانت لأول مرّة منذ فترة تضع مساحيق تجميل كما تضع النساء. كان ضيف منشغلًا بالترحيب بضيوف العرس، ولكنه كان يسترق النظر إليها من وقت إلى آخر وقلبه يتمنى أن تجلس بجواره في يوم من الأيام، ويطعمها العسل كما أطمع تاج شاهيناز، وكما أطمع براء عالية.

أما نور فكان يجلس في مقابلتها في القاعة، ينظر إليها بإعجاب، ولا يحرك عينيه عنها، ولا يشغله أي من الطقوس المقامة. كان يراها لأول مرّة بردائها الأخضر، متألقة وسعيدة، تتمايل بجسدها الضئيل مع الأغنيات في رقة وهدوء، وكلما تمايلت تمايل قلبه معها يمينًا ويسارًا، إلى أن تمايلت مرّة وسقط عنها شالها الحريري الأبيض المطرز بخيوط الفضة اللامعة. لم تشعر روح بسقوط الشال، كانت منسجمة تمامًا مع الموسيقى والأغاني، وتصفق بإيقاع خاص بها وحدها كأنها في عالم آخر. اقترب نور منها والتقط شالها الأبيض من الأرض. نظرت روح إليه برقة، ومدت يدها لتأخذه منه، ولكن نور لم يعطها الشال. مد نور يديه بالشال وفرده بهدوء فوق رأسها سارقًا بعض اللمسات لخصلات شعرها الذي كثيرًا ما تمنى أن يقترب منه ويلمسه بحرية. ظل نور ينظر إليها كما لو كان يراها لأول مرّة، وكما لو كان العرس عرسهما.

لم تتكلم روح. كانت النظرات بينهما أقوى من أي كلمات. لمعت عيناها أكثر بوضع نور الشال على رأسها، وشعرت بلمسات أصابعه المختلطة والمتحسسة لشعرها. تركته يسترق هذه اللمسات وتسترق هي أيضًا إحساسها بها. شعرت كما شعر نور أنه يضع طرحة زفافها إليه على رأسها وليس مجرد شال. كانت عيناها تقولان لها: «أنتِ حبيبتي، وسوف تكونين عروسي يومًا ما»، وكانت عيناها تقولان له: «فهمتكَ». ذهب في اتجاه سلة الفاكهة الموضوعة في القاعة. التقط حبة رمان وحبة تفاح وعاد إليها. أمسك كل واحدة بيد وابتسم لها وقال: - تختاري التفاح ولأ الرمان؟ ابتسمت روح ابتسامة ناعمة، وردت عليه بدلال:

- أنا اخترت الرمان من زمان!

ابتسم نور ابتسامة عريضة وقال لها:

- متأكدة يا مولاتي؟

ابتسمت روح بقوة وقالت:

- متأكدة جدًا يا مولانا!

وضع التفاحة في سلة الفاكهة ومضى. نظر إليها وهو يمضي مبتسمًا. ابتسمت هي أيضًا وقالت:

- رايح فين يا نور؟!

عاد إليها واقترب منها وقال بثبات هامساً:

- إنتِ مش اخترتِ الرمان؟!!

ردت روح:

- أيوه.

فقال نور:

- خلاص. استنني شوية!

سألته روح بدلال:

- طيب مش هتديني الرمانة؟

رد نور مغازلاً إياها:

- لأ مش دلوقت.

ابتسمت روح بدلال وقالت:

- سمعنا وأطعنا يا مولانا!

ابتسم نور لها ابتسامة حب وإعجاب، ومضى يحمل الرمانة بيده، ويحمل نظراتها وكلماتها في قلبه، عائداً إلى حيث كان يجلس بين الرجال، لا يرى سواها ولا يسمع أيّاً من الأغنيات أو الموسيقى التي تتمايل معها. كان يسمع التراتيل والأنغام والأصوات الجميلة التي يسمعها فقط عندما يرى روح بردائها الأخضر في رؤياه.

أدخلت كلمات نور ولمساته المسروقة روح في حالة من الهيام. لم تعد تشعر أنها في العرس وبين الناس. لم تعد تعبأ بشيء سوى النظر إلى نور وتبادل مزيد من الاتصال الروحي وهمسات العشق التي يعزفان بها أحلى الألحان.

بدأت تحادثه بعينيه اللامعتين وهو يتلقى في ثبات:

«لك وحدك.

لك وحدك فُتحت كل الغرف بقلبي.

لك وحدك اهتدت الأنثى التائهة بدربي.

لك وحدك استسلمت بنات أفكارى الحائرة بعقلي.

لك وحدك. وحدك. سلمت مفاتيح عندي.

لك وحدك فتحت يديّ للهواء والمطر، وتركت النسيم يمر بين أصابع كفيّ.

لك وحدك أسدلت خصلات شعري.

لك وحدك صار شعري المعقود حرّاً يتطاير على وجنتيّ ويعصف بوجهي.

لك وحدك أترك شعري.

أتعلم ما تتمنى خصلات شعري؟! تتمنى يديك، تتمنى أن تمرر يديك الكبيرتين عليها، تتلمسها وتداعب تموجات شعري.

كم تشتاق إلى لمستك الحانية المحتوية لها ولقلبي.

أتدري ما شعري؟ شعري هو أعلى كنوزي التي سأهديها يوماً ما لك وحدك.

أتدري ما شعري؟ إن شعري هو كبريائي التي سأقدمها إليك في أول لقاء لنا. وددت لو قدّمت إليك قلبي، لكن ليس لي عليه سلطان، قدّمته إليك دون إرادتي عندما اجتاح عشقك كياني كله.

أتعلم ما قيمة شعر النساء للنساء؟ بالطبع تدري.

أنت تعرف كل شيء ما عدا قدرك في قلبي. شعر المرأة هو أنوثتها. كرامتها. كبرياؤها وعزتها. شعر المرأة هو أعلى ما تملك، لذلك هو تاجها فوق رأسها الذي لا تسمح بالوصول إليه إلا لمن كان أعلى منه قدرًا، وأنت أعلى من كل الأشياء قدرًا.
هَلَّا تُقَبِّلْتَهُ هَدِيَّةً متواضعةً وتتوجني بتاج قربك؟

هَلَّا تُقْتَرِبَ من خصلات شعري وتطمئنها بلمساتك الحانية أنها مقبولة في حضرة قلبك؟
هَلَّا تُشْرِفَ كبريائي بالتنازل عن كبريائها بين يديك وأمام عينيك لتهدأ وترتاح بقربك؟
هل تقبلني امرأة بلا كبرياء؟ هل تقبلني يا كبريائي وعزتي ومالك مفاتيح أنوثتي وقلبي؟»
لم يجد نور بداخله ردًا على ما تلقاه من روح، لم يستطع حتى أن يظل محتفظًا بتركيزه والتواصل معها روحياً، فكلماتها كانت أقوى مما اعتاد. لم يشعر بنفسه إلا وهو يذهب إلى سلة الفاكهة ويلتقط تفاحة ويعود إلى مكانه وهو ينظر إلى روح محكمًا قبضته بقوة على التفاحة. لا يملك من أمره شيئاً إلا التمني. يتمنى فقط أن يأكل التفاحة، ولكن لا يستطيع.

استجمع قواه وتركيزه وأرسل إليها الرد:

«أتعلمين حبيبتي أن اجتماعنا معًا عبادة؟»

إنه اجتماع لروح الله فينا. لا أستطيع أن أقترِبَ منك، وأنا لست لك وحدك. لا إشرارك بالله، ولا إشرارك بروح الله فيك.

إن اجتماعنا شعيرة من شعائر الله، لها وقت محدد تمامًا كالحج، وسوف نستطيع بإذن الله إليها سبيلاً. لنا عرفاتنا الذي سيشهد لقاءنا، وسوف آتيك عنده بقلبي كاملاً فارغاً مما سواك، سأترك ما دونك وأولد بحجنا من جديد، وتبدأ حياتنا مرةً أخرى كما التقى أبونا آدم بأمانا حواء على جبل عرفات، وبدأت حياتهما على الأرض معًا، عندئذ أحل الله لهما فيها أكل التفاح حلالاً طهوراً ولم يجرما منه شيئاً.

إن خطيئة أبينا آدم ليست أنه أكل تفاحة في الجنة، وإنما لأنه لم يصبر ليأكل كل تفاح الدنيا.»

*

انتهى عرس شاهيناز وتاج، وعالية وبراء، وانتهى أيضاً عرس روح ونور، الحلم الذي يتمنيانه. ذهب الجميع إلى منازلهم بعد قضاء ليلة سعيدة كليالي الأساطير القديمة، ليلة كلها سحر وحب وجمال.

وضعت روح رأسها لتنام وكلها لهفة لرؤيا ترى فيها نفسها مع نور بعد ذلك المشهد الساحر على أرض الواقع وليس في الأحلام.

بالفعل رأت رؤيا، ولكن لم ترَ فيها نور. رأت نفسها عند الكعبة تطوف وتلبي بتكبيرات العيد. لم تكن الكعبة كما تبدو بكسوتها السوداء، ولكنها كانت بكسوة خضراء كردائها في العرس. طافت بها سبعاً، ولمست الحجر الأسود وقبَّلتَه وشمت فيه رائحة المسك. وأخذتها رائحة المسك لمن كان عرقه مسك، الحبيب، طب القلوب. وفجأة وجدت روح نفسها قد انتقلت من أمام الكعبة إلى المدينة المنورة، وتحت القبة الخضراء ساجدة تقبل أعتاب الروضة. كانت تهمس للحبيب بأبيات تشبه شعر مولانا أحمد الرفاعي، كانت تقول: في حالة البعد روحه كان يرسلها تُقبل الأرض عنه وهي نائبته

وها هي تجوب الأراضي تُقبلها نيابة عنه وهو لا يعلم أنه حاضرٌ بداخلها

من سكن نوره روحها كيف يغادرها

إن انطفأ نوره انطفأت روحها فيحضر فيها يُشعل روحه ويشعلها
ولا حيلة لها في هذا العشق غير أن تبقى ما بين نور الاشتعال واشتعال النور بداخلها
فرحمةً بروح أتلها الهوى والاشتعال يكاد أن يحرقها

استيقظت روح، وجلست برداء نومها الأبيض القطني تتلمس نفسها، كأنها تتأكد أنها ليست في مكة
وليست تحت القبة الخضراء. أحست أنها كانت هناك. شممت يديها فإذا برائحة المسك ما زالت بها،
وتكبيرات العيد ما زالت في أذنيها. إنها كانت تحج عند كعبة خضراء، بيت الله فيها، قلبها.
لقد أتمت شعيرة حجها هي ونور. تبسمت وأدركت أن الله يبشرها بلم شملها على نور، وأنه دائماً
يصدق وعده.

قامت فوراً وكتبت في دفترها:

مكتي

يا مكتي، وقبله حبي، وحجري الأسود واليماني. تعلقت بأستار مُلتزمك متوسلة، وذرفت الدمع الحار على هجرتك يا هاجري. طُفت
بكعبة عشقك، وصليت في حجر الذبيح الناجي، راجية ربي أن يفديني بذبح في هواك، فأكون إسماعيل حبك، وتكون إبراهيمي.
أشهد ألا معشوقاً لقلبي سواك، وإني مسلمةٌ لك، حنفيّةٌ، لا أشرك في قلبي أحداً غيرك مهما فتنتني أو أغواني. صلني وافد قلبي وقل
كفى لذلي وهواني. اجعل لقلوبنا عيداً في العشق، فإنا أعلم أنك إبراهيمي مطيعٌ لأمر الله في ذبحنا بالهجر أواباً. ارجع لربنا سائلاً
التخفيف كما سأل المصطفى للصلاة. عل الله يخفف عنا ويقول كفى قسوةً يا ربيب قلبها، فإله يعلم أنني لن أقوى على المزيد من
البعد والهجران. أتقوى على رؤية دمعي الحار وقلبي يعترضه الألم، وتثبت على بعدك وهجرانك؟ عبدٌ ذليل وقف ببابكم يطلب
الوصل والإحسان. متوسلاً راجياً أملاً استجابة مناجاته. أعطوه مطلبه، فأنتم في الحب أهل الجود والكرم، لا يضاهي كرمكم حتى
ابن الطائي. ترفقوا بقلبي لم يدق لغيركم باباً، ولم يسأل في العشق رباً سواكم. وكيف يسأل وهو موحدٌ في هواكم؟ أنتم ربه في
العشق لا يرضى في العشق بغيركم أرباباً. الأرياب رحماء بعبيدهم، وأنا من عبيدك سيدي فارحمني. الرحمة بعبدٍ يطوف بعببتكم
عاشقاً بالدمع راجيكم وملبياً بالنداء، مجاهراً بمطلبه، دثروني بحبكم دثروني. فرجاء لبوا النداء. جسدي أصابته الحمى في هجركم،
وعز دواؤه إلا بوصلي من مولاه. فرحمةً بالمحموم في حبكم، ودثر قلبي بقربك يا مولاي. لا تزدني هجرًا فإني والله أحبك، وإني
في حبك ذليلةٌ ذل الإماء والعبيد لمولاهم.

شعرت أن لديها المزيد لتبوح به، فكتبت:

يا أنا.

سيدي هذه ليست.. أنا.

إنما أنا هو، وهو.. أنا.

تلك التي قَبِلت الأرض ليست شفتي.. أنا.

إنما تلك روحه وهي روحي.. أنا.

إني رسولٌ مرسل لتقبيل الأعتاب بالنيابة عن.. أنا.

فهو سيدي يا سيدي ومولاي في الحب وهو كلي.. أنا.

لا أراه ولا يراني، ولكنه لا يفارقتي فهو.. أنا.

دعوت ربي وأنا أقبِل الأعتاب له، أن يرحم قلبي من حبي.. أنا.

وتوسل قلبي بجاهك سيدي ألا يستجيب ربي لدعائي بنزع ذلك.. الهوى.

أدعو وأتوسل بالرحمة، وأتوجه بجاهك أن أشفى وأن يتعافى قلبي من.. الجوى.

وقلبي يقول يا الله لا تستجب فهو.. أنا.

يطلب لساني أن أشفى من نفسي وقلبي معلق ب.. أنا.

أغلقت دفتر «درويشة عشق» وقررت شيئاً في نفسها وابتسمت.

استيقظت في الصباح لتسلم على نور وحياة قبل المغادرة إلى القاهرة. نظرت إلى حياة بحب،
وفتحت لها ذراعها واحتضنتها بقوة، ثم همست لها في أذنها:

- أنا باحبك أوي! إنتِ ما تعرفيش أنا باحبك إزاي!

نظرت إليها حياة، وابتسمت وقالت:

- أنا كمان باحبك يا روح!

ابتسمت روح وقالت:

- بس أنا باحبك أكثر! خلي بالك على روحك وخلي بالك على نور!

حياة: هنشوفك في مصر قريب؟

روح: الله أعلم. اللقا نصيب!

نظرت روح إلى نور، وابتسمت، ومدت يدها لتصافحه:

- توصلوا بالسلامة إن شاء الله. خلي بس حياة تبعك تطمني عليكم لما توصلوا.

نور: الله يسلمك يا روح! إنتِ هتشغلي تلفونك المصري خلاص؟

ابتسمت روح وقالت:

- لأ، لسه مش دلوقتِ. حياة معاها نمرة تلفوني التركي، خليها تطمني. وإنتِ خلي بالك على روحك، وعلى حياة!

فهم نور أن روح تذكره بأن إذن الله بالوصل مرّة أخرى لم يأتِ بعد، وأن الأمور ستعود كما كانت.

مدت يدها بدفترها إلى نور وقالت له:

- دي مجموعة كتابات كتبتها من أول ما وصلت إلى قونيا. شعر على نثر. كام قصيدة من نوعية الحاجات اللي باكتبها. كنت حابة إنك تقرأها، ولما ياذن الرحمن تقولي رأيك!
نظر نور إلى الدفتر وإلى روح بدهشة، ولكنه كعادته تحكم سريعاً في رد فعله، وأخذ الدفتر وقال لها:

- أكيد هاقراه، وأكيد هاقولك رأيي لما ربنا ياذن. مش محتاج أفكرك إنني موجود، لو احتجت أي حاجة في أي وقت ما تتردديش إنك تكلميني. إنتِ عارفة مكانتك عندي!

ابتسمت روح بركة:

- عارفة. تسلملي. لا إله إلا الله.

رد نور:

- سيدنا ومولانا محمد رسول الله.

أغلقت روح باب قلبها شاكرة الله على الرحمة التي أنزلها عليها، ومستشعرة السكينة المنزلة في قلبها، ومستبشرة برحمات أكثر لم يأتِ وقتها بعد. ألقت نظرة على الغرفة التي قضى فيها نور وحياة ليلتهما، فوجدت على الطاولة دفترًا وحبّة رمان. التقطت الدفتر سريعاً، وفتحته، فوجدت عنوانه مكتوباً: «نورانيات عاشق». قلبت الصفحة فوجدت الإهداء: إلى الروح التي أجد نفسي مكتملاً حين يهتدي الجزء الضال بي إلى الجزء الضال بها.

إلى الروح التي أحن إلى السكون إليها، وسكونها بي في كل لحظة، وبكل نفس أنتنفسه.

إلى الروح التي أهدتني هذه الكلمات، أهديتها كل الكلمات.

إلى روح الله ونفخته الطاهرة بي، أهدى مجموعتي الأولى للكاتب في العشق البشري الذي ما هو إلا تجليات لله في خلقه، تجتمع بقدسية لرجوع الفرع إلى أصله.

إلى الروح أهدى هذا الجزء الحي مني.

احتضنت روح الدفتر والرمانة. قبّلت الدفتر الذي لمست صفحاته أصابع نور، وأودع كلمات قلبه فيه. أحست بعلامة جديدة فهمتها من إهداء نور، فكتبتها تحت إهدائه متممة دروس مولانا الرومي لها بالعلامة السابعة:

العلامة السابعة

لن تشعر بالسلام إلا بالكمال،
ولن تشعر بالكمال إلا باهتداء الجزء الضال منك إليك، ولن يهتدي الجزء الضال إليك وأنت تقاوم
وصوله إليك.
التسليم لله مفتاح السلام.